على الملك

# مختارات من الأدب السوداني




دار جامعة الخرطوم للنشر

١٩٩٠

الناشرون
دار جامعة الخرطوم للنشر

الطبعة الأولى ١٩٧٥
الطبعة الثانية ١٩٨٠
الطبعة الثالثة ١٩٩٠





صمم الغلاف
تاج السر أحمد

الطابعون
مطبعة جامعة الخرطوم
دار جامعة الخرطوم للنشر
ص . ب ٣٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقـــدمة

صدرت الطبعة الاولى لهذه المختارات مطلع عام ١٩٧٥ ، اضطلعت بأمر نشرها دار جامعة الخرطوم للنشر ودار هورست ايردمان بألمانيا الاتحادية . ولقد سعدت حقا باقبال القارئين عليها اقبالا جعلنى اتحمس لاخراج طبعـــة جديدة منها ، رأيت أن أضيف الى ما كان نشر فى تلك الطبعة ، وما فكرت أن أحذف شيئا مما قد نشر . فأنت لاشك تجد أن القصة القصيرة – مثلا – قد جعلت تقوم على قدميها فى السنوات الخمس الأخيرات ، ولذا فان من جاءوا مبشرين الجديد فيها يستحقون أن ينتخب من أدبهم شىء . ومن هؤلاء كاتب من اقليمنا الجنوبى هو جوناثان ماين . ثم مقالة للتيجانى يوسف بشير لم تكن لتلفت النظر حيث كانت ، لولا أن يسر لنا ذلك ظهور كتاب يحوى طرفا من آثار التيجانى النثرية ، مما أتاح لنا فرصة النظر الى أسلوبه الفريد وموضوعاته المتميزة . (١)

وأنت تلحظ فى هذا السفر – أيضا – قطعة الأستاذ عبدالله رجب هى طرف مما كان ينشر بعنوان ( مذكرات أغبش ) فى جريدة ( الصراحة ) . . ولعل مايميز تلك المذكرات ، أو السيرة الذاتية أنها كانت تسرد الأحداث التى مرت بصاحبها ، ومر بها فى تفصيل دقيق، مما يمنح القارىء فرصةحسنة ليلم بروح ذلك العصر ، يضاف لهذا أن فيها مشابه فى طريقة سردها وكتابتها من سيرة الكاتب الروسى المعروف مكسيم جوركى ، ولقد كانت مؤلفات جوركى محبوبة منتشرة فى ترجماتها العربية والانجليزية أخريات الأربعين والى أخريات الخمسين ، أوان علو شأن الواقعية الاشتراكية . وحين نقرأ مذكرات أغبش اليوم فانا – لاريب– نصادف فيها شئونا من المتعة لتصويرها عهدا للصحافة والأدب والسياسة أظل بلادنا زمانا وما كتب عنه كثير شىء ، أو أن الذى كتب وأتيح لأهل الاطلاع ، الاطلاع عليه ، لايمنح احساسا

بالرضا ، إذ أكثره يقصر دون الصراحة وهى مطلوبة ، والافصاح المبين وذاك مما يرجى . لهذا تسطع مذكرات أغبش منارا للون متفرد فى الشكل والمضمون يذكر بذلك العهد . . يظاهرها لغتها التى تكاد أن تكون لغة الأحاجى والونسة الحميمة ، وأحداثها الكثيرة بما فيها مما يضحك ويبكى .

وفى هذه المجموعة قصيدة لخليل فرح ، شاعر الوطنية ، شاعر الجمال وقد عرف الخليل أكثر شىء بشعره الذى نظمه بالعامية ، وقصد به أن يلحن ويغنى ، فكنا نعرف ( عزه ) و ( فلق الصباح ) و ( فى الضواحى ) و ( جناين الشاطىء ) وغيرهن ، وبعد صدور الطبعة الأولى لهذه المختارات أمكن لى تحقيق ماوجدت من قصائد الخليل عاميها وفصيحها ، وكان ما قد ظهر من شعره يبرر هذا الاختيار .

وما تنكبت فيما انتخبت من الأدب السودانى لهذا الكتاب نهجا بعينه ، وانما آثرت أن أقدم للقارىء الكريم مايستهوينى من شعر وقصة ومقالة ، ولست فى مقام من يدعى أنه قد أطلع على كل ماكتب أدباء السودان المعاصرون ، ولكنى قد نظرت فى قسم كبير منه فى مراجعه التى توفرت لدى وأنا أعد مادة هذا الكتاب . وعكفت زمانا على ماانتخبت من الأدب السودانى ، وأمعنت النظر فيه مااستطعت ، وأرانى به راضيا بعض الرضا ، وأعلم أنه سيرضى قوما ويسخط آخرين . وكل الرضا فى باب المستحيل أدخل .

ويضم الكتاب بعضا من الانتاج الأدبى الذى ظهر أخريات العشرين وبداية الثلاثين ، ومنه ماقد نشر فى مجلتى ( النهضة ) و ( الفجر ) بخاصة ، وكانتا تمثلان بواكير نهضة فكرية سودانية ، ( Sudanese Renaissance ) تتسم بالدعوة الاصلاحية ، وتبشر بما يمكن أن يسمى أدبا سودانيا وله روح ونكهة ومزاج ، فيه المفاخرة بالسودانية القومية ، وتنبيه الاذهان الى مانملك من قوة وأصالة لانكاد نتبينها لكى تكون لنا سندا يعين على التقدم والظهور المستقل يستنهض أحمد يوسف هاشم الهمم حين يقول :

« يجول الانسان بنظره فى أنحاء العالم طرا فلايجد أمة من الأمم شرقية كانت أو غربية لها من المرافق الحيوية والاستعداد الفطرى مثل ما لنا ، ثم هى فى الحضيض العمرانى والاجتماعى والمالى الذى نرسف فى أغلاله » ( ٢ ) ويرد هذه النواقص كلها الى مايسميه الترف الكاذب . ومحمد عشرى الصديق فى مقالته ( ماذا وراء الأفق ؟ ) يدور حول موضوع قريب من هذا يقول :

« وهذا وطننا الذى ننعم بالعيش فوق أرضه وتحت سمائه ، ونشرب ماء نيله القديم كقدمه ، ونأكل نبت أرضه ، ونشقى بما يشقى ضميره . ويكرب نفسه الحزينة ، أليس من عرفان الجميل أن نحترم هذا الوطن المقدس ؟ هذا الوطن الجاثى طوال خمس آلاف سنة ، يرمق شمس سعادته ولما ينشق عنها الشروق ، ودموعه تتحدر على خدوده الكئيبة ، وآلامه تقرح كبده الحرى ، يطلبنا فى توسل وبكاء أن نزيل ما به من ضير ، وأن نقيمه على قدميه ، إنه عظيم فى بؤسه العظيم لأنه غالب كرور الأيام والعصور ، يحتض أمله الخالد فى بنية الفانين » (٣)

ففى هذه وتلك دعوة للاصلاح ، وتبصير للناس بهذا الوطن النبيل ، القديم ، العريق ، الخالد ، ألا هبوا . وأصلحوا من شأنه ، وليس اكثر من هذا . . من الذى اسال دموع الوطن على خديه تجرى ؟ ما الذى اوردنا الحضيض العمرانى والاجتماعى والمالى الذى عنى أحمد يوسف هاشم ؟ ان ذلك ليس سببه الاستعمار ووجوده وسياسته ، اذ الكاتب يرى ان ذلك كله قد حصل بسبب الترف الكاذب ! وجلى أن الكلام المنشور لم يكن لتبيح له القوانين آنذاك أن يفصح بأكثر مما أفصح ، ولكننا نستطيع ان نقول أن فى هاتين ما يبشر بنوع من الأدب السودانى جديد فى فكرته وفى أسلوبه .

وحمل لواء نشر هذه النهضة الفكرية السودانية فى الاساس مجلتا ( النهضة ) و ( الفجر ) ، وكان العصر فى شرقنا العربى عصر نهضة فكر ، فمصر ، منذ أن أنذر القرن الماضى بزوال ، نعمت بعهد من الشعر جديد

هو بعث جديد فى لغته وفى أغراضه ، وكان محمود سامى البارودى فارسه المقدم وامامه ، وكان مما يرى أن الشعر « لمعة خيالية يتألق وميضها فى سماوه الفكر ، فتنبعث أشعتها الى صحيفة القلب » (٤)

ولاريب أن البارودى قد جدد الشعر العربى وأعلى منزلته بعد أن نالت منه عصور الانحطاط الأدبى على نحو ماتعرفون ، وبعد البارودى ظهر حافظ وشوقى والرافعى وزكى مبارك والعقاد وطه حسين ومدرسة أبوللو . ولقد بصر أدباء السودان فى ذلك الزمان بهذا الضوء الباهر فى شمال الوادى فوصلهم منه قبس :

« والتفت الجيل الجديد الى مصر ، يروم منها ماأعياه فى السودان. وكانت صحافتها آنئذ قد بلغت شأوا بعيدا من الجودة وكان يكتب فيها رجال ينظر الشرق العربى كله اليهم بعين الاكبار ويلتمس من عندهم المعرفة والمثل العليا (٥) »

فهذا معاوية محمد نور يبلغ مصر وينشر مقالاته فى صحفها وينال حظا كبيرا من الاحترام بما كان يكتب مبصرا القارىء العربى بالفكر الغربى والثقافة الغربية ، وكتب معاوية بما يشير الى ثقافة عالية واطلاع عميق فى الفكر الأروبى ، فكتب فيما كتب عن الأدب الألمانى ، والحب فى الأدب الانكليزى ، والذوق الأدبى ، والدراما والقصص الروسى ، وغير هذا .

أما الشاعر محمد سعيد العباسى فقد تعلق بمصر ، وظهر هذا فى كثير من شعره ، فهو يحن اليها ، والى مجالسها وذكريات شبابه فيها :

مصـــرُ وأيـــامُ الشبـــا ... بِ الغَـضِّ من لى بهمَـا
وفتيـة ســامرتهـم ... فاقـوا الزمانَ هِـمَمَـا
وعـــزمـة صـادقـة ... تنطــحُ أبــراج السمـا
زيـنُ شبـابٍ حملـوا ... مـع السيوفِ القلمَـا

وغير العباسي التيجاني وان لم يقدر له بلوغها فاعجله الموت يقول :

كيف ياقومنا نُباعدُ من فكْــــر ... ين شـدًّا وساندَ البعضُ إزرا
كيف قولوا يُجانِبُ النيلُ شطّ ... يه ويجرى على شواطيء أخرى
كلمـا أنكـروا ثقافة مصـــر ... كنتُ من صنعها يراعا وفكـرا
جئتُ فى حدّها غِرارا فحيّا الله ... مستودع الثقافةِ مصـرا
نضَّــر الله وجهَها فهى مـــاتز ... دادُ الا بُعـدا علىَّ وعُسرا

وعشْقُ التيجانى مصر غير عشْقِ العباسى، اذ فيه عتاب الأنداد ، وقد لا تُظْهِر هذه الأبيات ما ذهبنا اليه ، غير أنها فى بعض مقالاته ، تُبْدِى ما قد قصدنا اليه ، فمقالته « فى سبيل التعارف الأدبى بين مصر والسودان » فيها اشارات الى وجوب الاهتمام بأدباء السودان وما يكتبون :

« قلنا ماينقصنا قوة فى الادب ولا سمو فى التفكير ولا شيء من مؤثرات العظمة الأدبية الا أن تبرز هذه الاقلام المجهولة حتى فى مصر ولعلها ان أتيح لها أن تتنفس قليلا ، أن تكون أبلغ أثرا مما نعـده حلما أبعد شيء عـن الواقع . » (٦) .

أو قوله فى ذات المقالة يدعو الى الندية والمساواة :

« كلنا فى الشرق – أيها المصريون – معقد رجاء الشرق . فمثل واجبنا نحوه واجبكم له ومثل حظنا فيه ، حظكم منه فنحن سواسية فيه ، سواسية فى أسمى ما يفتخر به الشرق وفى تحمل تبعة كل مايضيق به الشرق » .

لقد كانت مصر اذن كائنة بصفة دائمة فى وجدان الشعب السودانى ، قد يعلو صوتها وقد يخفت أثر ذلك الصوت ، ولكنه لا يزول ، والأمر فى مصر كذلك ، فالسودان ماثل فى السياسة المصرية كما يروى التاريخ وكنحو ما تعلمون .

ولعل من أسباب النهضة الأدبية فى السودان بداية التعليم وإنشاء كلية

غردون وقيام المعهد العلمى ، وقد هيأ الأخير لمن جلسوا فى حلقات علمه معرفة باللغة العربية والأدب والفقه والشريعة الاسلامية ، بينما أتاحت الأولى لطلابها دراسة اللغة الانجليزية . فأطل من تعلموا فيها على عالم من الثقافة زاخر وجديد . ثم تلى ذلك ما كان من أمر صدور الصحف والمجلات ، وأهمها مجلة ( النهضة ) التى كان يحررها محمد عباس أبو الريش ، وكان أول صدورها عام ١٩٣١ ، وجاءت بعدها مجلة الفجر عام ١٩٣٤ ، وكان يقوم بتحريرها عرفات محمد عبدالله . وقد كتب محمد عشرى الصديق يصف ذلك العهد يقول :

« الفترة التى كتبت فيها هذه المقالات يسميها الأدباء الثلاثينات وهى الفترة التى أتسمت بإرهاصات النهضة الحاضرة بجميع مظاهرها من أدبى وإجتماعى وتاريخى ودينى وسياسى وفلسفى ، وبالطبع لم تكن فى تلك الأيام مبادىء محددة ، ولا الأهداف واضحة ، بل كانت مثلا عليا تحلق فى فضاء الأمل وتدور فى محيط الأحلام .

وكنت أنا واحداً من زملائى الكثيرين الذين تلقوا تعليماً ثانوياً فى كلية غردون التذكارية ، وقد درسنا مع ما درسنا ، اللغة الأنكليزية واللغة العربية ووعينا قواعد هاتين اللغتين وعياً سليماً وكذلك النحو والإعراب والصرف والبلاغة بفروعها .

تخرجنا فى الكلية ولم نكتف بما حصلنا عليه فيها فكنا نجتمع فى منازلنا ولو تباعدت بها المسافات ، ونستعيد أيام الدراسة وذكرياتها التى لا تزال حبيبة إلى نفوسنا ، ونقبل على الإطلاع على فروع المعرفة لتزيد حصيلتنا من العلم ومن تجارب الحياة » (٧)

ويرى محمد أحمد محجوب (٨) أن ذلك الجيل قد تعرض لتجربات جسام أهمها تجربة ثورة ١٩٢٤ . ومن بعدها أيقن أبناء ذلك الجيل أن الحركة

القومية السياسية تحتاج ، لكى تنمو وتشتد ، ثقافة حقة ، وأن الإطلاع والدراسة هما أفضل السبل لنيلها يقول :

« وإن كان هناك خير تمخضت عنه حركة التثقيف التى بدأها بعض أبناء هذا الجيل فهو أنهاقد فتحت عيونهم على النقص الثقافى المتفشى فى بلادهم فأخذوا بتلافيه فى أنفسهم أولا ، وهاهم قد بدأوا يشخصون الداء ويقدمون الدواء لغيرهم . وأخذوا يقدرون مطالب هذه الفترة ، فترة الإنتقال وما تحتاجه من هدم وبناء ومن حفاظ على الأخلاق والعقائد وقد إتخذوا لكل شيء أهبته وحملوا المعول والفأس يهدمون البائد المتداعى ويقطعون الأعشاب والطفيليات من النباتات ، ليضعوا الأساس للنهضة المقبلة . »

ويتفق الكاتبان أن القراءة والتحصيل كانا من أهم ما إنشغل به أولئك الرواد فأثمر ذلك عن نهضة فكرية ذات خطر وأثر ، وإن نظرنا إلى المقالات التى إخترناها لأدباء الثلاثين وجدنا فيها نقداً لأدواء ذلك العصر ، بالتلميح والتصريح جميعاً ، فأحمد يوسف هاشم فى مقالته ( الترف الكاذب ) ، يرى فى الترف الكاذب عاملا أساسياً فى تأخير الأمة فنحن ننفق أكثر مما نملك ، ونتمسك بالقشور دون اللباب ، بل هو يشير بتكوين جمعية قوامها الشباب المتعلم لمقاومة جرثومة هذه الخصلة . (٩) .

وتبرز دعوة الإصلاح والتسامى للمثل العليا عند محمد أحمد محجوب حين يشير فى مقالته ( مثل عليا ) إلى أن الأسرة إنما هى نواة الحياة الإجتماعية وينبغى أن ينشأ أفرادها على التضحية وإدراك الواجبات قبل الحقوق والتسامى بالمشاعر للمثل العليا . . . وأساس الأسرة عنده المرأة فهو يدعو لتعليمها بما هو غير بعيد عن قول حافظ ابراهيم :

الأمُ مدرسةٌ إذا أعددتَها ... أعددتَ شعباً طيب الأعراق

يريد للمرأة التعليم لكى تكون زوجاً مدبرة وأما وليس لتعمل فى الأسواق أو لتدخل فى ميدان الوظائف الكتابية . . . ونحن نرى أن تعليم المرأة إن لم تكن

غايته العمل ، فلن يحقق المرجو منه لتقدم أى أمة من الأمم ، وفى هذه المقالة يعيب محجوب على شباب عصره أخذهم من مدنية الغرب القشور فآثروا منافعهم الشخصية على منفعة البلاد . ويتسم أدب المحجوب بصفة عامة بالأصالة الفنية والفكرية معاً » أما الأصالة الفنية فما كان يحاوله من صياغة جديدة تجمع بين فصاحة العربية وترسل الإنجليزية ، وأما الأصالة الفكرية فما كان يلتمسه من المثل العليا بمجتمعه السوداني الناشىء فى الأدب والسياسة والفن » . (١٠)

وإن لم يكن فى مقالة محمد عشرى الصديق ( ماذا وراء الأفق ) حماسة محجوب الخطابية وألفاظه ، أو ثورة أحمد يوسف هاشم على الترف الكاذب وسلاسة تعبيره إنظر : « يهجر الرجل قريته ويحوم فى القرى والأمصار متاجراً ناهكاً قواه ، متغرباً عن وطنه الأصغر هاجراً لزوجه وأولاده ، مضيعاً لشطر كبير من حياته . . . » الخ هذه الألفاظ التى يبدو وكأن الكاتب قد إنتخبها بعناية ، مثلما هو يخاطب أناساً يستمعون اليه لا يقرأونه ، كلمات قصد منها أن تدرك بالآذان وليس بالعيون والموضوع نفسه يجىء مادة حسنة لخطبة أكثر منه مقالة مكتوبة . . . نقول ان مقالة عشرى ( ماذا وراء الأفق ؟ ) تشترك وسابقتها فى دعوة الإصلاح ، ونقد أوصاب المجتمع ، وفيها صراحة من يواجه الواقع بلا خوف غير أن أسلوبها مختلف جداً ، وقد ذكر عبدالله الطيب أن فى أسلوب محمد عشرى روية وعناية بما يكتبه وأن له إستقلالا بالرأى مع روح أشبه شىء بروح العلماء المتوفرين على الدرس والتحصيل (١١) أنظر : « ونحن إلى الآن لم نكن أمة كما يقول لنا الكثيرون من الغربيين وغير الغربيين ولا تزال بلادنا مجهولة لدى العالم ، ولا نزال فقراء فى الروح مهازيل مسنين عجافاً جائعين ضائعين بلا مال أو كيان ، ولا تاريخ لنا ولا فنون ولا آداب ولا علوم ولا صناعات ولا حرف ، ولا يزال عظماؤنا هم عظماء الفتك والحروب والتدمير ، فلا شاعر ولا فيلسوف ولا كاتب ولافنان ولا مصلح يلاقيك فى تاريخ هذه البلاد ، وليس بيننا من يعد من رجال العلم أو من رجال العمل ،

وليس للسلم عندنا إنتصارات كما للحرب ، وأرضنا سهلة واسعة جدباء ليس عليها من آثار العبقرية والنبوغ إلا النذر اليسير » . (١٢) ثم يستطرد فى تلك المقالة يدعو للعمل إذ هو طريق النهضة والإصلاح ، وأن لا شىء يعدل العمل الصامت والنظام .

وليس هناك من شك فى أن هذه النهضة الفكرية قد ساعدت فى إذكاء الشعور القومى ومهدت لقيام المؤتمر (١٣) وكان فى قيامه إنصراف أكثر هؤلاء للعمل السياسى المباشر .

وإذا نظرنا فى المقالات الأُخر وجدنا أنهن ذوات موضوعات متباينة وتناقش أموراً متنوعة كذكريات أحمد الطيب عن قريته وأهلها أو حديث منصور خالد عن حال السياسة بالسودان أخريات الستين أو ما كتب جمال محمد أحمد عن العرب فى شرق أفريقيا وهلم جرا .

ولعل الشعر هو أكثر فنون الأدب السودانى وفرة وتطوراً . . . وهذا يفسر أنه أستأثر بالقسم الأوفى من محتويات هذا الكتاب ، وعرف السودان منذ العقد الأول لهذا القرن شعراء كثيرين مجيدين ، ولقد درج نفر ممن كتبوا عن الشعر السودانى على تقسيم الشعراء إلى مذاهب ومدارس ، كقولهم الشعر التقليدى والشعر الواقعى والشعر الرومانسى . . . الخ ونؤثر أن نسمى الشعر شعراً مهما أختلفت مذاهبه ، فهذا أوقع ، ولا نميل إلى وصف الشعر بالشعر العمودى أو الشعر الحر ، فالشعر الجيد يطربك وتستحسنه إن كان لشاعر محدث أو قديم ، وقلما ينظر قارىء الشعر المثابر إلى شكل كتابته .

وأسهم الشعر السودانى – ربما أكثر من النثر – فى تلك النهضة الأدبية التى سبق وذكرناها ، فالعباسى والبنا اللذان عرفا بجزالة اللفظ وبإطالة النظر إلى ديوان الشعر العربى فى عصورة المزدهرة، طلعا علينا بشعر له من السمات والصفات ما يدل على منبته السودانى ، وكذلك كان حال من جاء بعدهما فمن هؤلاء من غشيته الموجة الرومانسية التى علا شأنها من جديد ، وبقى بعضهم وفياً

لها حتى بعد إنحسارها ، وظهور موجات أُخر ، والعيب فى مثل هذا التقسيم الذى أشرنا اليه يكمن فى عدم دقته ، فقد تطرأ أعراض الرومانسية التقليدية والواقعية والرمزية جميعا على شاعر واحد ، وربما كانت هذه هى القاعدة وليس الاستثناء ، اننا لا نرفض هذه المدارس الفنية فى الادب ولكننا نرى الا نعتمد عليها وحدها ذلك انها تحصر الكاتب فى اطار محدود ، فلو أنك نظرت فى قصيدة عبد الله الطيب « الكأس التى تحطمت » لجاز لك أن تضعها فى باب مايسمى بالشعر الحديث فى موضوعها ومذهبها، حتى اذا جئت فوقفت عند قصيدته « طريق سمرقند » التى نظمها بعد تلك بنيف وعشرين سنة وجدت الاختلاف بينهما ينأى بالشاعر ان يعد فى مدرسة الشعر الحديث .

ان قصيدة « شاعر » لمحمد احمد محجوب وفية لصورة الشاعر التى تلاقينا عند على محمود طه وايليا ابى ماضى والتيجانى يوسف بشير وادريس جماع ، فالشاعر عند هؤلاء جميعا هو المخلوق الأسمى ، أقرب مخلوقات الله اليه ، الشاعر هو ذلك الرقيق المبدع ، المتحدث بالحكمة ، من يرى فى الوجود والكائنات مالا يراه الآخرون ، وهو مكلف بحمل الهموم والأوزار ، وشاعر محمد احمد محجوب :

شاعرٌ فجّر الرياضَ غناءً ... والروابى أثارهُن وثارا
سارَ فى مَهْمَهِ الحياة مجداً ... فى ظلامِ الوجود يهدى الحيارى
عندليبُ الرياضِ إمّا تغنىَ ... وجفاهُ الصحابُ أكدى وطارا
مدرجُ الحبِ والصبا والأمانى ... أنكرَ العيش عنده والجوارا
وطروبُ الغناء أضحى نُواحاً ... زادهُ البُعدُ حُرقةً وأُوارا
يا نجىَّ القلوبِ حسبُكَ همساً ... لا يطيبُ الغناءُ إلاّ جِهارا

أو فى قول أبى ماضـــى :

للهِ دَرّكَ شاعراً لا ينتهـــى ... مـــن جيد الا صبـَا للأجـــودِ

مرح الأزاهر فى غنائك والشذى ... وطلاقةُ الغُدران والفجر والندى

وكأنَّ زورك فيه ألف كمنجة ... وكأنَّ صدرك فيه ألف مـــرددِ

كم زهرة فى السفح خادرة المنى ... سكنتْ على بأس سكون الجلْمدِ

غنيتها فأستيقظتْ وترنحـــتْ ... وتألقتْ كالكوكبِ المتـــوقدِ

أم الشاعر هو صوفى التيجانى يوسف بشير المعذب عن نفسه يقول:

أسمعُ الخطْرةَ فـــى الـــذرّ ... وأســـتبطنُ حِســَـــهْ

وإضطراب النور فى خفقتِــه ... أســـمعُ جرسَـــــهْ

وأرى عيـــدَ فـــتى الـــوردِ ... وأســـتقبلُ عُرسَـــهْ

أم هو ذلك الضعيف إحتشد الأنام عليه فما تركوا له منفذاً ولا فضاء فيحلق فيه حراً يقول التيجانى :

من لهذا الأنام يحميه عـــنى ... قلمى صارمى وطرسى مجنى

هو فنى إذا أكتهلتُ وما زال ... على ريّق الحداثةِ فـــنى

حشدتْ جندها الحياة وزجتْ ... فيه من مُفزِع القوى كلَ قرن

وعزاؤه أنه ليس كالآخرين ، فهو الذى :

يفرحُ الطين فى يدىَّ فألهـــو ... جاهداً أهدمُ الحياة وأبـــنِى

كم أشيدُ الحصى قصوراً وكم ... أكبر من شأنها وأقدر شأنى

الشاعر هو هذا الذى يمشى فى مواكب الليل هيناً وقوياً فى آن ، أسوان وفرحـــاً

تعود صورة الثنائية الرومانسية عند إدريس جماع :

هين تستخفه بســـمةُ الطفلِ ... قوىٌ يصـــارعُ الأجيـــالاَ

حاسرُ الرأسِ عند كل جمالِ ... مستشف من كلِ شىءٍ جمالا

خُلقتْ طينة الأسى وغشتْها ... نارُ وجد فأصبحت صلصالا

ثم قال القضاء كونى فكانتْ ... طينةُ البؤسِ شـــاعراً مثالا

وظهر فى أخريات الأربعين وبداية الخمسين شعراء وآدباء درج مؤرخو الأدب السودانى على تسميتهم أدباء الواقعية ، وهو لما تقدم بيانه من أسباب ، تعبير تنقصه الدقة الصائبة ، جاء هؤلاء والموجة الرومانتيكية تؤذن بإنحسار وشيك ، وبدأت أشعار الشعراء منهم بالظهور حين كان الشاعر المصرى كمال عبد الحليم صاحب ديوان ( إصرار ) هو الشاعر المقدم ، وكان عبد الرحمن الشرقاوى قد بدأ يشتهر بعد نشر قصيدته الطويلة « من أب مصرى إلى الرئيس ترومان» . وغير هذين. هوجيل من الأدباء نهض من خنادق الشعر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، فنظر إلى أدباء المقاومة الفرنسية ، ثم وصلهم شىء مما كان قد كتب بول ايلوار ولوركا وناظم حكمت وبابلو نيرودا من الشعراء ، ومن الكتاب مكسيم جوركى وبخاصة روايته ( الأم ) وأجزاء سيرته الذاتية الثلاثة ، وكذلك مؤلفات هوارد فاست ، وريتشارد رايت وجون ستاينبك وقد ترجمت رواياته ( عناقيد الغضب ) و ( شارع السردين المعلب ) و ( رجال وفئران ) إلى العربية ، ثم إنهم من بعد ذلك أنه صبأ فسار تحت ظلال المنظمة الأمريكية الحاكمة، فخلّوا شأنه ولم يعد يحتفل به كثيراً ووصل كل هذا الأدب إلى السودان فنشأ عليه جيل من الأدباء والشعراء يختلف إختلافاً واضحاً عن من سبقوه ، وتيسر للجيل الجديد الإطلاع على هذا الأدب المترجم منه وما كان أصله العربية كشعر عبد الوهاب البياتى وروايات حنا مينا وعبد الرحمن الشرقاوى . بينما رغب من سبقهم من الأدباء عن هذه الحركة متمسكا وقانعاً بما كان قد إحترز من معرفة، وبمقارنة عابرة نستطيع أن نلمس الفرق بين أدب الثلاثين مثلا وقصيدة ( الحاجة ) لصلاح أحمد إبراهيم . . . ولا تتسع هذه المقدمة للحديث عن الأساليب الشعرية المختلفة .

ولقد ظهرت كتب القصة بعد الشعر ، وقد يحمد لعثمان على نور أنه بدأ بكتابة القصة السودانية جاداً وتفرغ لها فلم يجرب قلمه فنا آخر من فنون الأدب. وهو أول من نشر مجموعة قصص قصيرة هى ( غادة القرية ) ثم عاد وأصدر مجلة ( القصة ) ولها ينسب الفضل فى تقديم الكثير من كتاب القصة السودانية.

وبدأت القصة السودانية القصيرة في مجلتى ( النهضة ) و ( الفجر ) ، ولم تكن لتماثل المقالة أو الشعر شيئاً ، وفى الخمسين جعل شأن القصة يعلو حين خصصت جريدة ( الصراحة ) عدداً أدبياً شهرياً فتحت فيه صدرها لكتاب القصة وشجعتهم ، وتطورت تطوراً ملموساً فى زمان وجيز . وأستطاع الطيب صالح بمجموعة ( دومة ودحامد) وروايتيه ( موسم الهجرة إلى الشمال )(وعرس الزين ) أن يخرج بالأدب السودانى إلى الآفاق العالمية . وغير عثمان على نور والطيب صالح باقة منتقاة لكتاب القصة السودانية تظهر فيما تظهر أصالة محببة وتشير إلى مذاهب فنية شتى .

وبعـــد . .

فهذا الكتاب محاولة لجمع مختارات من الأدب السودانى فى صعيد واحد ونقد هذا وتقويمه ، الرضا عنه أو السخط على ما فيه ، كلها أمور قد تنشأ فى أذهان من يطلعون عليه وللقارىء الكريم الحـــرية كلها فى أن يخرج منه بما شاء وأصطفى ، وبالله التوفيـــق .

عـــلى المـــك

برى ١٩٨٠

# هوامش المقدمه

(١) بكرى بشير الكتيابى ومحمد عبد الحى (التجانى يوسف بشير : السفر الاول ، الآثار النثرية الكاملة ) . شركة مطابع راى ( ليمتد) . ١٩٧٨.

(٢) راجع مقالة ( الترف الكاذب ) لأحمد يوسف هاشم .

(٣) راجع مقالة ( ماذا وراء الأفق ) لمحمد عشرى الصديق .

(٤) ديوان البارودى : دار المعارف مصر ( ١٩٧١ ) ص ٥

(٥) عبد الله الطيب « محاضرات فى الإتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان » معهد الدراسات العالية : القاهرة ( ١٩٥٩ ) ص ٣٦ .

(٦) راجع مقالة ( فى سبيل التعارف الأدبى بين مصر والسودان ) للتيجانى يوسف بشير .

(٧) محمد عشرى الصديق « آراء وخواطر » لجنة التأليف والنشر وزارة الإعلام والشئون الإجتماعية : الخرطوم ( ١٩٦٩ ) ص ٥ .

(٨) محمد أحمد محجوب « نحو الغد » دار التأليف والترجمة والنشر : جامعة الخرطوم - ١٩٧٠ - ص ٤ .

(٩) مجلة النهضة السودانية : عدد ١٧ المجلد لأول ٢٤ يناير ( ١٩٣٢ ) ص ٤ .

(١٠) عبد الله الطيب : المصدر نفسه ص ٤٧ .

(١١) المصدر نفسه : ص ٦٤ .

(١٢) محمد عشرى الصديق : المصدر نفسه ص ٤٧ .

(١٣) المؤتمر هو تجمع للمثقفين السودانيين الذين كانوا يعملون بدواوين الحكومة وأشترك معهم بعض التجار ، وقد بدأ فكرة فى الحلقات الأدبية ثم صار إلى هيئة ذات أهداف إجتماعية وثقافية وسياسية ، وشهد فبراير ١٩٣٨ مولده .

# الباب الأول

# المقالات

عرفات محمد عبد الله

# تمجيد الخالق *

وعدت في مقال سابق أن ابحث هذا الموضوع من حيث أن « الغاية من خلق الانسان تمجيد خالقه » ولن أبدو هنا فى ثوب الفقيه المفسر ، فلهذا الجانب من البحث رجال هم بحمد الله اقدر منى على ايفائه حقه . كما ان الآيات الشريفة التى تشير الى ذلك مثل قوله تعالى « وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون » كثيرة معروفة عند المؤمنين « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » فلندرس الموضوع باعتباره قضية فلسفية خاضعة لحكم العقل غير مغفلين علاقتها بالعلم الحديث .

( المجد) لغة الكرم . و ( الماجد ) و ( المجيد ) كريم النفس والاصل وهما من اسماء الله الحسنى ، وله تعالى المثل الأعلى فى الصفات. و ( التمجيد) التكريم والتعظيم وتمجيد الخالق فى عبادته وطاعته وابتغاء مرضاته والانسان بحسب الظاهر الواقع هو المخلوق الرئيسى فى هذا الكون الأرضى . أو كما يقول علماء التطور هو الدرجة العليا التى بلغتها « عملية التطور » .

وقد عالج كثيرون من الكتاب والعلماء والفلاسفة مسألة الغاية من هذه الحياة الأرضية بما فيها من جمال زائل وزخرف باطل وقسوة تبدو فى بعض الجوانب . واختلف الباحثون بحسب تباين وجهات نظرهم الى الحياة والخليقة . فعند المؤمنين منهم بصحة الأديان السماوية المعروفة ، بل عند الكثيرين من أهل الديانات الأخرى ، ليس ثمة صعوبة ولا اشكال : فالمسلمون والمسيحيون والاسرائيليون يقولون اطلاقا وبلا قيد ان الانسان انما وجد فى هذه الحياة الدنيا باعتبارها مرحلة فى طريقه الى حياة الخلود .

---

* نشرت بمجلة ( النهضة ) العدد ١٧ بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٣٢ .

وانه بقدر صلاح سيرته وسريرته فى حياته هذه يكون قربه من الفوز بالسعادة الابدية . ولا يظن أحد ان معنى هذا القول التنفير من الاعمال المؤدية الى صلاح المرء فى دنياه أو عمران هذه الدنيا والتمتع بطيباتها . بل على النقيض من ذلك ! بل لو صح ذلك لما رأينا تلك الكتب السماوية لا تفتأ تشرع للناس قوانين المعاملات بل والمجاملات حتى قوانين الحروب . والقرآن الكريم أوفاها فى هذا المجال بما يتفق وكونه خاتمتها أو « النموذج الأتم » الذى انتهى اليه تطور الأديان فى تمشيها مع تطور عقول البشر وادراكهم للحقائق .

والبوذية من أكثر الأديان حضا على التأمل فى الكون ومحاولة الصعود بالروح حتى تصلح للاتصال بعالم العلويات . وان فلسفتهم لتبدو صعبة ومعقدة لاول نظرة شأن جميع الأمور المتعلقة بالروحانيات ، يصعب ادراكها على من لم يروض على مثلها ولأورد لك قول شاعر الهند وفيلسوفها الكبير ( رابندرانات طاغور ) فى رسالة ( سادهانا ) :

« يبدو الغرب فخورا بما يظنه تغلبا منه على الطبيعة ، كأننا نعيش فى عالم معاد لنا ولا مندوحة لنا من أن نغتصب ما نريد اغتصاباً من يدى نظام أجنبى عنا . وهذا الاحساس ثمرة العادة والتثقيف الذهنى فى عالم ( المدن المسورة ) ففى حياة المدن يحصر المرء شعاع بصيرته فى حياته وأعماله وهذا ما يخلق انفصالا مصطنعا بينه وبين الطبيعة الشاملة التى يرقد فى احضانها

أما فى الهند فوجهة النظر غـــير ذلك اذ هى تنتظم الكون والانسان فى حقيقة عظيمة واحدة . والهند تكبر من شأن التجانس الذى يوحد بين الفرد والعموم وتشعر باننا لا نستطيع أن نتصل أى اتصال بمحيطاتنا اذا كانت هى أجنبية عنا . . . . هناك ( الكاياترى ) وهى الآية التى تعتبر خلاصة الخلاصة ( للفيدا ) والتى نستعين بها فى محاولة ادراك الوحدة الاساسية للكون وروح الانسان الواعية ، ونتعلم كيف نتصور هذه الوحدة تشدها ببعضها الروح الخالدة التى خلقت قوتها الأرض والسماء والنجوم . وفى

نفس الوقت تشع على عقولنا ضوء الادراك الذى يسبر ويبقى باستمرار غير منقطع مع العالم الخارجى » .

والفكرة المستخلصة من فلسفتهم « اندماج الانسان بالروح فى الكون أجمع » اندماجا كلما كان تاماً كان أوفى بالمقصود .

ولا شك فى أن المدنية الغربية بما قامت عليه من اساس مادى لا تمت الى الفلسفة الالهيــة بصلة تذكر . فهى مدنيـة الليرة والدولار مدنيـة التنازع العنيف فى سبيل المطامع التى لا حد لهــا ، وهى لهذا السبب لا تبدو جميلة ولا جليلة الا من جانب واحد هو جانبها الاصطناعى حيث تتجلى ثمرات العقول البشرية فى الابداع وتبرز فى ثوبها المصقول الموشى تسحر العيون وتخلب الالباب ولكن لا يوشك الناظر الاديب أن تخترق عينه الطلاء حتى يجد اللباب نارا كامنة وبارودا وديناميتا لو سلطت عليه شرارة واحدة من شرار المطامع لنسفت أحشاء تلك المدنية العظيمة فى الهواء تذروها الرياح رمادا صرفا .

وكم تخيل الفلاسفة الالهيون مجتمعات تقوم مدنيتها على الحب والاخاء والعدل والعمل فى سبيل الخير العام ، وهم بذلك يحاولون تصوير الغاية من وجود البشر فى هذه الدنيا فى أن يتعاونوا ولا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم . والمثل الأعلى للمدنيات ان تقوم على ثلاث دعائم قويمة من العلم والفن والفلسفة قياما صحيحا يضمن لها البقاء على عوادى الايام ولم يرو لنا التاريخ تحقيقا تاما لهذه النظرية فى الواقع وبعث الله الرسل واختتمت شرائعهم بالشريعة المحمدية . وهنا اريد ان أوجه النظر الى خاصية بارزة فى هذه الشريعة السمحاء – ان لم تكن جديدة ، فهى أبرز فيها من سواها – وهى أنها جاءت لتكفل ( سعادة الدارين ) وهذا بيت القصيد فى بحثنا فلنعد الى سياقه .

لنجعل من موضوعنا قضية فلسفية صحيحة تتلخص فى ان « الغاية من خلق الانسان تمجيد خالقه » ولكيلا نخرج عن نطاق بحثنا يجب ان نسلم

مبدئيا بوجود الخالق وحصول الخلق لان موضوعنا الغاية من الخلق لا كيفية حدوثه . والخلق والتمجيد ينصبان على جميع الموجودات ومنها الانسان ، وعلى هذا يمكننا ان نعرف التمجيد بأنه الخضوع لشريعة الله وطبيعة الكون التى فطره تعالى عليها والقيام بالقسط اللازم من عمران الدنيا عمرانا صالحا يؤدى بحكم صلاحه واستقامته الى سعادة الدار الآخرة . أما الكائنات الدنيا فأكثر قياما بواجبها هذا من الانسان واكثر عبادة لله وأصدق تسبيحا . فالعناصر اللاعضوية تمشى فى ادوار تغيراتها الطبيعية والكيماوية حسب القوانين الازلية والعصيان هنا مستحيل . والكائنات العضوية من أميبا الى بكتريا الى سواها من الحيوانات تقوم بدورها فى الحياة خاضعة لنواميسها . وفى هذا تمام قسطها من عبادة الخالق وتمجيده ونجد ذلك فى جميع الحيوانات حتى نصل الى صاحبنا الانسان فنقف حائرين ؟ !

الانسان خليفة الله فى أرضه ، هكذا قيل لنا فى الكتب المنزلة وهو وصف بليغ شامل لعظم شأن الانسان وضخامة مهمته فى الحياة . ولما كان الانسان هو المخلوق الارضى الوحيد الذى اتصف بالتفكير والقدرة على التصرف والابداع بحكم الواقع وباعتراف الجميع من مؤمنين وماديين فلا شك فى أن قسطه من التمجيد الذى وصفناه هو القسط الأصعب . فهو لا يعيش بمقتضى غرائزه الطبيعية وحدها بل يتصرف بمقتضى عقل مرن يجرى مع الشهوة احيانا ومع رغبة الخير والاصلاح حينا . ولو عاش الناس كبعض العجماوات لما كانت هناك مدنية ولما كان لنا أن نبحث قضية كهذه بحثا فلسفيا . فهذا العقل الذى جعل للانسان ميزة فى الحياة ورفعه درجات على المخلوقات الدنيا هو الذى حمله أكبر قسط من المسئولية قبل هذا الكون ( أعنى قبل خالقه ) ولم يأمرنا الدين بشىء شاذ أو مخالف للطبيعة فى صدد تأدية هذا الواجب على الوجه الاكمل . ولأدلل على ذلك لمن هو فى حاجة الى التدليل :—

يأمرنا الاسلام بتوحيد الله وتقديسه والايمان بملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر – أعنى أركان الاسلام وأركان الايمان المعروفة التى بها يحق لنا ان ننتسب الى هذا الدين وندرج فى اعداد المسلمين المؤمنين وهذه هى الحلقة التى تربطنا بالحقوق والمسئوليات المترتبة على كوننا مؤمنين بشريعته . ثم يفصل لنا ما حرم وما حلل ويذكر بصريح العبارة انه تعالى حلل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث . ويشرع دستور الحياة الذى إن اتبعناه أمنا من الوقوع فى مهاوى الضلالة وفزنا بالسعادة فى الدارين . وليس من اختصاص بحثنا اليوم تفصيل هذه الحقوق والواجبات والتدليل على صوابها ومنطقيتها فلذلك بحث آخر طويل .

كما أننى ذكرت الاسلام هنا باعتباره مكملا ومتمماً للاديان السماوية التى سبقته فما ينطبق عليه فى هذا البحث ينصب عليها أيضا انما أردت ان أنفى من بعض العقول فكرة خاطئة هى أن « تمجيد الخالق » معناه الصلاة والصوم والمناسك الأخرى لا أكثر . فليس أكثر من هذا امعانا فى الضلال . فالصلاة والصوم والحج مثلا بصفتها أعمالا بدنية مجردة عن كل شعور روحى بالغاية منها وحكمتها لا تمت الى التمجيد بصلة . بل ربما جعلت من باب النفاق أو على الأقل من باب ارهاق البدن بما لا طائل تحته . ولكن للمناسك جميعاً حكمة بالغة تتخلل تفاصيلها وجزئياتها وشعور النفس بالقنوت وتحقيق الحكمة هو الذى يجعل لتلك الصور والأشكال قيمة حقيقية . كما ان الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات ان لم تقترن بالسير على منهاج الشريعة الغراء فى السر والعلن وتحليل ما حلل الله وتحريم ما حرم ، ان لم تمتزج بذلك كانت غير وافية بفكرة التمجيد السامية .

أمرنا الله بالتحلى بالفضائل وقد عرفها لنا ، وبالابتعاد عن الموبقات والرذائل وقد شرحها ولم يذر كبيرة ولا صغيرة الا أحصاها ، فاذا كنت مسلما مؤمنا وصفا ومعنى وعملا وراقبت الله فى كل شئونك وأديت واجبك نحو أهلك وعشيرتك وأمتك والناس أجمعين فقد اصبحت قمينا بالسعادة والسلامة فى هذه الحياة الدنيا وبالفوز فيما أعده الله لعباده الصالحين فى

الحياة الخالدة وبصفة كونك من ( عباده الصالحين ) كنت أيضا قد قمت بقسطك الكامل من تمجيد خالقك الذى تمجده الكائنات جميعا ، كل على طريقتها ( أو قل بلغتها ) التى لا نفهم عنها الا نزرا دون اليسير .

والآن اسمح لى أيها القارىء الفطن ان أسألك : أى فرق بين هاتين الكلمتين ( تمجيد الخالق ) وبين ما يسوقه الماديون من تعابير مطولة عن التجانس أو الملاءمة أو التجاوب بين الطبيعة والحياة ؟ نعم أى فرق سوى انك تقول « الخالق عز وجل » وتفهم ما تقول بقدر ما يستطيع ذهنك البشرى أن يدرك وهم يقولون « الطبيعة الخالقة ، قاموس التطور ، قاموس الارتقاء قانون الانتخاب الطبيعى . . الخ ،. الخ » ويأتونك كل يوم بتعريف جديد ؟

وخلاصة القول ان الانسان وجد فى هذا الكون كراكب سفينة ولا مناص له من تأدية الواجب عليه بدفع أجرة سفره وأن يسلك قبل السفينة وربانها ونوتيتها وراكبيها المسلك الذى يضمن له السلامة والسعادة بينهم أثناء السفر وبعد وصولهم الى ( ارض الموعد ) التى تنتظره وتنتظرهم فى نهاية السفر والا ساءت حاله بينهم أولا وآخرا . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

أحمد يوسف هاشم

# الــترف الكـــاذب *

يجول الانسان بنظره فى أنحاء العالم طراً فلا يجد أمة من الامم شرقية كانت أو غربية لها من المرافق الحيوية والاستعداد الفطرى مثل ما لنا ثم هى فى الحضيض العمرانى والاجتماعى والمالى الذى نرسف فى أغلاله ، ويحار المفكر فى أمرنا كيف يعلل هذا الخلل الذى نخر عظامنا وابلاها وحال فى الماضى والحاضر وأخشى ان يحول فى المستقبل بيننا وبين التقدم فى هذه الحياة.

اننا أمة قديمة ولو إلى حد محدود ، كد آباؤنا واجدادنا وسعوا سعيا حثيثا للرفاهية والسعادة وها نحن على أثرهم نكد ونكدح لنفس هذه الغاية وبالاسف ضاعت تلك الجهود وهذه بلا جدوى وما زلنا رغم زعمنا التقدم واقفين عند نقطة الابتداء . فما هو السر الذى حرمنا نعمة التقدم والسير الى الامام أسوة بالامم الأخرى ؟ ؟ ونحن كغيرنا متذرعين بنفس الاسباب أو بأسباب أقوى من أسباب البعض من أولئك الغير ومع ذلك فهم متحركون ونحن جامدون وهم منعمون ونحن متحسرون .

يقول البعض ان هذا راجع لطبيعة البلاد الجوية وان الطقس الحار يفقد الانسان كثيرا من نشاطه وعقليته . وقد يكون هذا سببا اذا أردنا أن نقيس أنفسنا بأمم أوربية فماذا يكون السبب اذا قارنا أنفسنا بالامم الشرقية التى لا يختلف طقس بلادها عن بلادنا ؟ فاننا اذا غادرنا وطننا لأية ناحية شرقية لمشاهدة المبانى الشاهقة والقصور العالية وأساليب الحياة البهيجة ومتى عدنا ادراجنا لاوطاننا رأينا الركود والاستقرار وأساليب من الحياة بينها وبين البهجة والنضارة مثل ما بين الأرض والسماء ورأينا تلك الأكواخ تعمر القرى فى طول القطر وعرضه . وما أظن أن سيدنا آدم عليه السلام كان

* نشرت – بالعدد ١٧ – من مجلة ( النهضة ) فى ٢٤ يناير ١٩٣٢ .

يسكن أقل منها قيمة عندما هبط هذه الأرض ومهما قلنا فيها فهى من مخترعات عقل الانسان الاول ـ ثم أننا لنجد فى غير بلادنا من البلدان الشرقية بضعة أفراد فى كل قرية أو مدينة منحهم الله بكدهم وتبصرهم نعمة الغنى والجاه وهؤلاء هم ملجأ الفقراء والمشاريع العامة، ويستطيع الواحد منهم أن يقوم بنفسه ما أجمعنا نحن على القيام به وما زلنا نتلكأ فى الطريق ليس عن بخل أو إحجام ، كلا إنما هو العوز المخجل والفقر المدقع فالى متى ؟

قد يقول قائل ان للثورات الأهلية التى منى بها هذا القطر البائس بعاداته حتى دخول هذه الحكومة دخل كبير فى هذه الضعة الاجتماعية وما أظن هذا التعليل شافيا لغلة أو ملزما لحجة فان الثورات الاهلية مهما حمى وطيسها لتضعف قوما وتقوى آخرين وأن أموال هؤلاء تنتقل الى أولئك وهكذا دواليك وان كان هذا التناوب سيقلل من قيمة الأموال ويسقط منها جزءا الا أنه يسير لا يعتد به، وعلى كل حال فثروة البلاد بين أهليها لم تلتقطها أيدى الاجانب . وكيفما بالغنا فى ضرر الثورات الأهلية فليست نتيجتها وحدها هذا البوار العمرانى .

فى الماضى كان للنخاسة شأن كبير فى انماء ثروة البلاد، والتجارة كانت أجدى وأنفع مما هى الآن بكثير وبالرغم من هذا فلست بواجد من الآثار ما يستحق ان تعتبره مظهرا من مظاهر العمران الاجتماعى وانى جد مقتنع بأن للثورات الأهلية وطقس البلاد بعض الأثر فى هذا التأخر المحزن وبفكرى أن هناك سببا آخر أقوى مفعولا من هذين العاملين وأقرب الى الصواب هذا السبب هو الظهور الكاذب أو الترف الكاذب كما أريد أن اسميه وهو خلة طبيعية فينا نحن السودانيين دون الأمم الأخرى منذ القدم ، وهى التى لازمت أجدادنا وآباءنا وما زالت متعلقة بأهدابنا وهى التى عاقتهم وستعوقنا حتما عن السير إلى الأمام ما دمنا ننفق اكثر مما نملك وانها لوصمة فى جبيننا وعنواننا الذى يعرفنا به الأجانب ولا نستطيع جحدها سواء فى الماضى أو الحاضر فانها أبرز من أن تجحد . فلا نستطيع محوها ونبصر الحياة بتمعن وتفكر وندرس

احوالنا بعين ثاقبة وفكر ناضج مبتعدين كل البعد عن الترف والمظهر الكاذبين. اننا اذا وفقنا لذلك، وهذا ما أرجوه، فسنقطع طريقنا بدون عناء ونصب وسنرى أو يرى أبناؤنا وأحفادنا أننا أزلنا أكبر صخرة فى الطريق حالت بيننا وبين التقدم والعمران أمدا طويلا . ويجدر بى أن أذكر أن هذه الخلة هى خصلة شرقية عامة وعربية على وجه الخصوص وقد تناساها غيرنا أو على الاقل خفف من غلوائه منها ونحن ما زلنا عليها وهى ما زالت علينا وقد آن لنا التخلص منها بقليل من الثبات والتبصر وقوة العزيمة .

ما معنى أن الرجل هنا سواء فى الماضى أو الحاضر يهجر قريته ويحوم فى القرى والأمصار متاجرا ناهكا قواه متغربا عن وطنه الاصغر هاجرا لزوجه وأولاده وأهله وعشيرته مضيعا لشطر كبير من حياته ثم إن كتب له التوفيق فى رحلته وعاد رابحا غشى أقرب سوق من بلدته وسولت له نفسه شراء كلما حواه السوق من ملبس ومأكل ومشرب ونفض محفظته مما جمعه فيها ببذل النفس والمهجة على اكداس الغرور والظهور الكاذب ليدخل البلدة دخول الغزاة الفاتحين الذين جمعوا مالا لا يفنيه الدهر وليبدده تبديد ( من لا يخشى الفقر ) فيبذل ذات اليمين وذات اليسار بغير روية أو أناة غير ناظر للمستقبل ادنى نظرة ولا الى ما تجشمه من نصب فى جمعه وليت بذله هذا يكون فيما ينفع الاهل والوطن . . . ! وما هى الا أيام قلائل حتى يعيد سيرته الاولى ويرجع للعهد الاول عهد الذل والهوان ويولى راجعا تاركا أهـله فى العراء والفقر وهو لا يدرى ما يخبئه له القدر من خيبـة وفشل وأذكر أننى أعرف بمصر رجلا مكث فيها نحو العشرين سنة عدا السنين التى قضاها بجزيرة العرب والشام والعراق والحبشة خرج من أهله للتجارة كغيره وكم أثرى واثرى فى هذه المدة وكلما تحسنت حالته بقطر من هذه الاقطار صاح شيطان تلك الخلة الخسيسة فى نفسه وسول له الظهور وبم يظهر أبعلمه ؟ كلا فهو ليس بالعالم ، أبحسبه ونسبه ؟ كلا فهو ليس بحسيب ولا نسيب عندهم ، ابجاهه وبذله ؟ نعم هذا هو الذى سيظهره عليهم ويجعله

إماما لهم ، إذا لا بد من البذل والبذخ والترف فى غير موضعه حتى يلفت اليه الانظار وعندما يصل هذا الهدف يصل حافة الهاوية ويضحى سخرية الساخرين وهزء الهازئين فيفر الى قطر آخر وهكذا حتى القى عصا ترحاله بمصر وفعل بها فعلته المشؤومة وبات الآن يستجدى الاكف ويرمى بنفسه تحت أقدام من كان فى مقدوره — لولا الترف الكاذب — أن يكونوا خداما له لو عقل وتدبر — هذه يا قوم قصة واقعية لأحد مواطنينا تدل على مبلغ حبنا للظهور الكاذب وأى ظهور أكذب من هذا الذى يريد صاحبه فى بلد كمصر ان يظهر بترفه وتأنقه فى الملبس والمسكن ، ويعطى الشحاذ خمسين قرشا بدل قرش واحد ويعتقد أنه بعمله هذا سيكون من أبرز رجالات مصر وما علم ان هؤلاء لا يضعون مليما فى غير موضعه ، اما هو فلا دخل ولا خرج معروف لديه — وهذه القصة رواها لى صاحبها (وتحققتها من غيره) فقلت له اذا لماذا لا ترجع الى أهلك وحالتهم الآن حسنة وفى امكانك ان تجد بينهم عملا يحفظك من الاستجداء الى ان تلقى ربك وقد علا الشيب ناصيتك ولم تبق لك الا سن واحدة تداعب بها أصناف المأكولات فى مائدتك القديمة ان سمح لك الدهر بها مرة ثانية — فأجابنى بقصيدة غناء طويلة قديمة أحفظ منها هذه الشطرة التى تدل على مبلغ بذخنا وما كنا نجله من العادات ولا زلنا ونموت دونه وهى ( خايف الهزلة قولت ناس فلان شن جاب ) وما أن سمعت هذه الشطرة الا واعترتنى هزة عنيفة هى هزة الغريزة الفطرية المتغلغلة فى دمائنا والتى نثور لها ونهدأ من أجلها وشعرت حقيقة بحروجة موقفه ان عاد بالخيبة بعد هذه المدة ، وستعتبر هذه القصة أيها القارىء مأساة اذا علمت ان لهذا الرجل زوج واولاد يتمهم وهو حى ولا يعلمون من أمره شيئا حتى الآن ، نعم هى مأساة الترف الكاذب — وبهذه الشطرة وأمثالها يبذل العائدون لاوطانهم كل ما جمعوه من نضار بما فى ذلك الربح ورأس المال . . . وبها وبأمثالها منذ القدم نحن وقوف والناس سائرون . والآن، ونحن فى عصر نزعم فيه التقدم والعمران، نجد أبرز صفاتنا فينا صفة

الظهور الكاذب فالتاجر ما زال على حالته التى اسلفتها والموظف يتعاطى مرتبا لو قسته واحدى بدله لاربت قيمتها عليه بكثير وتأخذك الدهشة والحيرة ان حاولت فهم حياة تستغرق فيها الملبوسات وحدها كل الايراد ولا تكاد تجد فرقاً بين من يكون راتبه اربعة جنيهات وعشرين جنيها من هذه الناحية فبالله ماذا يشين المرء منا مستخدما أو تاجرا أو مزارعا أو عاملا ان سكن ولبس واكل على قدر دخله مع ادخار شيء للطوارىء؟وماذا علينا ان ألفنا جمعية تحفظ وتستثمر هذا المدخر؟ الا ترون معى ان لو فعلنا ذلك شيدنا القصور وأنشأنا الحدائق وفتحنا المصارف وجعلنا بلادنا جنة فى الارض نسعد فيها ونخلب بها الالباب .

وفى الختام اقترح على اخوانى الشباب المتعلمين تكوين جمعية لمقاومة جرثومة هذه الخصلة الذميمة فهم قدوة اخوانهم من غير المتعلمين بل هم قبلة هذا الشعب التى يوليها شطره ويعتمد عليها فى حاضره ومستقبله . ولا أشك فى ان مهمتها ستكون سهلة ما دامت حاجتنا جميعا تدعو الى التخفيف من غلواء هذا الظهور الكاذب وما دام كل فرد منا يشعر بالعبء الثقيل الذى يحمله كارها مغمورا بمياه هذا التيار الجارف ومتى تقدمنا نحو هذه الغاية خطوات معدودات فستتم من نفسها عندما يلجئنا حب الظهور ذاته الى التقشف فى حياتنا فنكون انتفعنا من خلة طالما اضرت بنا وعند ذاك تكون المودة هى البساطة وحب الظهور هو الاقتصاد .

حقق الله الرجاء وأرانا قبر تلك الخلة التاريخية البليدة .

محمد عشرى الصديق *

# مــاذا وراء الافــق ؟

يقف الانسان الشاعر فى كل مرحلة من مراحل عمره متسائلا عن غايته فى الحياة ، وعن عمله فيها ، وعن وسائله ومؤهلاته ، وما هى الآمال التى حققها أو التجارب التى اكتسبها ، وهل اقترب من المثل الاعلى الذى كان يؤثره بالفطرة وينير له الواقع والظروف والكفاءة والسعى : طرائقه واساليبه وهل ربح صفقة الحياة ، ام عاد منها خاسرا مغبونا ؟

وهو قد يحاسب نفسه حسابا شديدا دقيقا ، وقد يستعرض امام خياله مواكب أعماله وآماله وآلامه الماضية ، وساعات افراحه الفارطة فيبتسم ابتسامة تنم عن الرضى والارتياح ، وقد يمازجها شىء من الطرب الكريم والاعجاب البرىء ، لحياة قضيت على الوجه الطيب ، ولماذا لا يطرب لنفسه ويعجب بها وهو يرى تلك الساعات بقعا من النور ترقص فيها عرائس الفوز والتوفيق ، وتمرح فيها وتغنى جنيات الجهد الفاضل.؟

وقد يعروه من الوجوم والانقباض والتقزز اذا ما رأى فترات الظلام الدامس تصيح فيها شياطين العمل الضائع هباء ، وتصرخ فيها أبالسة الفرص التى انتهبت اللذات ، وفيما لا يفيــد ، أو يعود بالخسران الأكيد ، وقد تغلب الظلمة على النور ، أو يطغى النور على الظلام ، ولابد ان يحكم الانسان بعد هذه المراجعة والمحاسبة حكما على الحياة ولا بد أن ينطق آلاءه أو نعمه ، أو يظل فى حالة من التردد ، والشك العقلى ، والحيرة النفسية ، ينظر مرة الى الوراء ومرة الى الامام ، يغلب اليأس على الرجاء فيغوص الى الأعماق حيث الزوابع والاعاصير ،وحيث المخاوف والأهوال، وحيث الظلام والموت.

---

* نشرت بالعدد ٨١٨ من جريدة « حضارة السودان » الصادرة فى ٣٠ اكتوبر ١٩٢٩ .

وينتصر الرجاء فيعلو باليأس الى الأعالى حيث الحرية والقوة والحكمة وحيث العلاقة والإيناس والثقة والطمأنينة .

وهذا المتردد الشاك الحائر ما دام لا يهلك نفسه ، يقول نعم للحياة ضمنا ولا مشاحة فى ان كل الناس يقولون نعمهم للحياة عملا . الا المنتحرين فاؤلئك الذين لا يستطيعون غير ذلك .

وبعد هذه النتيجة ينظر الانسان فى عدده وأدواته وعقله وعضلاته . وظروفه وأوقاته فيصلح منها ما يتطلب الاصلاح ، ويبنى منها ما تهدم ويسن منها ما تآكل وصدىء وينزل من جديد الى معترك الحياة أكثر قوة . وأكثر معرفة ، وأكثر ثقة .

ولكن الامم أقوى من الأفراد ، فليس هناك أمة تخسر تجارة الحياة تفكر فى ان تنتحر دفعة . وقد تلم بها كل صنوف المحن وأنواع الآفات . من حروب ومجاعات وأوبئة ، ولكن لها من القوة والمرونة والصبر ما يجعلها تخرج ظافرة كثيرا ان لم يكن الى النهاية .

والحياة جبارة قاسية لا تعرف للرحمة سبيلا فى اكثر الاحيان . فمن لم يأخذ بسننها ، ويجرى على منهاجها ، خلعته وداسته تحت قدميها ، فردا كان أو أمة . نباتا كان أو حيوانا . وهى أحيانا تقدم للاحياء فرصا فريدة للسمو والرفعة ، فمن تنبه لها ، وتنهض اليها قادته الى أعلى . ومن احسن استثمارها دلته على مواطن النجاح والرقى . ومن غفل عنها أو تغافلها ، تركته حيث يندم ولا ينفعه ندمه شيئا .

وكما ان الطفل فى سنيه الاولى ، وعند تفتحه للحياة ، كالزهر فى مطلع الربيع ، يكون أصلح للتربية والتقويم ، واسمع للارشاد وأعمل به . كذلك الأمم فى بدء تكوينها تتمخض بأجمل الاحتمالات وأينع الآمال ، فاذا قام فيها من يرشدها ويقودها بحزم وبصيرة وتعقل ، تبعته ونالت الرفعة والمجـــد .

والآن يتمخض العالم ، وخصوصا الشرق ، بانقلاب خطير عميق فى كل المساعى والجهود ، فهو ينظر الى مخلفات الماضى بعين الريبة والشك ويحار فى حاضره ، ويندفع الى المستقبل . ان أكثر تجاربه الماضية أبانت عن فشل رائع ، فنظمه السياسية ، وتقاليده الاجتماعية ، وعاداته الادبية اليوم فى قدر يغلى ، وسيتبخر الفاسد ، ويرسب المفيد .

هو الآن فى شغل أكثر من ذى قبل بالمسائل العالمية ، وقضيته الحياة الكبرى ، فبينما يصل الغربيون الى فتوحات واكتشافات فى عالم المادة تكاد لا تحصى ، ويوشك ان يقبضوا على ناصية الطبيعة ، اذا بهم يرون عالم الروح تسوده فوضى شديدة ، وتناقض عجيب ، وكساد ماحق ، وحيرة سحيقة . فتشتد الحرب بين العقل وبين تلك القوى التى تسيطر على عمل الانسان ومصيره ، والتى نسميها بالنواميس الازلية ، ولا ندرك لها غرضا ، أو نحكم لها تسييرا ، وبين المادة الناطقة ، وذلك الاحساس الروحى الذى يتخلل العالم ، وبين العقلية القديمة والعقلية الحديثة ، وبين الأدب القديم ، والأدب الحديث وبين النظام العتيق والنظام الحديث .

وهناك آسيا ، تقف أولا أمام نفوذ الغرب وحضارته وثقافته ، موقف الحيرة والتوجس والاحتقار ، فترى أنها لا شك فاشلة ، فتلبس له سلاحه ، وتنازله مدججة ، متوعدة ، متهددة ، وتنافسه فى اقتصادياته وصناعياته .

وهذه اليابان والصين والهند والافغان وتركيا ومصر تتطور تطورا عميقا ، ولا بد ان تصل الى ما تطمع اليه من رقى وعظمة . وهى جميعها ذات غرض واحد ، ولكنها ذات وسائل مختلفة : فبعضها يدخل الاساليب الحديثة برفق وحذر ، وبعضها بشدة وصرامة ، وبعضها باعتدال وفهم .

والشرق شرقان : شرق متطور متجدد ، وشرق جامد لا يتطور . ولا شك ان السودان لا يحسب بحال من الاحوال فى الشرق الناهض . فنحن لا نزال نعبد القدماء ، ونحترم التقاليد البالية ، ولا تزال اساليب السلوك عندنا

هى اساليب القرون المظلمة ، وقيم أكثر الأشياء عندنا هى قيم تلك القرون ، وطريقة كتابتنا وتفكيرنا طريقة عتيقة لا تتلاءم وتطور العالم السريع ، ولا تتمشى وتنازع البقاء الذى يزداد كل يوم احتداما ، وأدبنا على قلته وتخلفه مبالغ فيه متملق ، معقد ، صعب .

فنحن فى حاجة الى الأدب الصادق الجرئ ، البسيط ، المعقول . ونحن فى حاجة الى نظر جديد ننظر به الى الشرائع والآداب والفلسفة والأديان والى كافة الشئون ، ونحن الى الآن لم نكن أمة كما يقول لنا الكثيرون من الغربيين ولا تزال بلادنا مجهولة لدى العالم ، ولا نزال فقراء فى الروح مهازيل مسنين عجافا جائعين ضائعين بلا مال أو كيان . ولا تاريخ لنا ولا فنون ولا آداب ولا علوم ولا صناعات ولا حرف . ولا يزال عظماؤنا هم عظماء الفتك والحروب والتدمير ، فلا شاعر ولا فيلسوف ولا كاتب ولا فنان ولا مصلح يلاقيك فى تاريخ هذه البلاد ، وليس بيننا من يعد من رجال العلم أو من رجال العمل ، وليس للسلم عندنا انتصارات كما للحرب وارضنا سهلة واسعة جدباء ليس عليها من آثار العبقرية والنبوغ الا النزر اليسير .

ولقد كانت بلادنا منذ ثلاثين سنة ميدانا واسعا تدور فيه رحى الحرب الضروس ، ليلا ونهارا ، ينهب الآمن ، ويشنق البرىء ، ويقتل الاطفال والنساء ، ويشرد الرجال فى القفار ، وتهدم الدور ، ويبلغ الكساد والبؤس درجة ما دونها درجة ، ولا تزال ذكريات تلك الأيام السوداء عالقة بالاذهان ولا تزال بقايا زرائب تجار الرقيق تدل على العدد العديد من اؤلئك الابرياء ، الذين كانوا يساقون الى الشقاء والموت .

قد يقول لنا قائل : انكم الآن متقدمون . وهو محق ومخطىء ! محق إذا قارنا السودان بماضيه ، مخطىء اذا قارناه بالامم التى كانت تقرب من حالته فى ماضيها القريب ، ولكنها نهضت فى فترة وجيزة ، فصارت عزيزة الجانب ، موقرة السمعة ، محترمة الشخصية .

ولكن الوطن هو بيتنا القديم ، وهو مهد آبائنا واجدادنا ، وهو قبرهم الذى يضم عظامهم ، صحبوه فى أيام الرخاء وفى أيام البؤس ، وحين كان عظيما ، وحين حاقت به الضعة والهوان ، وقد ورثناه عنهم . كما ورثنا عاداتهم وآمالهم وآلامهم ، وقضينا فيه شطرا من الحياة ، وألفنا تذكاراته ، وانطبعنا بطابعه ، وخفق قلبنا لخفوق قلبه ، وهو الذكريات المشتركة : العظيمة منها وغير العظيمة ، والمشجية المبكية ، والسارة المفرحة .

أليس من الواجب علينا ان نحب هذا البيت العتيق ؟ ونحترم ماضيه على ما فيه من عيوب ؟ ان الابن البار لا يكره أباه لأنه ليس كاملا ، بل يحترمه لذلك . ان الحيوان ليحن الى وطنه الذى نشأ فيه وترعرع وان الطير ليهفو قلبه الى سكنه ، ولا يهدأ له بال حتى يرجع اليه .

وهذا وطننا الذى ننعم بالعيش فوق ارضه وتحت سمائه ، ونشرب ماء نيله القديم كقدمه ، ونأكل نبت أرضه ، ونشقى بما يشقى ضميره ، ويكرب نفسه الحزينة. أليس من عرفان الجميل ان نحترم هذا الوطن المقدس ؟ هذا الوطن الجاثى طوال خمس آلاف سنة ، يرمق شمس سعادته ولما ينشق عنها الشرق ؟ ودموعه تنحدر على خدوده الكئيبة ، وآلامه تقرح كبده الحرى ، يطلبنا فى توسل وبكاء ان نزيل ما به من ضير ، وان نقيمه على قدميه ، انه عظيم فى بؤسه العظيم لأنه غالب كرور الايام والعصور ، يحتضن أمله الخالد فى بنيه الفانين !

أن الانجليزى ليقول « أحبك يا انكلترا ولا زلت أحبك بالرغم من كل اخطائك » وان الالمانى ليقول : « المانيا فوق الجميع » وان الارجنتينى ليقول : « إلى الشعب الارجنتينى الكريم تحية وسلاما » الا يحق للسودانى ان يقول : « إلى بلادى البائسة منى الفداء » ؟ .

لا يزال كثير مما يجب ان يعمل لم يبدأ فيه للآن ، فعلى من تقع تبعة هذا التكاسل ؟ تقع على الشباب الذين يدعونهم ناهضين ، وعلى الشيوخ الذين

يسمونهم حكماء .

إنى الآن لأتصور هذا السودان طفلا جبارا يغالب النعاس ويتمطى ويحاول التيقظ . ومن قال لنا أنه ليس بأمة فليس ذلك بمانع ان يكون كذلك فى وقت قريب .

فلا اختلاف أديانه ، ولا اختلاف عاداته ، ولا اختلاف شعوبه ، ولا اختلاف أجوائه وظروف المعاش فيه ، بحائلة دون تحقيق هذه الامنية العذراء ، وليس يمكن ان تكون الامم فى بدء تكونها غير ذلك : فالمصالح المشتركة ، والتفاهم المتبادل ، واحداث التاريخ ، تقرب شقة الاختلاف ، وتصل الأبعدين برباط متين .

وليعلم ابناؤه انه قد آذنت شمس نهوضه ورقيه بالبزوغ . وإن لها لفجرا رائعا ، فاذا ما تكاتفوا ، واتبعوا غرائزهم العاقلة ، ووحى ضمائرهم وعملوا فى سبيل اصلاحه ادبيا وماديا ، أوصلوه الى الذروة العالية من العظمة والمجد . وليعلموا انهم فى زمن فريد ، وتحت تجربة صارمة ، يختلط الأوائل فيها بالأواخر ، وينال كل ما تؤهله له قدرته وسعيه .

فمن ذا يعاهدنى باستخدام فكره وقلمه ؟ ومن ينزل الى ميدان الاصلاح مضحيا براحته وملذاته ومصلحته فى سبيل السودان ؟

فلنعمل اذا ، ويجب ان تكون خطة العاملين ، وضع الاشياء فى مواضعها فان الظواهر خداعة . وكثيرا ما تزيغ البصر عن النظر الى الاشياء نظرا صحيحا . ويجب ان يقال للمصيب أصبت وللمخطىء أخطأت . والحق حق ولو ثوى بين الأكواخ . والباطل باطل ولو نشأ بين القصور ، وان الباطل قد يعلو الحق حينا ، ولكنه لن يعلوه على توالى العصور . وليعلموا انه فى الفوضى يكثر المستبدون ويخبط الخابطون فما يفلحون .

وان النظام يوفر علينا كثيرا من الجهد والوقت . وانه لا شىء كالعمل الصامت ، فالارض تدور حول محورها مرة كل اربع وعشرين ساعة ،

وحول الشمس مرة كل سنة ، وليس لهذا الدوران من جلبة ولا ضوضاء ولم نسمع ان الارض تعلن عن نفسها ، أو تفخر باتيان شيئين فى وقت واحد وليعلموا ان محل المشاعل والرايات وحرق البخور وقرع الاجراس ودق الطبول ولبس الثياب الحمراء والايمان الغليظة ، لا غرض وراءها غير الشعوذة والتدجيل . ولن تكون سبيلا الى عمل أصيل ، أو نتيجة معقولة ، أو مطلب نبيل .

فالى الامام يا أبناء « سودان القناة » .

معاوية محمد نور

# في الخرطوم *
# خواطر وذكريات محزونة

الوقت ليل. والكون ساج نائم. فما تسمع نأمة ولا ترى حركة، ولا تحس سوى الركود والإغفاء. والسكون الشامل، والظلام الصافي، والهدأة الناعسة. ولقد تحس الحين بعد الحين حركة ضئيلة، أو تسمع صوتا خافتا فيزداد إحساسك بذلك الصمت ويشتد تقديرك لذلك السكون، ويأخذك ذلك السحر، وتستولى على نفسك تلك الهدأة ويغمرك ذلك الصفاء. فتروح فى عالم الأحلام والذكريات وتدلف إلى عوالم الفكر والعواطف المشجيات. وقد خيل إلى أن الحياة قد وقفت فجأة، وأن الوجود قد أخلد إلى نومة هادئة ويعدينى ذلك الشجو والسهوم فلا أستطيع أنا الآخر حركة أو قياما، أظل أتبع حركة الماء الدافق أمامى حينا، وحركة ما يجرى فى خواطرى وأحاسيسى حينا آخر، وأنا جالس على أحد المقاعد على ضفاف النيل الأزرق فى مدينة الخرطوم. والنيل ينساب فى مشيته هادئا كأنه صفحة المرآة المجلوة وعلى يمينى فى النهر بضع سفن بخارية وأمامى الخرطوم بحرى وجزيرة « توتى » وعلى شمالى مدينة أم درمان، يخيم عليها الصمت ويكسوها الليل ثوبا رقيقا، ويخيل إلى أن ذلك الشجر الحانى بعضه على بعض والذى يظلل شارع الشاطئ وذلك النهر الهادئ بما فيه من قنطرة وأمامه من مدينة وجزيرة وما فوقه من سماء تحسبها لشدة زرقتها وإنكفائها على حدود النيل أن السماء نيل وأن النيل سماء، وأن لكل صورة يمكن أخذها ووضعها فى إطار التأمل فيها وإستلهام الوحى منها !.. وخطرت سفينة من تلك السفن المرصوصة، فحسبت لأول

---

* نشرت فى « السياسة الاسبوعية » العدد ٢٤٦ — ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠.

وهلة أنها لا شك طامسة أثر ذلك الجمال . عابثة بذلك الهدوء الصامت متلفة لتلك الصورة الرائعة ، ولكنها لم تصنع شيئا من ذلك بل أعطت الصورة لونا وزادتها حياة وبشرا ، وما يخيل للرائى أنها سفينة تعبر نهرا . وإنما كأنها قلم يرسم خطا على صفحة ، أو كأنها شهاب يشق عنان السماء فى اتئاد وسرعة ! عجبا لمنظر النيل ليلا ! . . ليس بعده جمال ولا جلال ، وما يفوقه منظر مما رأيت سحرا وروعة . وما تستجيش الخواطر ولا يصفو الذهن ولا يتألق الفكر ولا تكثر الذكريات وتغمــر النفس فيضا وحنينا مثل ما تفيض النفس فى حضرة النيل ، ويحن القلب ، ويحلو فى كل ذلك الشجو والحنين .

ظللت الساعات وأنا مأخوذ بسحر ذلك المنظر ، فى شبه صلاة روحية وخشوع فكرى . وجلالة تغمر النفس ، وتخلع على الحياة شعرا ، وتحيطها بالأطياف والأرواح . وتملأها بأسرار النفوس وخفاياها ! وبالقدرة منظر كمنظر النيل على ابتعاث روافدها وزخر جميع تياراتها من حنين إلى المجهول وشجو الى الماضى ، وتطلع إلى المستقبل المنظور !

ولم يظهر لى النيل فى تلك الليلة كالشىء السائل المائى ، وإنما هو بالتماسك أشبه وإلى مادة كالزئبق أقرب ، فما تشهد شيئا من العنف أو من الإندفاق الظاهر ، وإنما تشاهد العمق البعيد متشحا بثوب الهدوء والسطحية البارزة وتشاهد العدو السريع ولا تلمح شيئا من آثاره ومظاهره ، ولقد تسمع الوسوسة من حين لآخر بين نباتات المياه كأنما اشتدت بها الوحشة ، وكثر عليها الصمت والسكون ! ولكن العالم غاف ، وللعالم حرمة عندها ، فتنطق فى صوت خافت ، وتهمس بدلا من أن تفصح ويعود الماء إلى سكونه ووحشته الجميلة والعين لا تفتأ تنظر اليه ولا تتعب من ذلك ولا تحس إعياء ولا فتورا . ولقد يقع حجر فى النهر وسط ذلك السكون فيكون للصوت الذى يحدثه موسيقية لا تعثر عليها عند أعاظم أرباب الموسيقى والفنون ! وأسأل أحيانا ، من أين يا ترى تأتى هذه المياه وإلى أين هى ذاهبة ؟ أهى لا تفتر من

هذه الحركة الدائمة والدائرة التى تنتهى لتبتدىء وتبتدىء لتنتهى . إلى أين أيتها المياه ومن أين ؟ ألا تفترين ؟ ألاتسخطين ؟ألا تنتابك عوامل الضجر والسأم ؟ فألمحهاتسخر بى وتشفق على ، وعلى شفتيها إبتسام ، وفى نفسها مرارة وهى تهمس خوفا من أن تسمع « هكذا ، هكذا ، لقد نفذ القضاء ، أليس من الحماقةوالضيق والتأفف مما لا بد منه ولا محيد عنه ، ونحن أبناء الحياة ولا شىء هنالكغيرها ، أليس من الخير أن نتحملها ونكون عند ظنها ولا نفتر عنها ؟ بل نحياها فى أناة ورضاء وابتسام وادع مرير ، ذلك أحجى وأحكم لو كنتم تعلمون » . وكذلك تذهب المياه معززة حديثها بالابتئاس والاصطخاب ، ونسيانها للشعور بالنفس ، وهزئها بشعور الملال والإعياء ! . . والماء فى جريه ووسوسته الدائمة يتخطى المدن والبلدان راكضا وادعا ، يمثل فلسفة الحياة وكيف يجب أن يكون إحتمالها والتغلب على شعور الملال ودواعى الإعياء والسخط .

ويأتى النيل الأبيض من الناحية الأخرى وهو أكثر زبدا وصخبا من النيل الأزرق ، قد ترى موجه المزبد وآذيه المصطفق يتكسر فى عنف وشدة على الشاطىء ، حتى إذا التقى بالنيل الأزرق عند الخرطوم شد من أزره وأخذ يساعده وتكاتف الإثنان معا فى مرحلة الحياة التى ليس لها أول ولا آخر وهكذا يسيران وقد صارا نيلا واحـــدا وقلت وحشتهما وزاد أنسهما ، فتلمح نجواهما وشعورهما بالرضاء الوادع ، والحكمة الهادئة . وهما يندلفان فى سير سريع ما سار الزمن وبقيت الحياة . . !

وهذا الجمال ما شأنه ؟ هذا الجمال الساهى الوادع الذى تستمرئه النفس لأول نظرة ويفرح له اللب . وتجزل الروح ، ماله يميل بذهنى إلى خواطر محزونة . وصور مشجية ؟ هذه السفن التى تنبسط أمامى أجلها فى خوف — ولعل السبب موت خال لى غريقا فى سفينة بخارية فى النيل الازرق . « وتوتى » منبسطة هى الأخرى أمامى ، مالها تثير فى نفسى شجونا حزينا ، وما لشجوها الكئيب الذى لم يبق له إلا أن يدمع ، وما هذه الوحشة المخيفة ، ومالرمالها

الناصعة تبعث فى نفسى شعور الأسى والذكريات الأليمة ؟ . . وإننى لأذكر « توتى » وأذكر أياما لى بها ، وأذكر زرعها وأذكر مجدها ، وأذكر تلك الخضرة ملء العين والبصر نهارا ، وهى الجلال والأطياف والخوف ليلا . وأذكر ـ وبالشدة ما أذكر ـ أذكر أبى وأذكر بيت أبى ، أذكر ذلك البيت القائم وسط الزرع وحيدا لا أخ له ، كالشارة الموسومة وسط ذلك الزرع الحافل ! أين كل ذلك اليوم ؟ لقد مات أبى واضمحل الزرع وتهدم البيت ، وما بقى منه سوى الجدران والتراب ، وصار مأوى حيوانات ضارية ، تسكنه الهوام ويعمره الخراب الماثل للعيان .

وهذا الشارع الجميل المنسق على ضفاف النيل الأزرق ماذا يترك فى نفسى من إحساس ؟ لا تزال صورته التى رأيتها وأنا طفل بأم درمان مرسومة أمام ناظرى وهى صورة فيها من الحنين والشوق والقدم ما لاسبيل إلى وصفه . على أن ما يعنى العالم بخواطر حالم مثلى ؟! وهؤلاء بعض الناس يتحدثون فى شغب وقد خرجوا من دور السينما ، وربما كان هنالك حفلة راقصة ! وفى البحر حيتان ، وفى الشجر أطيار نائمة ، وغير هؤلاء وأولئك من أعمال متباينة ، وحالات مختلفة . ماذا يعنى كل هذا التناقض سوى طريق الحياة وشمولها وعدم معرفتها للسهولة ، بل هى « الشدة » وهى القوة الغازية ! تلك هى أم درمان وادعة نائمة ، ومن يدرى ما بداخلها من المتناقضات ومختلف مظاهر الحركة والسكون ، وشتى مظاهر العاطفة والشجون ، وإننى لأذكر النيل الأبيض وسفرتى فيه وأنا ما زلت صبيا حدثا ، كيف نسيت نفسى فى مرح وبساطة وأنا على السفين ! كلها ذكريات قوية واضحة ، تتسلل إلى ذاكرتى من حيث لا أشعر أننى فى حاجة إلى« بروست » * آخر ليصف كل ما يجرى فى وعيى المستتر فى تلك اللحظة من الزمان . إنها لتملأ مجلدا ضخما وما تفنى ! وإننى لأذكر ليالى المدرسة ، وسماعى لذلك « البورى » الذى يهز كيانى هزا ، ويلعج نفسى ويذكرها بمن مات من أهلى وأحبابى !

* الاشارة الى الكاتب الفرنسى مارسيل برست مؤلف (البحث عن الزمن الضائع) .

ولا أدرى أى علاقة لذلك الصوت وتلك الذكريات المحزونة ، فلربما لأن خالى كان ضابطا ، وان ذلك « البورى » يضرب لعشاء الضباط ، وخالى قد مات ! . وأنظر إلى يمينى فأذكر ضواحى الخرطوم وأذكر « برى » بنوع خاص ، لا أذكر « برى » اليوم وإنما أذكر « برى » التى لم أرها بل سمعت عنها ، وأصغيت إلى أناشيد الفتيات وأغانيهن فى مدحها « برى الطراوه والزول حلاوه » إن ذكر هذه الجملة ليمثل أمامى صورا من الماضى قوية ، حية كأشد ما تكون حياة وقوة ! يالصور الماضى ويا لشجوه وحنينه ! أذكر شوقى إلى الماضى ، وأذكر حنينى إلى المجهول ، وأذكر شعور الإغتباط والجمال الفنى الذى أشرف عليه عند مشاهدتى النيل فى تلك الليلة ، فأقول يا للعجب ! أترانى أود أن أعيش الماضى والحاضر والمستقبل فى ساعة واحدة يا لنهم الحياة ، وطبع الإنسان ، وعطش العواطف !

فأنا الآن أذكر كل هذا . أذكر الليلة القمراء بأم درمان وأنا صبى ألعب ، وأذكر مكانى من الخرطوم ومكان الخرطوم من الكرة الأرضية – إن صح أنها كرة – أذكر الخرطوم وجمالها الساهى ، وصفاءها الصامت ورونقها وأحلامها وصمتها وما يحيط بها من ضوضاء ، وما يتصل باسمها من أسماء تاريخية ، وهالات وحروب . وأذكر الحيتان فى قعر النيل ، وأذكر الشجر فى وقفته الكئيبة ، ووحشته الدامعة ، وأذكر عوالم أخرى شهدتها أو قرأت عنها .. وأذكر أبى وأذكر أختى التى فارقت هذه الحياة ، وأذكر هؤلاء الراقصين القاصفين ، وأذكر الجمال الماثل لعينى ، وأذكر غير هؤلاء أشياء كثيرة لا صلة بينها ولا قرابة عندها . . ! فأسأل نفسى ماذا تعنى كل هذه الأشياء ؟.. وليس من مجيب . سوى أننا فى هذه الحياة وسنظل فيها إلى أبد الآبدين ، لا نعرف عنها شيئا يرتاح إليه الضمير ، ويسكن عنده الخاطر . وإذ أنا فى هذه الخواطر المسائية أشعر برعشة فى جسمى ، وأحس بدمعة فى عينى ... فما أدرى أهذه الدمعة شعور بجذل الحياة ، أم هى بكاء عليها ؟ . غير أننى أعرف أننى أذهب وأعمل بعد ذلك كما يذهب أناس كل يوم ويعملون ! . .

محمد أحمد محجوب

# مثل عليا [1]
# للحياة السودانية المقبلة

ان أمة إضطرب فيها سبيل الأدب فلا فرق بين العارف والجاهل وعمت الفوضى حتى كادت تودى بالغث والسمين ، وضعف نظام التعليم فيها وضاق مداه الى أن قارب الأمية إن لم يندمج فيها، لحرية أن تكون هدفا للويلات الإجتماعية وأن تشكوها وتسعى جهدها للخلاص منها ومما يعقبها. فإذا نظرنا إلى نظام الاسرة وجدنا المرأة جاهلة تحوطها جدران من الجهل والتقاليد، وإذا نظرنا الى أخلاق الشبان هالتنا الهوة السحيقة التى ينحدرون اليها واعين وغير واعين ، وإذا تفقدنا الكهول والشيوخ وجدناهم لاهين بأعباء الكبر وتكاليف العيش وخوف الموت عما تطلبه أمتهم من جهودهم وما ترجوه من الإستفادة بتجاريبهم ، وإذا تطلعنا إلى المجالس والمنتديات وجدنا المؤمن يأكل لحم أخيه حيا والفينا الإنقسام ينخر فى صميم الأمة ويهدد كيانها ورأينا فتيان الحى يشغلهم التفكير فى أشخاصهم الفانية عن التفكير فى خير هذه الأمة التى ما زالت فى سباتها تحاول فتح عينيها فيروعها ما ترى بنيها عليه من محن تتلوها محن وإنقسام يتلوه إنقسام .

ولقد تعاقبت على هذه الأمة فى الآونة الأخيرة ثلاث حكومات قبل هذه الحكومة الحالية (٢) : أولاها مملكة الفونج . وكان الناس إذ ذاك تغمرهم موجة من الجهل فلا الحاكم قادر على تسيير دفة الحكم ولا المحكوم

---

(١) نشرت بمجلة الفجر – المجلد الأول – العدد الثانى عشر – فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٤. وهذه المقالة هى القسم الثالث من سلسلة عن رأى المؤلف فيما ينبغى ان تكون عليه صورة الحياة السودانية المقبلة . وعنوان هذه المقالة « فى الاجتماع والسياسة » .

(٢) حكومة الحكم الثنائى .

بقادر على مساعدة الحاكم وكانت ثمة فوضى يؤيدها الظلم ويحكم أمرها – إن كان للفوضى امر فيحكم – ثم جاء العهد التركى المصرى فوقعت البلاد فى قبضة الحاكم الأجنبى الذى لا يهمه من أمرها إلا أن يستغل مالها ورجالها ، فجعل الولاة الأتراك ينهبون الذهب نهبا ويجندون الفيلق تلو الفيلق ليزيدوا الى عدد جـند والى مصر وليدخلوا على جيشه عنصرا فيـه من الميزات والقوة ما يحتاجه ذلك الجيش . وتفشى الظلم فى البلاد وكثر الضغط على الأهلين فأوهن القوى وأضعف الأخلاق ، وعلى الأخص لأن ذلك العهد جاء عقب الحروب الأهلية التى أفنت الرجال وتوترت فيها علاقات القبائل وتفرقت الكلمة . ثم جاءت المهدية لتنقذ الناس من فوضى الأخلاق ومن ظلم الحكام ، فكان لها ما أرادت فى عهدها الأول ، ولكن الجهل قعد بنيانها وقضى فى عهدها الأخير بأن تكون مثاراً للتفرق القبلى من جديد ، وكان ضغط القائمين بالأمر سببا فى ضعف الأخلاق بعد أن بدأت تقوى ، فساد الدس وكثر الرياء وخفت أحلام الرجال الا الذين وهبوا قوة فى الإيمان وصبرا على الشدائد وعرفوا ان ما قدر سيكون ولن تصيبهم من مصيبة إلا بإذن الله . . . وهكذا ترى كيف تجمعت العوامل واتحدت لتجعل من من هذه الأمة طعمة سائغة لكل غاز وكل مجتاح ، ولتورثها وهنا فى الأخلاق وتفرقا فى الكلمة وهى محكومة مغلوبة على أمرها ، والحاكم مهما حسنت نياته فليس من الخير له ان ينبه الأمة لضعفها فتقويه وإلى تفريق الكلمة فيها لتعمل على إتحادها !

ومستوى المعيشة ونوعها وملذات الحياة ومطامعها ، هل تلك مما يساعد على قيام حياة إجتماعية سعيدة ؟ لا . فإن الفقر المدقع وجفاف الحياة حتى قاربت الكفاف أو هى حياة الكفاف بعينها ، وفقدان الجمال الطبيعى والصناعى وعدم التفات الناس الى النزر اليسير الباقى منه لأنهم فى شغل عنه بحاجيات الأكل والشراب واللبس المتواضع ، وما تبدهنا به الظروف من الأزمات المالية والأخلاقية ، وما نقاسيه من كبت الأفكار لخوفنا حتى من

أنفسنا ولفقدان الثقة حتى فى الصديق الخلوص بل والأخ الشقيق ، ولإنعدام روح التعاون وروح التضحية وروح الإقدام بين الشباب ، كل تلك العوامل فرادى ومجتمعة لا تزال تعمل على إضطراب الحياة الإجتماعية عندنا وجعلها تعسة غير موفقة ، لا تنتج سوى الخراب عاجلا أو آجلا .

غير أن لهذا الشعب فضائله التى توارثها والتى لولاها لما إحتمل عقابيل تلك الأدواء دون أن يفنى ولأقمنا على جدثه مناحة . فإن الأريحية العربية الفذة والصبر على الشدائد حتى كاد ليكون جبنا وتبلدا فى الشعور ورضاء بالذل ، وإن ما تكنه الصدور من الشجاعة الخلقية والمحافظة على الأعراض وإراقة الدم فى سبيل حمايتها ، كل تلك الفضائل لا تزال عاملة على مقاومة الأمراض الإجتماعية التى تجتاحنا وأصبحت تهدد مجتمعنا على أن هذه الفضائل بدورها أخذت فى النقصان والتدهور ويخشى عليها الإنقراض . فالشبان لا تجد عندهم من الأريحية والإباء ما عند آبائهم وأجدادهم ، فهم يحجمون حتى عن مساعدة ذوى القربى ، وقليل منهم من يفكر فى أن له من الأعراض ما يجب أن يصان ، والتقاليد الصالح منها وغير الصالح بدأنا نطرحها جانبا ولا ننظر اليها إلا كبعض العاديات فى زوايا المتاحف .

والآن بعد أن إستعرضنا ما لهذه الأمة وما عليها ، ورأينا العوامل التى إتحدت لتعمل على إنهيار ركنها ، والعوامل التى أخذت تقاوم حتى ضعفت أو كادت تعجز عن أداء وظيفتها فلنر ما هى طريق الإصلاح وما المثل الأعلى الذى يحق علينا أن نضعه لحياتنا الإجتماعية ونتبعه . والأسرة فى نظرى هى نواة الحياة الإجتماعية ، فإذا كان نظام الأسرة مما يساعد على التعاون وفهم الواجبات قبل المطالبة بالحقوق وكان مما يدعو الى المساواة ورفع مستوى الحياة والتسامى بالمشاعر إلى المثل العليا والترفع عن الدنايا والمطامع الشخصية فنحن لا شك سنظفر بحياة إجتماعية سعيدة تكفلها حياة سياسية مزدهرة .

والأسرة قوامها المرأة والمرأة كما أسلفنا جاهلة فى حاجة إلى التعليم لتعرف واجباتها ولتعرف كيف تربى أطفالها وتغرس فى نفوسهم حب

بلادهم وحب الخير للإنسانية عامة . وأنا عندما أقول بتعليم المرأة لا أريدها لتعمل فى الأسواق أو لتدخل ميدان الوظائف الكتابية ، ولكنى أريدها زوجا مدبرة وأما تعنى بتربية الطفل وترعى جسده وروحه وتتكفل بغذائه الجسمى والعقلى والخلقى . ولا أريدها سافرة متبرجة ، ولكنى أقول بمحافظتها على تقاليدها المرعية وعلى تقاليد وتعاليم دينها الحنيف ، وأريدها ملاكا يرفرف فى جلسات الأسرة وليالى سمرها . يؤثر وجودها على الرجال حتى يكفوا عن هذر القول ولغو الحديث وحتى يحصروا همهم فى تخير الألفاظ وتنميق العبارات فلا يجرحوا شعورها . ولأضرب لكم مثلا على قوة تأثير المرأة فى المجتمعات ، فإنى أتحدث الإنجليزية مع الإنجليز وغير الإنجليز وأهتم فى بعض المواقف بلغتى وأصقلها ولكنى ما تحدثت إلى سيدة إنجليزية الا ورأيت الفاظى وتعابيرى تتسامى ورأيتنى حريصا فى القول مقتصدا فى الرأى ، وشعرت بأنى غير ذلك الرجل الذى يتحدث مع الرجال أمثاله . وبعد البحث والإستقراء علمت ان للمرأة سلطانا على الرجال يؤثر حتى فى محادثاتهم وأعمالهم الأدبية .

وإذا تعلمت المرأة وقامت بواجبها فإلى الشبان أسوق الحديث قبل الكهول والشيوخ . إن شبابنا أخذوا من مدنية الغرب القشور دون اللباب فتفانوا فى السكر والميسر والفساد فأنساهم الشيطان ذكر ربهم ، وأخذوا يفكرون فى منافعهم الشخصية دون منفعة البلاد وجعلوا يتبجحون بأن لهم حقوقا ونسوا ان عليهم واجبات . قال « جوزيف مازينى » عندما كان يدعو ابناء « إيطاليا الفتاة » لتحريرها كلمة إذا اتبعناها نجحنا فى جميع مقاصدنا . وفحوى تلك الكلمة : ان كل الثورات التى قامت نادى زعماؤها برد الحقوق ولكنه يقول لأبناء إيطاليا ان عليكم واجبات . « مازينى » لم يقل ذلك إعتباطا ولكنه كان يعلم حق العلم أن الرجل الذى يعرف واجباته ويؤديها على وجهها الأكمل فسترد اليه حقوقه غير منقوصة دون أن يطالب بها ، ولقد صدقت الأيام زعمه فتحررت إيطاليا وغدت ملء العين والأذن !

فواجب الشبان أن يتحدوا وينسوا أنفسهم وأن يتعمقوا فى المعرفة وأن تنتزه إجتماعاتهم عن فضول الكلام وسافله وأن تكون لهم جماعاتهم المنظمة لمحاربة الفساد والأمية ولرفع مستوى العلوم والفنون والآداب وواجب الشبان ان ينقذوا البلاد من ويلاتها وان يرفعوا مستوى الحياة الإقتصادية ويساهموا فى تكوين الأعمال الخيرية التى تخفف آلام الفقير وتكفل لأبنائه مستقبلا زاهرا . وواجب الشبان أن ينادوا بمحو القبائل وأن يقولوا اننا سودانيون لا فرق بين أسودنا وأبيضنا ولا فرق بين ساكن الشمال وساكن الجنوب !

وأما الكهول والشيوخ وهم تراث أجيال مضت ، عندهم من الفضائل ما كاد ينقرض فى الشبان ولهم من الأمراض ما أورثتهم له تعاقب تلك الحكومات الثلاث من دس ورياء يسمونه دهاء ، وما عندهم من زعم على أنهم قاموا بواجبهم العام وبقى عليهم ان يفكروا فى تكاليف العيش وأن ينشغلوا بأعباء الكبر وخوف الموت عن خدمة بلادهم وإفادتها بتجاريبهم ، فإنى أقول لهم أنتم مسئولون عن مستقبل البلاد وعليكم أن تكونوا مثالا للشبان وأن تورثوهم ما عندكم من الفضائل وأن تتجردوا من أرائكم فتعملوا مخلصين لوجه الله والوطن! فإن من بلغ الأربعين أو جاوزها أولى بخدمة بلاده من سواه وهو خليق أن يكف عن الدس وعن الرياء فهو إن عمل فى وضح النهار وإن جاهر بالحق فلن يصيبه أذى لأن له من السن شفيعا ، وإذا أصابه أذى من جراء تلك الصراحة ومن أجل قول الحق فهو نعم الأذى وفيه خير العزاء لمن يطمع أن يرى بلاده متمتعة بما يرجوه لها من تقدم وعمران ، فإلى ميدان العمل أيها الكهول والشيوخ واحملوا علم الجهاد ولكم من الشبان خير جنـــد .

أما مستوى المعيشة وملذات الحياة والإلتفات الى نفحات الجمال وروائعه فهذه من حقنا إذا قمنا بواجبنا ، وستكون موفورة للجميع اذا زال الإنقسام وتمتعنا بالثقة فى بعضنا البعض وسادت بيننا روح التعاون

والإخلاص وروح الإقدام والتضحية ، وستكون لنا فى القريب العاجل منتديات تفى برغائبنا ونجد فيها مجالا لتنفيذ خططنا وتحقيق أحلامنا .

والآن لأجمل ما فصلت فأقول إن المثل الأعلى للحياة الإجتماعية أن تكون لنا أسرة صحيحة تديرها إمرأة متعلمة وأن يعرف الشبان واجباتهم قبل ان يطالبوا بحقوقهم وأن تتحد كلمتهم وأن يفنى نظام القبائل ، وأن يتقدم الكهول والشيوخ الى ميدان العمل ويحملوا علم الجهاد . وأن يضحوا بالبقية الباقية من أيامهم وحياتهم فى سبيل الله و الوطن .ولكنى أراك أيها القارىء تسألنى ، وما هو المثل الأعلى للحياة السياسية لأن عنوان المقال يدل على أنى سأحدثك فى ذلك الشأن ، وجوابى هو أن السياسة لم يأت الأوان لنتحدث عنها ما دامت مقدماتها من تعليم وحياة أدبية وإجتماعية ناقصة ما دمت أنا مكتوف اليدين حبيس اللسان .

ولو ان المجال مجال سرد    لأطلقت اللسان بما يزين
ولكن اللسان له قيود    فمهلا سوف تطلقه السنين !

**التيجاني يوسف بشير**

# بين مصر والسـودان (١)

## في سبيل التعارف الأدبي

هذا عنوان استقلت به السياسة واستأثرت به الدوائر فلا يطلق الا حيث يراد به معالجته هذا الحدث الهام بين القطرين ، والا حيث يصرف على وجوه الحكم والسلطان والرغبة الاستعمارية ولقد ظل زمنا طويلا وقفا على هذه السياسة العابثة باسمى حرمات العلم والأدب ، فما تحس له وجودا في غير دار المندوب .

ولو قد اردنا أن نخلص به من مظان السياسة ومضيق السلطة الى حيث يتنفس هواء حرية ( العناوين ) لكان هناك متسع من العلائق الأدبية السامية تفسح له منها مكانا لايتطرق الى كرامته فيها شيء من هذا العبث البغيض . وانا لنرجو أن يكون قد انقضى ذلك الزمن الذى لم يكن ينظر الى السودان فيه الا من وراء هذه المطامع الفانية وحدها ، ولعل مصر نفسها لاتعود تنظر اليه تلك النظرة المحدودة الضيقة . ولئن كان السودان من قبل بلدا ليس له مكان الا في صحيفة المستعمرات أو سلة المهملات ، فليس هو الآن ذلك البلد الأخرس ، الذى تدور حوله صفقة الاستعمار وهو يبتسم ، ليس لأنه استكمل في نفسه عناصر الثورة ، أو استجمع في قوته مدافع الحروب ، ودواريء الاطماع ، ولكنه الشعور بالوجود وكفى ، ولكنه الانقلاب التاريخي العظيم الذى تمهد له الثقافة وتشق له الآداب في حياة هذا الشعب ليأخذ بحقيقة الحياة . أفليس هذا وحده بكاف أن يحمل السياسة اتغير من نظرتها اليه ، تلك النظرة القاصرة العمياء ؟

وما نريد أن نطمس على الاستعمار في كلمة أو نأتي على السلطان

---

(١) نشرت بمجلة (الفجر) المجلد الاول ـ العدد ١٦ ، غرة فبراير ١٩٣٥ ص ٧٢٤ . وضمنت كتاب ( التيجاني يوسف بشير السفر الاول : الاثار النثرية الكاملة ) والذى اضطلع باعداده محمد عبدالحي وبكرى بشير . ونشرته شركة مطابع راى ( ـــد ) ١٩٧٨ .

فى مقال . ولو قد استطعنا أن نفعل لما أبطأ قلم فى تحقيق ذلك ، غير أنا لانكاد نفهم تفسيرا لأن تستغل السياسة اسم هذا البلد استغلالا جامدا مقصورا على ما تدعو اليه الأطماع وحسب . صحيح لقد كان فى وداعة السودان وجهله من قبل مدعاة لهذا التحيف ومجلبة الى اعتباره شيئا لا مكان له من الاعراب السياسى المحترم ، فهو مبنى على غير حركة الانقلاب جامدا لا يتصرف فى منطق الحكم . أما هو اليوم فلقد عرف منزلته من الانسانية الحرة المهذبة ، عرف طريقه الى كل ما ينبغى أن تعرفه الشعوب فلامعنى لاغفال ناحيته العلمية والأدبية حتى فى هذه الايام التى يعمل جاهدا فيها ليخلق من نوابغ شبابه قادة للفكر . أفلم تكن اذن هذه الناحية خليقة بالعناية من كل ما تدفع به السياسة من منطق القوة الغاشمة . . . ؟ وان جهلت مصر ما بينها وبين السودان من علائق أخرى جديرة باهتمامها غير مالها من علائق سياسية ب « سوداننا العزيز » فنحن ما نزال مقدرين لهذه العلائق مكبرين مصر وما يربطنا بها من منازع الثقافة وأثر التفكير المصرى الذى سيظل خالداً فى تاريخ أدبنا السودانى الحديث .

فخير لنا ولمصر الأدبية أن نعنى بهذه الروابط وأن نوثق بين هذين البلدين وشائج المعرفة الأدبية الصحيحة . خير لنا ولمصر أن نهيأ للتاريخ مادته من هذه النواحى الخالدة وأن نعتد له أسمى العناصر الروحية ليتهيأ بها إلى كتابة ما شاء من فصول . أما مصر السياسية فليس لدينا ما نقوله لها اليوم أو غد أو بعد غد . ولكن بحسبها أن تعلم أن هذا العلم الذى يخفق فى قلب العاصمة ، والذى ما يزال يرف ويلف فى هذه المراكز المتواضعة جاهداً مكدوداً فى إطراقته الحزينة ليس هو الآن كما تحسه مصر . لقد نسيه الناس . أجل لقد نسيه الناس فخير لنا ولها أن نرفع بجانبه إن لم نقل فى مكانه علماً آخر من ألوية العلم الخالد . وخير لنا ولها ألا يضيق هذا « العنوان » عن محض الروابط العلمية الخالصة من غواشى الحكومة وشوائب الدولة . وما ينبغى إلا أن يضيق عن كل ما عدا ذلك فلا يتسع لأكثر من هذه

الصلات . على أن مصر وقد نهضت وقتاً ما بحكم هذه البلاد . فليست هي بأوضح أثراً ولا أثبت علماً إلا في هذه الأجواء الأدبية . إذ أن أثر الثقافة المصرية في السودان هو وحده ما سيحفظ لمصر أثرها فيه يوم لا يبقى إلا هو قوياً واضحاً في مذكرة الأيام .

ذلك هو حديث الأدب إلى مصر لا حديث السياسة . فتلك لغة أي والله نحن أشد الناس جهلا بها من كل مخلوق آخر . فاذا إستطعنا أن نخلص بهذا « العنوان » إلى ما نريد أن نخلص به اليه . وأن نفهمه صريحاً سهلا لا تعقد فيه ولا التواء ، وأن نخرضه بماء « النيل » من كل ما علق به من الأوضار « الرسمية » فقد إستطعنا أن نوجد بين القطرين روح التفاهم الأدبى الصحيح الذى لم نكن فى ساعة ما أشد حاجة إلى غيره منه . فليأخذ أدباء الشباب المصرى فى سبيل التعارف الأدبى مع إخوانهم أدباء الشباب السودانى ، وليتركوا للسياسة طريقها تسلك فيه ما شاءت فى موكب من الحرس وكوكبة من حفظة النظام .

إن الشباب وحده هو خالق التاريخ . وفى حركة الشباب الان حياة المستقبل من بعد ، وهو الكفيل ، بتمزيق هذة الفواصل حتى تتوحد الجهود وتتكاثف الجهود ، وتتكاثف الأقلام ويفهم كلٌ أخاه . فلا نعود نرى أو نسمع أن مصرياً مثقفاً يجهل كم عدد الصحف والمجلات التى تصدر فى السودان ، فى حين يجرح فى وجودنا أن تستفسر مجلة مصرية نحن أكثر الناس تشجيعاً لها وهى مع ذلك لا تعرف من صحفنا إلا « الحضارة » أفيصح أن يصل الأمر إلى مثل ذلك يا مصر . . . . ؟

منذ زمن بعيد ونحن نسعى لنحقق من الحياة الأدبية أسمى ما يطمح اليه العصر ، ونجد لنبتعث من شبابنا أقوى الشخصيات وأخصب العقول ، وما كان ليعوزنا أن نخلق هذه الشخصيات ولا أن نساير حركة العالم الفكرية فى مثل ما يتطلب من نشاط ويستلزم من مرونة ويفترض من يقظة . أجل ما كان

لينقصنا شيء مما يكوّن هذه النفوس إلا أن يعنى بنا العالم الشرقي وحده فيقرأ ما نكتب وينقد ما ننتج ، وإلا أن تعنى بنا مصر وصحف مصر خاصة فتأخذ هـــذه الأقلام التي تحسب أن صريرها يصم آذان العالم أو تحلم أنه قريب من ذلك ، وما يمنعها أن تحسب وأن تحلم ، ثم ما يمنع أن يكون حقيقـــة ما تحسب وما تحلم ، إذا قدر لها أن تنال نصيبها من عناية الشعوب ، وإذا بها لا تكاد تعرف كأنما تعمل في كهف .

قلنا ما ينقصنا قوة في الأدب ولا سمو في التفكير ولا شيء مـــن مؤثرات العظمة الأدبية إلا أن تبرز هذه الأقلام المجهولة حتى في مصر ولعلها أن أتيح لها أن تتنفس قليلا أن تكون أبلغ أثراً مما كنا نعده حلماً أبعد شيء عن الواقع . وما يمنع شيئاً من هذا أن يحصل أيضاً ، بل من الواجب المفروض لا تبطيء عن لحاق أقلام ربما تكون ذهبا لا قصبا أو ربما تكون شيئاً أكرم عـــلى الحياة مما يكون النضارة إن كان في مثل هذا عبرة في الإنتاج ، وما بها حاجة إلى التزكية والإطراء ، ولكن ما يؤلمنا حقاً هو أن نظل مجهولين هكذا من ناحيتنا الأدبية حتى في الاقطار الشقيقة . واذا تغاضينا عن كل هذه الأقطار فما يكون عذر مصر في جهلها بنا جهلا تاما ، لا من تلك الناحية وحدها بل في كثير من النواحي غيرها ، الأمر الذى يقدح في شأنها قدحا بليغا لايزكو معه ان تنطلق باسم هذه الاصقاع مرة أخرى في لهجة الذى ما يفتأ يخفق علمه هنا في صميم البلاد . . ذلك العلم الذى نسيه الناس من لدن كثرت في هذه البلاد أعلام شيوخ الطريقة . .

كلنا في الشرق — ايها المصريون — معقد رجاء الشرق . فمثل واجبنا نحوه واجبكم له ، ومثل حظنا فيه حظكم منه ، فنحن سواسية فيه ، سواسية في أسمى ما يفتخر به الشرق وفي تحمل تبعة كل مايضيق به الشرق . فلتكن هذه اول مرة للتعارف الصحيح بين القطرين ، وهو ان قام على مانرجو ان يقوم عليه فسيؤتى أكله الأدبي طيبا باذن الله :

واذا استلفتنا اليوم نظر أدباء الشباب المصرى فانما ندعوهم قبل كل شيء لتوثيق الروابط الأدبية بين ( مصر والسودان ) وأن يقوم التعارف الأدبى المتين بين شباب القطرين اللذين نرجو أن يوجد بينهما ذلك التجاوب الأدبى ، وهو وحده ما ندعو اليه .

« وعفا الله عن ما سلف . فليعلم من فى الكنانة الخضراء أن فى هذا البلد السحيق المترامى الاطراف الأشعث الأغبر قلوبا كبيرة طموحـــة . ونفوسا متعطشة للعلم والعرفان » .

وليعلم من فى الكنانة أن فى السودان شبابا وفيه أدبا ، وفى أدبه لذة وفيه متعة ، وانهم لم تعد تتكسر عنهم الجبال فيخرجون منها ، وانما تدفع بهم السماء فيهبطون منها للارض لينهضوا برسالة الأدب الى الأدب وليفضوا الى التاريخ بما يجب أن يعرفه عنهم التاريخ . .

عبد الله رجب

# من مذكرات أغبش[1]

وسلموا ثلاثتنا خطابا معنونا الى الميجر جراهام نائب قائد المهندسين الملكيين — سى آر آى —بسنار وسفرونا على لورى تابع للجيش وفى سنار آوينا الى احد معارفنا وجعلنا نذهب الى ورشة الجيش فلا نجد الميجر جريم — كما ينطقونها — وبعد تردد ثلاثة أيام قيل لنا إنه يأتى فى السادسة صباحا فيوزع الاعمال ثم يذهب الى أمكنة العمل للتفتيش فاتفقنا على أن نأتى فى هذا الموعد الباكر فى اليوم التالى ولكى ننجح فى التبكير كان لابد أن نتملص من الضيافة فاتفق رأينا على المبيت فى العراء بجوار كراكات الرى المهجورة ، مع العدد العديد من المتشردين على مسافة قريبة من ورشة الجيش إياها ، وكان مبيتا شعريا على أكوام الحصا الذى يلمع فى ضوء القمر ويغازل الضلوع !

وبكرنا فى الصباح بعد أن صلينا بالتيمم وقابلنا الميجر جريم وسلمناه توصية مفتش المركز الانجليزى الذى زودنا بها المأمور السودانى ، وكان أحدنا قد كتب خطابا طويلا باللغة الانجليزية كنا نعيد كتابته فى كل يوم مرة أو مرتين وضحنا فيه استعدادنا لخدمة قوات الديمقراطية التى تطارد الفاشية !

وكان الميجر جريم رجلا عمليا من نوع فريد ، قال لنا : تسافرون اليوم بعد ساعة . فجرينا الى السوق كي نحضر هدومنا من الغسال ومن بيت الضيافة وجئنا فى الميعاد دون ان نتناول شايا ولا إفطاراً ، فحملتنا

---

(١) هى مذكرات الاستاذ عبد الله رجب الذى اس جريدة ( الصراحة ) ، وكان رئيساً لتحريرها ، وقد عرفت الصراحة بالتزامها جانب الشعب ، كما كان ينطق شعارها ، ولها دور بارز فى مجابهة الاستعمار والرجعية وادواء المجتمع . نشرت هذه الحلقة بالصراحة يوم ٢ يوليو ١٩٥٤ .

سيارة « ركوبة » فخمة كانت تعمل بالتاكسي بمدني واستأجروها في الجيش ـ حملتنا من سنار الى الرصيرص وكنا نشعر بعزة لم نألفها من قبل ، وكان كل منا يشرد مع خواطره ، ويبدو لى ان خواطرنا جميعا كانت تلتقى فى اننا صرنا مع الحكام والناس العظام ، وكان احدنا ترزيا فلعله في ذلك اليوم كان قد قلل حياءه إزاء كل من نبى الله إدريس الذى تقول الأساطير إنه اخترع سم الخياط ، وشركة ماكينات الفقر فى السودان . أما الاثنان الآخران فلاشك أن كل منهما قد جعل يسب التجار والانجار ، ويهدد هذا القبيل بالتنكيل يوم تؤول اليه ملكية الحكم فى السودان .

وحينما وصلت العربة الى الرصيرص ليلا ، واجهنا الواقع برداءته ولم يكن هناك حكام ولا طبول فى انتظارنا ، ولم نجد مطبخا مفتوحـــا بالسوق نأكل فيه ، أما عن المبيت فقد أوينا الى المدرسة الاولية وكانت كرنكا او جوسقا مشيدا من القصب ، ونمنا على برش الطلبه وجعلنا نتكرش طوال الليل من عض النمال خصوصا وقد كان البناء على الرمال قد أطار النوم من أجفاننا .

وفى الصباح سلمنا خطاب الميجر جريم الى جاويش فرقة المهندسين المسئول عن العمل بالرصيرص الذى استبقى الزميلين بالرصيرص نفسها لمراقبة العمل بالمطار ، وبعث بى مع مجموعة من العمال لاصلاح الطريق المؤدية الى ( قبا ) فى منطقة بني شنقول السودانية التى تقع تحت إدارة الحبشة .

وكانت اللوارى التى تحملنا تحمل معنا وقودها من البنزين ، ووقودنا من دقيق الذرة ، وعشنا فى الخلاء أياما فى عزلة لم نجد فيها لبنا ولا سكرا ولكن العمال كانوا مستعدين ، وقد وجدت بينهم من يكرمنى ولما فرغ السكر ، استطاع بعضهم أن يشترى عسل النحل من الغابة ،

عسكرية يمكن فيها الضرب بالسوط بل بالرصاص » ، وقال لى إنه سمع عن مشاغبتى وأنى سأعود الى السودان مقيدا بالسلاسل ، فضحكت وسخرت منه ، وركبت مع عمالى الى معسكرنا الجديد حيث كلفنا بصنع جسر بدائى على أحد الخيرانْ . وفى الليل تآمر العمال على ضرب الشيخ التعيشى اذا جرؤ على ضرب أحدهم . وفى الصباح جاء اللفتنانت ومعه التعيشى فوجدانى بالكامب – المعسكر – اؤدى عملا كتابيا لمصلحة العمل نفسه . فخاشنانى وقالا ان واجبى أن أقف مع العمال وأخذانى معهما . وفى مكان العمل لم يحافظ الشيخ على وقاره فتقدم منه جماعة يحملون « الطوارى » وكادوا أن يقتلوه . . فهرب الشيخ وخواجته وبعد ساعة جاءوا بقوة من دفاع السودان . وأخذوا أربعة من العمال على الشبهة ، وكنت خامسهم الى معسكر الجيش ، وشكلوا لنا مجلسا عسكريا وكان حكمهم هو الجلد على العمال الأربعة مع ايقاف التنفيذ خوفا من الفتنة . وكان القاضى بمباشى انجليزى فى قوة دفاع السودان ويجلس معه على منصة القضاء اللفتنانت التابع للمهندسين الملكيين الذى نعتبره خصمنا أما حكم المجلس العسكرى إزاء الكاتب الذى هو أنا ، أن لاأعود إطلاقا الى العمال وأن أسجن بمعسكر الجيش حتى يقوم (الكونفوى)، أى قافلة السيارات ، الى الرصيرص فيرجع معها . وفعلا حبسونى وكان بالمعسكر كاتب حبشى أكرمنى وشربت عنده قهوة بن لأول مرة منذ أسابيع .

وفى المساء توجهت الى البمباشى وقدمت اليه طلبا مكتوبا أرجوه فيه السماح لى بالعودة الى معسكر العمال كى أسترد فراشى فكتب لى – وكانت أمامه زجاجة ويسكى جون هيج – فى نفس ورقتى ، أرخص لك بالتغيب ساعتين ، فخرجت منه الى الظلام ، وكانت الغابة ساكنة الا من أصوات القرود ، الوحوش الوحيدة التى رأيناها فى المنطقة . ولم يكن معى من سلاح إلا غصن شجرة كسرته وشذبت مقبضه فقط . . وتعشيت

---

(٢) الجوغان : ضرب من الشجر له ثمر اصفر حلو المذاق ، ومن اخشابه تصنع المراكب .

فكنا نحلى به الشاى لا على أنه « كيف » بل على أنه غذاء ، وجاءتنا أوامر عسكرية سريعة بالتوجه الى قبا للعمل مع قوة أكبر من قوتنا فى إصلاح طريق فى داخلية الحبشة نفسها يؤدى الى « دير تابور » على مفترق الطرق بين أديس أبابا ، وولاية قجام ، على مقربة من بحيرة تانا . . . وهذه المعلومات الجغرافية التى أخذناها من مهندس الجيش من طبقة الجاويشية والأونباشية لا علم لى بصحتها ، ولكنها أنعشت لدينا الآمال فى الحصول على النفوذ والبروز .

وفى الطريق عسكرنا لنسوط « بنى كربو » وهى العصيدة الخلوية التى تصنع من دقيق الذرة فى صفائح البنزين .

وجلس العمال يسمرون وبعضهم يضربون الرمل أى يستنطقون الغيب بخطوط سحرية على التراب ، فقال ضارب الرمل ، اننا سوف نقاسى ألوان العذاب فى هذه الرحلة ونعود بلا فائدة . . .

وكان الزميل الثانى قد افترق عنى وهو ينتظرنى مع القوة الكبرى الموجودة بقبا . . وهناك وجدت زميلا رابعا : وعلمت أنه قد وشى بى سلفا الى اللفتنانت الانجليزى وسكرتيره الحبشى — الاغريقى وشيخ العمال التعيشى !

ووصلنا فى موعد راحة الغذاء وأنزل العمل صفائحهم ، واوقدوا نيرانهم ، بينما اويت الى الأفندية وأكلت معهم وجبة من نفس النوع ولكنها كانت تحتوى على كمية مبالغ فيها من الزيت والعدس والبصل — هذه هى مواد الترف فى المعسكرات الخلوية للسودانيين — ثم شربت كوبا كبيرا من الشاى المحلى جيدا بسكر البغيتة . . وكدت أتهالك فأنام لولا ان سمعت لغطا بين العمال ، ونهضت لأرى الشيخ التعيشى يحمل سوطا وهو يضربهم بلا تمييز آمرا اياهم بالصعود الى اللوارى قبل أن يتغذوا فسرت اليه ونازعته السوط . . فقال بغضب : « هذه منطقة

مع أصدقائى العمال ، وتباروا فى الاحتفال بوداعى حيث شربت أكثر ما يمكن من أكواب الشاى وأكلت نمار الغاب ومنها ( الجوغان (٢) ) كما حملونى الزنجبيل الذى كشفوا عروقه تحت الأرض وهم يمهدون الطريق أمام الاستعمار ، وسلمونى خطابا مختوما تلصصت فقرأته وكان يحتوى أنى مفصول ( دسمسد ) دون إيراد أسباب .

وفى الطريق الى الرصيرص كنت أركب احدى سيارات الجيش الخالية ويقودها سودانيون وحينما عسكروا للطعام نسونى . فاشتريت من قبا ( لوبياء علسية ) صنعت منها بليلة فى قرية ود الماحى حينما عسكرنا للمبيت ، ولم تنضج بسرعة حيث سهرت الى جانبها أنفخ النار الى منتصف الليل .

جمال محمد أحمد

# العـــرب فى شـــرق افريقيا

افريقيا السوداء ، فالحديث كله هنا وفى الكتاب * ، يدور حول افريقيا جنوب الصحارى ، كما كانوا يعبرون ، تمييزا لها عن افريقيا العربية فى الشمال .

لو لم تكن لهذا الكتاب حسنة غير ابراز دور العرب فى اكتشاف افريقيا وحياتها ، لاستحق عناية القارىء العربى ، ولاستحق عناء تعريبه ، ذلك أننا لا نعرف الا القليل من هذا الجانب المضىء المشرق من حيوية العرب على عهودهم الزهر . لهم فى افريقيا تاريخ يمتد لصبا الزمان أول الدهر ؛ اشار اليه الرحـــالة الاغريقى مؤلف كتـــاب « الكشاف البحرى « Periplus فى القرن الاول الميلادى ، حين كتب يعجب لكثرة السفن العربية على الساحل الشرقى للقارة ، ويشيد بقدرة العرب على العيش الجميل مع الاهلين حتى فى ذلك الزمان البعيد ؛ يتزاوجون فتختلط الأنساب ، ولا يجد الخصام سبيلا بينهم وبين القوم ؛ يعرفون لغاتهم ويتطلع هؤلاء للتعرف على لغتهم التى كانت تفتح لهم آفاق التجارة والثقافة ؛ ويمارسون ما لا يأبون من عادات القبائل ؛ تجىء سفنهم من الجزيرة العربية ومن كل صوب فى المحيط الهندى بالخناجر والرماح والزجاج ، وتقلع من لدنهم تحمل العاج وقرون الخرتيت وجلود السلحفاة وزيت النارجيل . رأى الرحالة الأغريقى فى القرن الأول الميلادى عيشا رافها آمنا بعضه من بعض ، ولم يجد الرؤساء فى الاقليم الافريقى حرجا من التضامن مع كل ملك يحكم الجزيرة العربية ، ولم يحسوا فى هذا التضامن غير المتكافىء تبعية يكرهونها أو شعورا بتحقير . عرف التجار

---

* هذه مقدمة للترجمة العربية لكتاب « بازل ديفدسون » ( أفريقيا تحت أضواء جديدة ) نشرته دار الثقافة فى بيروت ( ١٩٦١ ) . قام بترجمته للعربية الاستاذ جمال محمد أحمد .

من جنوب الجزيرة اذن ساحل القارة وبضعا طيبا من داخلها منذ كانت تجارة وتجار فى الاقليمين ، كما عرف رحالة القرون الوسطى أشطارا من غرب افريقيا ووسطها معرفة هى اليوم نقطة البدء فى تاريخ القارة على عهد الوسيط ، وقد تصدى دافدسن لهذا الجانب على نحو جدير بقراء العرب أن يتدبروه ، وان يتابعوا الذى لم يجد له المؤلف فسحة فى فصوله .

ويصمت التاريخ كله لا العربى وحده ، بعد رحلة صاحب « الكشاف البحرى » وتمضى الحياة بالعرب والافريقيين عن أعين الراصدين ، لا يغير نموذج التجارة والحياة فيها شىء ، حتى يتدفق على الساحل المهاجرون العرب بعد وفاة الرسول حين تضطرب الحال بينهم فى بلادهم ، فلا يقدر عليها الا المحاربون من أجل شىء عزيز قريب الى نفوسهم . يفد طلاب السلامة هؤلاء والامن والرخاء ، ويجدون لمواهبهم التجارية والثقافية مجالا أحدث اثره لا على الساحل وحده بل على الحياة فى البلاد العربية : تزخر مثلا أسواقهم فى القرن الثامن بمصنوعات الحديد من زمبابوى فى أعماق القارة الأفريقية ، ترد على الدواب عبر ذلك القفر فى روديسيا الحديثة لتحملها مراكب العـرب إلى كل مكان فى بلادهـم البعيدة ، ويدل على هـذا النشاط الحديد بين القارة والجزيرة أيضا كثرة الزنوج فى بلاد العروبة : كان « لا يفقد غائبهم » فى الحروب ايام ثورتهم على دهاقينهم فى فرات البصرة ، « كلما قتل منهم قتيل سد مسده غيره فلا يظهر أثر فقده » كما يقول ابن أبى الحديد ، فى حديثه عن ثورة الزنوج . وتكاثر العرب على الساحل فامتد سلطانهم فى القرن العاشر من القرن الافريقى قبالة جنوب الجزيرة حتى اسفالا قرب واق الواق الشهيرة شهرة الاساطير ، ولا غرابة ، فقد كانت قصص الف ليلة وليلة تتجمع فى ذلك العهد ، وبعضها استوحى ولا شك من رحلات العرب الجريئة فى هذا الاقليم ، ويقودك الاهلون حتى يومنا هذا الى صخرة فى مالندى يؤمنون بأنها صخرة السندباد . وفى القرن العاشر هذا الذى نتحدث عنه وصل على بن الحسين جزيرة كلوا قرب دار

السلام الحديثة ، وظل خلفاؤه على عرشها حتى القرن السادس عشر حين تغلب عليهم البرتغاليون .

وتدخل القارة هنا التاريخ مرة أخرى بعد مؤلف « الكشاف البحرى » على يد الادريسى فى القرن السادس عشر ؛ رسم هذا الجغرافى الجليل اول خريطة لافريقيا عرفها التجار والملوك فى القارة الاوربية ؛ لم ير هؤلاء بطليموس فى القرن الثالث . وكانت هذه أدق وأشمل ، تعززها كتابات عن تعدين الذهب والحديد فى سفالا قرب واق الواق ، وفى مدن الداخل ؛ ولم يكن عسيرا على الادريسى ان يجمع ما جمع من حقائق ألهبت خيال قارئيه . فقد كان الساحل كله آنذاك منازل يقطنها العرب مثل جيدى التى اشتهرت فى نهاية القرن الذى كان يكتب فيه الادريسى ، ولم تبق نقطة على الساحل لا تنتمى للعرب ، حين جاءت موجة من مهاجريهم فى القرن الثالث عشر ، وقد اجتاح المغول دار الاسلام حتى الفرات ؛ لحق هؤلاء بأهليهم على الشاطىء وجاءوا بدم جديد دافق ظهرت آثاره فى عماراتهم الزاهرة واسواقهم النافقة ، التى وصفها ابن بطوطة حين جاء الاقليم فى الربع الاول من القرن الرابع عشر ، وكانت حيوية عصية عجزت هجمات البرتغاليين سنة ١٤٩٨ عن ان تفل من حديدها ؛ مضوا يردون هجمات الواغلين بيد ويبنون باليد الاخرى ، كما ترى اليوم من بقاياهم فى خليفى وكلوا . ظلوا على هذه الحال حتى سنة ١٥٢١ حين استحال التعمير وقد قويت يد البرتغال ووهنت يدهم ، وما كانت لتهن لولا تفوق هؤلاء فى السلاح ، وتنازع الأمر بين قادة العرب .

القت مراكب البرتغاليين مراسيها على الساحل فى السابع من ابريل سنة ١٤٩٨ ، ولقوا من العرب واحلافهم الاهلين كل عون وود الى أن بان لهؤلاء ما يضمر الواغلون ، ادركوا أنهم يريدون الانقضاض على تجارتهم ، فتحول الود عداء مسلحا بعد عشرين عاما من العيش الخادع ، وتمكن

البرتغاليون من الساحل مائتى عام . آلت اليهم فيها خيراته وخيرات الداخل ، وان لم يسكن العرب على هزيمتهم : كان العمانيون من حين لحين يسعون لاسترداد ما كان منهم . حتى لنجحوا مرة فى حصار قلعة ممبسا الضخمة ، التى تحتل قلب المدينة حتى يومنا الراهن . ومضت ثلاثة وثلاثون شهرا على هذه الحال بين سنتى ١٦٩٦ و ١٦٩٨ . ولولا خلافهم لاستعادوا ارضهم ، ولم يصبروا حتى منتصف القرن الثامن عشر حين استطاعوا بهجمة عازمة قادرة على إخراج البرتغاليين من الساحل . وان لم يستطيعوا رأب صدعهم الا بعد خمسين عاما من هذا التاريخ . كثر المتطلعون للسلطات والقياد بعد ان رحل العدو ، وكثرت حروبهم الصغيرة حتى جاء عمان السيد سعيد سنة ١٨٠٤ ، وقضى على الدعاة والطامحين بشدة مراسه وبعون احلافه من الانجليز ، وفى سنة ١٨٣٢ نقل عرشه لزنجبار حيث يحكم ابناؤه اليوم فى ظل الحليف الذى ملك الأمر كله من بعد ، وبالسيد سعيد يبدأ عهد جديد فى اكتشاف القارة ، اذ تيسر بعده ان يسافر الاوربيون للداخل بحرسهم أمنه الذى نشره فى الاقليم من جزيرته القريبة .

## العرب فى أواسط أفريقيا

هذه قصة من أروع الصفحات فى التاريخ الافريقى كله أو التاريخ العربى فى أفريقيا ، وليس بعيدا ان يتفرغ لها يوما من الأيام ، طلاب هذا أو ذاك من شباب العرب ، فيقتفوا آثار هذا الاندلس الافريقى قبل ان تعفى عليه رمال الأيام أو تدخل هذه الكتب والمذكرات والرسائل العديدة التى كتبها الرحالة والمبشرون والقناصل الاوروبيون ضمير العالم كله على انها وحدها هى سجل الحوادث هناك ، وماهى — حتما — كذلك . كتبت كلها بأعينهم ، وكان صعبا عليها أن ترى حسنة فى العرب ، فقد التقوا هناك فى زمان جاهر فيه كل جانب أخاه بالعداء ، بعد ان عجزت المخاتلة بينهما والمداورة ان تحفظ السلم ؛ وما ندرى أية جهة سيتجه هذا الشباب ليكتب

هذا التاريخ بعين العرب أيضا . فقد كانت الاندلس الافريقية — فيما نعرف الآن — امية لا تكتب ؛ عاش فيها رجال أخطروا أنفسهم اخطارا ، تلوح صورهم خلال كتابات الأوروبيين زاهية مليئة بالالوان تغريك بالبحث ؛ افراد من الناس اقتحموا هذه المجاهل « من بوغندا فى الشمال الى نياسا فى الجنوب » وأذاعوا الذعر « من نياسا فى الجنوب الى سواكن فى الشمال » لا تسندهم حكومة ولا تعضدهم جماعة : سعيد بن جمعة ، سالم محمود بن خميس بن بهلول وعشرات غيرهم من أهل التجارة والسياسة فى اقليم يوغندا الحديث ، ومحط بن خلفان ، وبوانا عمر ، والشريف ماجد وعشرات غيرهم من أهل الحذق والمال فى نياسا الحديثة وتنجانيقا ، وسليمان بن زبير رسول السلطان برغاش فى زنجبار الذى كان يقطع القارة من شرقها لغربها للتجارة حينا وللنفوذ احيانا أخر ؛ وسيدهم كلهم الذى أذاق ليوبولد ملك البلجيك ، مر العذاب ، طبوطب كما تسميه مصادر الفرنجة ، الرجل الداهية البصير بكل شبر فى الجبال والغاب والبحيرات ، تلوح لك منه صورة مثيرة غريبة كأنها ابداع فنان ، تود لو لمستها بيدك لتعرف ، ولكنها تتأرجح عن بعد كالسراب وتخطئها الحواس . ظل من الظلال خلال الكتب ، كان يعرف مواهبه ويدرك وهو فى غياهبه تلك مصادر القوة التى تنبع وأى مسار تدبر توالت عليه الفتوق آخريات أيامه فى الكونغو الأعلى ونكأه ما كان بينه وبين تجار العرب من عصبية هناك ، وخشى ان ينتفخ ليوبولد بهذا الخلاف فخرج يقصد زنجبار — حيث أهله وماله ، ولقيه على الطريق عند بحيرة تنجانيقا سنة ١٨٩٠ مبعوث جمعية من جماعات التبشير ، وما نظن الا انه لمح الشماتة فى عينيه ، قال له وهو يحاوره : « الرجل الابيض أكثر قوة وعدة منى . سيبتلع كل الذى اقتنيت كما ابتلعت ما ملك المجوس في الاقليم . أرى سحبا فى الجـو قاتمة ، والرعد يقترب . انا ذاهب » . وبعـد سنتين اثنتين من هذا استعرت الحرب بين العرب والاوروبيين فى الكنغو وانتهى امرهم هناك بعد . رجل طيف ليت أحدا جمع عظامه ودمه وروحه ، اذن لجمع تاريخ

اقليم ، فى حياة رجل .

كان للعرب ايراد الأمور واصدارها فى الداخل البعيد من الساحل حين جاءت طوائف المبشرين حداة النفوذ الاوروبى ، حملة أعلام الحكومات والشركات ، ولكنهم لم ينفسوا عليهم شيئا بادىء الأمر ؛ فقد كانت تجارة الرقيق والعاج فى يدهم لا يشركهم فيها أحد ، وكان هؤلاء يسكنون اليهم . فقد كانوا أهل بشر وكرم ومزاج للعيش الجميع ، لا يألفه الاهلون الاصليون آنذاك ؛ ولكن الود لم يدم طويلا بين الفريقين ، واصرخ هؤلاء قومهم وراء البحار ، واحتدم الصراع حينا بالسلاح وحينا بالمماكرة ، واوضح من سجل الحوادث الذى تركه الاوربيون انفسهم ان الغلبة فى البدء كانت للعرب ، فقد كانت المعركة معركة حذق ودراية ومداجاة ، وكان هؤلاء قطان البلاد . احلاف الزعامات والقبائل ، يعرفون كيف يعمون أمرهم على العدو ،حتى ليضيق هذا ويغتاظ حين يفسد امره وتعلو يد العرب.. تساءل القنصل البريطانى فى يوغندا عشية الانقلاب العربى فى اكتوبر ١٨٨٨ فى بلاط الملك ، وكان يحسب انه حليفه ضد العرب : « هذه حوادث منكرة ، علينا ان نقف عندها وان نسائل انفسنا أى قانون سيسود أواسط افريقيا : الاوربى ام العربى » . وكانت غضبة لها ما بعدها فيما نعرف . عوقب العرب أشد العقوبة ، أما سيدهم فى لندن ؛ فأسلم نفسه لغيظ لا يعين على الابصار : كانت جمعيات المبشرين من كاثوليك وبروتستانت تخوض حربا عنيدة مع العرب — اسميت من بعد « حرب العرب » فى نياسا ، وكان انصارهم يلحون على الحكومة القائمة يومها فى لندن ان تعززهم بالسلاح والرجال ، ولم تكن هى فى وضع يمكنها من التجاوب مع المعارضة ، فقد كانت مرارة الحصام على انقاذ غردون فى الخرطوم عالقة بكل لسان . قال سالسبرى يسوق المعاذير كيلا يفعل : « اننا لن نحسن الى تلك الجهود العظيمة فى تبشير هذه البلاد وتمدينها ان نحن اتخذناها سببا من اسباب الحرب مع قاذورات البشرية التى تنتشر فى ذلك الاقليم العريض الطويل الذى يحكمه

أساسا عرب عالجنا نماذج منهم فى السودان ، يجمعون للقسوة التى لا ترحم عصبية دينية لا تبصر . انـه جيش فظيع من الخبث لن يقضى عليه سوى انتشار المسيحية وذيوع المدنية بينهم بالتدريخ » . ٦ يوليو ١٨٨٨ .

وكان غير عادل فى الذى قال ، ذلك لان العرب ، وان كان من حق التاريخ أن يصم تجارتهم للرقيق اقبح الوصم ، تركوا حيث حلوا اسواقا نافقة ، وطرائق للتجارة مطروقة ، ونواة للأدارة والحكم ، وسبلا للزرع والحصد ، بنى عليها الاوربيون حين تسلموا الأمر من بعد . ما عدل حين أسماهم « قاذورات البشرية » فقد اثبت البحث الحديث ان « العرب تركوا أثرا حقيقيا على وجه تلكم الارض : ازالوا فدادين من الغاب وزرعوا فوقها محاصيل متنوعة » الى آخر ما يقول الأب سلمانز فى كتابه عن « المسألة العربية والكنغو » حين يتحدث عن الآثار الاقتصادية التى خلفها العرب فى الاقليم وعن أثر « العنصر العربى » فى تقسيم القارة بين القوى الأوروبية ، ولم تكن تجارتهم للرقيق ، وقـد اتخذت تكأة لرميهم بكل منقصة بابشـع من تجارة الاوربيين فيها كمـا يبين لك كتابنا هذا الذى بـين يديك بالارقام ولعل من محامد العرب فى هذا الباب ، ان العلائق بينهم وبين رقيقهم كانت انسانية لحد بعيد . كتب ديورات باربوسا سنة ١٥١٨ ، وتجارة الرقيق لا تجارة غيرها آنذاك : « حال الرقيق فى ممبسا تدل على ما لأسيادهم العرب هنالك من انسانية ، يعجز الواحد أحيانا أن يميزهم عن أسيادهم ، اذ يبيح هؤلاء لهم ان يقلدوهم فى اللباس وفى غيره من شئون العيش » ولك ان تقابل هذا بأية صفحة أردت من صفحات قصة جوزف كونراد « قلب الظلام » لترى العلائق بين المخاطرين من أوربا وبين عمالهم من الأفريقيين ، لا قبل اربعمائة عام ، بل فى مطالع هذا القرن ، والعصبية الدينية التى تحدث عنها سالسبرى فى خطابه الحانق المغتاظ لعبت دورا ولا ريب ، لكنك ان قرأت السجل بأنعام نظر وحيدة ، رأيت ان اوربا هى التى كانت تقذف بالدين فى الميـدان ، لا العرب : أراد كارل بيتر وصحابه من

رواد الاستعمار الألمانى فى تنجانيقا سنة ١٨٨٥ ان يكون التبشير « أداة مهمة من ادوات الاستعمار – الاوربى المسلح » فيما يقول رونالد أوليفر صاحب « العنصر التبشيرى فى شرق افريقيا » وكانوا يحثون حكوماتهم على « ان تمتزج الحركة التبشيرية بالحركة التوسعية فى المانيا » – أمور يجزم المؤرخون انها لعبت دورا فى تحول العرب عن التعاون مع الاوربيين . وكانوا لا يكرهون التعامل التجارى معهم بادىء الأمر ، يشترون سلاحهم ويبيعون لهم العاج ، وما كان ممكنا بعد هذا ان يقوم التعاون بين الفريقين ، كانت « كل محطة تبشير مقالة فى الاستعمار » والاستعمار معنى من معانى الاحتكار كما كتب رسول الحكومة البريطانية فى نيسالاند عام ١٨٩٠ ولن تجد شيئا من هذا الانتفاع بالدين فى السجل العربى فى أواسط افريقيا ؛ ولعلهم كانوا أعجز من ان ينظموا حركة تبشيرية كالتى نظم الاوربيون .

وكان صراعا غير متكافىء على أية حال . كانت أوروبا ، وقد وطدت الثورة الصناعية أقدامها فيها ، واثقة من نفسها معتدية ، يؤمن غلاة الناس فيها برسالة قارتهم السعيدة ، ويؤمن أكثر الناس فيها بالبحث عن أسواق لبضائعها ، وما تريد من خامات لها عبر البحار بأى سبيل ؛ يريدون ليعوضوا بافريقيا عن امريكا وقد خرجت من النطاق البريطانى سنة ١٧٨٣ ، والثورة الصناعية بنجاحها تغير من كل شيء فى حياة الأوربيين المادية منها والنفسية وتوحى اليها بأنها أفضل الناس وأجدرهم بالقيادة ؛ وأحقهم بما تنتج الأرض العريقة ، ولم تكن صدفة محضا ان تتكون الجمعية الافريقية فى بريطانيا بعد خمس سنوات فحسب من هذا التاريخ ، وهى الجمعية التى عملت على اكتشاف القارة الافريقية فى الداخل اكثر مما فعلت جمعية أخرى أو شخص بذاته ، وتدفق القناصل على زنجبار وقد اتصلت السبل وامنت الطرق – كما قلنا – على عهد سلطانها المسقطى السيد سعيد ، جاءوا : الولايات المتحدة سنة ١٨٣٧ ؛ وبريطانيا سنة ١٨٤١ ، وفرنسا سنة ١٨٤٤ – يتنسمون الاخبار ، ويتطلعون للداخل يريدون لسلطانهم ان يمتد فيحوز

وجدان القارة من ناحية وثروتها من ناحية ، وكان العرب قد سبقوهم لهذين ، فيما اخبرهم لفنجستون فى رسائله : كان يجد آثارهم أينما حل . حسب نفسه سار طريقا ما سارها احد قبله حين عبر القارة من بتشوانا لاند خلال صحراء كلهارى وحـــول بحيرة نقامى وفوق نهر زمبيزى ، فأنجـــولا وعبر القارة مرة أخرى الى اقليمين عند ساحل موزمبيق ، بعد سبع سنوات من الاقدام انتهت سنة ١٨٥٦ ، ثم عرف ان عربيا اسمه سعيد بن حبيب بن سليم اللفيفى ، طوف ما طوف هو قبله بشهور قليلة ، لا تسنده صحيفة ولا جماعة ولا تعنى بأمره دولة كما كانت الحال مع لفنجستون وغيره من الارواح الجريئة التى كشفت القناع عن القارة لاوربا المعتدية الجديدة المصنعة . وكان هذا شبيها بحال العرب فى صراعهم للبقاء آخر الامر . تأتيهم أخبار الجيوش الخديوية فى طريقها لاواسط القارة صوب يوغندا ، فيتلهفون ، ينصتون لعلهم يجدون حليفا يعين ، وتأتيهم أخبار غزوات الامام المهدى الموفقة ، فينصتون مرة أخرى لعل علما من اعلام العرب ، يأتى لنجدتهم وهم أفراد مبعثرون لا يقيدهم نظام ولا يقودهم زعيم ، ويتسامعون بنوايا سلطان زنجبار فيتمنون ان تجىء نجدة منه وهو سيدهم فى الاسم ، ولا يقع شىء من هذا ؛ على النقيض تتقدم أوربا الفتية القادرة المنتظمة وتقسم الاقليم كله فتاتا بينها ، ولا يسع السلطان سعيد فى زنجبار سنة ١٨٩٥ وهو يرى الحلقات حوله تكتمل يوما بعد يوم ورعاياه يفدون بأخبار الهزائم من الداخل ، الا ان يقول يتحسر على نفسه وآله « لست الا عصفورة فى مخالب صقر » .

## العرب فى غرب افريقيا

هذا عن شرق القارة ووسطها البعيد ولكن الرباط العربى بغربها فى القديم لا يقل قوة عن هذا الذى رأينا بعضه فى الشرق والوسط ، اتصلت

هذه وتلك بجنوب الجزيرة العربية منذ فتح التاريخ عينيه ينظر ، واتصل الغرب بالشمال الافريقى وشماله الشرقى منذ احقاب ممعنة فى القدم ، وكانت الصحراء هنا كالبحر هنا ، تتناثر على حوافيه فى الشمال والجنوب المدن كالموانىء ، تخرج القوافل من فاس ومراكش وقسطنطينية والقيروان ، تحمل الملح ، وكانت سلعة عزيزة فى الجنوب والغرب ، لغانا ومالى وجن وجاوا وتمبكتو وكانو ، وتعود قوافلها تحمل الذهب والرقيق . عرف الجانبان من الصحراء ، طرقا ثلاثة للقوافل ، أولها غربية تقلع من مراكش متجهة للمنحنى الشمالى من النيجر ، والى الاقليم الشاسع غربه صوب المحيط وثانيها طريق وسط يبدأ عند تونس ويتجه للاقليم الكبير الراقع بين بحيرة شاد ونهر النيجر ، وطريق ثالث من الشرق لدى طرابلس ومصر ، يسير للاقليم الواقع حول شاد كله ، طرق كلها تدلك على ما كان من صلات قديمة قريبة بين الشمال الافريقى، والاقليم العريض الذى عرف من بعد بالسودان ، حين جاءه الرحالة العرب ، ويقص عليك كتابنا هذا الذى بين يديك كثيرا من مفاخرهم فى هذه المسالك الوعرة . ظلت هذه الصلة تجارية صرفا حتى كان أول العهد المسيحى ، حين دفعت التقلبات السياسية فى الشمال ، شعوبا عدة وقبائل مختلفة للنزوح عبر الصحارى للجنوب ، هربا من الحروب . توالت هذه الافواج حتى القرن الثالث عشر ، ونشأت معها منازل من المهاجرين العرب والبربر المتهودين ، تعيش آمنة وسط أرض الزنج ، يتراحمون ويتقاسمون العيش ، ويتبادلون ما عندهم من ثقافات ، كما فعل اهل جنوب الجزيرة العربية فى شرق القارة ، وابتلع بحر الزنج هذه القطرات الوافدة ، فلم يعد ما يميز قادما من مقيم ، وظلت حياتهم هكذا آمنة لا يروعها شىء ، حتى وجدت أوربا طريقها اليهم ، تتاجر فى الرقيق ، بادىء الامر وتتولى شئونها شيئا فشيئا منذ القرن الخامس عشر ، تمهد لاستعمارها فى النهاية .

وللعرب فى هذه القصة دور مركزى ، فقد اندفعوا بعد الاسلام

للشمال الافريقى على النحو الذى يعرفه القارىء العربى ، وكانوا قبلها جماعات لا خطر لها ولا شأن من المخاطرين ، فتح الطريق لهم سهلا معبدا بعد فتح مصر (٦٣٩-٦٤٢) ، فاستولوا على الشمال بعد غزوات موفقة معروفة ، يقدر المؤرخون ان ربع مليون من العرب استقرت بعدها فى الاقليم واختلطت بأهله البربر ، فاتخذوا الدين الجديد عقيدة ، واللغة الغالبة لسانا وترعرع سلطانهم وامتد بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، على يد بنى هلال وبنى حسن ، وغيرهما من قبائل العرب ، وهى القرون التى شهدت بدايات الامبراطوريات الاسلامية التى يتحدث عنها كاتبنا هذا فى اختصار لا يخل . كانت هجرات الشمال الافريقى والشمال الشرقى فى السودان القديم الممتد بين النيل والنيجر – متقطعة ، قبل ان يستقر العرب استقرارا فى الشمال ، ولكنها اتصلت اتصالا واسعا بعد هذا العهد ، فاتسع نطاق التجارة والهجرة والاستيطان فبعد اثر العرب فى حياة الزنج وعمق . ما كان مجيئهم للاغارة كما فعل البربر قبلهم ، ولا للاقامة الهاربة من الاضطهاد كما فعل اليهود والبربر المتهودين ، حين شق عليهم العيش مع الروم . كان التجار والمهاجرون العرب يحملون رسالة ويتحدثون لغة مرموقة وكانوا بعد هذا يبحثون عن مجال للعيش والتجارة أوسع ، واتخذت آثارهم هذه سمتها القوية التى بقيت لليوم فى سحنة الكثيرين ، ودين الاكثرية ، ولغة الاقلية ، خضع المزيج الذى تكون فى الأقليم من بربر وزنج لسلطان العرب الفتى فاستأثروا بالتجارة والثقافة والحكم لا يشركهم فيها احد، وترى آثار هذا فى التكوين الجسدى للشعوب التى تعيش شمال الغرب جنوب الصحارى ، فالدم الغالب شمال السنغال والنيجر هو الدم الخليط من الزنج والبربر والعرب ، والدين الغالب هو الاسلام ، واللغة العربية ليست عربية على الاكثرية ، ثم يغلب الدم الزنجى جنوب هذين النهرين وان كنت ترى حتى يومنا هذا الاثر الذى تركته تجارة القادمين ودينهم وعاداتهم ، رغم القرون التى مضت الآن على تلك الصلة .

هذا عن القارىء العربى عامة والكتاب ، أما القارىء السودانى خاصة فلن أمضى وقتا طويلا معه اغريه ، ذلك لان السودان القديم هنا فى « افريقيا – تحت اضواء جديدة » بطل من أبطال قصة الحضارة الافريقية ، واضح الميزات والسمات . هذا الكتاب حتم على القارىء السودانى الذى لم يتخصص فى تاريخ بلاده القديم ، ويريد ليقف على معالمه الكبرى ، والفصل الذى كتبه دافدسن هنا خير خلاصة كتبت فى أية لغة حتى الآن عن تاريخ مروى الذى عرف لليوم ، فأكثره كما سترى فى الكتاب حبيس فى ضمير الغيب بعد ، وليس من شك فى انه دلل بالذى ساقه من شواهد وبينات على مسئولية السودان اولا والعالم ثانيا فى العمل على اكتشاف ما بقى من آثار دفينة فى صحراء مروى القديمة ، لا لأنها قطعة من تاريخ السودان فحسب بل لأنها نقطة الانطلاق فى تاريخ القارة ، ويرجو الواحد منا ان تصل آراؤه فى هذا السبيل اهل المال ، ممن يحرصون على التاريخ الافريقى ، وهو بضع من تاريخ العالم الواسع ، حجبته القرون تحت التراب . كانت مروى همزة الوصل بين افريقيا السوداء وحضارة البحر الوسيط ومصر القديمة ، حملت ما انجز الاقليمان صوب الغرب نحو المحيط الاطلسى ، وصوب الشرق نحو المحيط الهندى ، ولم يبق المؤلف شيئا يقوله الواحد للقارىء غير المختص ، الا ان قطعة طريفة من هذا التاريخ وقعت فى يدينا بعد تعريب الكتاب اردنا ان يطلع عليها طلاب تاريخ ذلك العهد فى السودان ، اذ هى مصدر جديد ما كان ميسورا من قبل والمصادر فى هذا الباب عزيزة نادرة .

هى محفورة عثر عليها العالم الجليل انولتمان فى اكسوم فى اثيوبيا الشمالية ينسبها تاريخ ذلك الاقليم ، وقد شرعت معالمه تبين الآن بعد ان اتيح للعلماء ان يحفروا هناك ، الى عيزانا أول ملوك العهد المسيحى فى اثيوبيا ، الملك الذى يختلف المؤرخون قليلا فى تاريخه ، يضعه كرير بين

٣١٧ و ٣٤٢م ، حين ينسبه لتمان الى ٣٢٥–٣٧٥م وهى على أية حال ، سنين الضعف والاضمحلال فى مروى ، والمحفورة التى نتصدى لها الآن تلقى أضواء منيرة على الحروب التى ثارت بينها و بين اكسوم التى خربتها تخريبا آخر الأمر . هذه المنظومة التى حفرت حفرا على صخرة فى اكسوم لن يستطيع اغفالها باحث يريد ليتعرف على أيام مروى الآفلة ، وانا اذ اقدم ترجمة عربية لهذه المنظومة المحفورة ، اريد ان اذكر بالخير صديقى عالم الآثار الكبير ل . ب. كروان الذى ترجمها للانجليزية وعلق عليها فى ورقة نشرها فى المجلة الجغرافية الملكية ، وأعارنى مشكورا صورة من ورقته فنبهنى اليها ، وما كنت لانتبه لها لولاه ، وأحب لعلمائنا ان يخصوا المنظومة المحفورة بعناية يتبينون معها الأماكن العديدة التى تشير اليها والقبائل التى يتحدث عنها الغازى عيزانا ؛ فأكثر هذه الاماكن قد اندثر ، واغلب هذه القبائل امست مع الزمان أساسا لغيرها من القبائل بعد ان ذهبت هى وانتهت وحدات بنفسها قائمة : يقول عيزانا فى منظومته المحفورة :

بيدى الله ذى الجلال صاحب الأرض والسماء ،
بيد الله ذى المن الذى انتصر فى كل مكان .
على كل مغالب ، هنا على الأرض وفى السماء ،
يعلن عيزانا ان لن يقهره قاهر ،
فالله سيد الناس والأشياء يؤثره .
لن يلقاه وجها لوجه عدو ،
ولن يركضن أثره غالب ،
ولن تستطيع قوة الا قوته ان تعجزه ،
فيده المنيعة من يد الله خالقه .
والله رب كل شىء وكل احد .
انا عيزانا ، بن (الا ) – عميدا ، سليل هالين .
صاحب اكسوم وحمير

صاحب ريدان وسبأ
وسلحين وصيامو والبجه ،
ملك الملوك ، حاكم كاسو ،
ابن (الا) عميدا ، الذى ما قهر .
شرعت ويد الله فى يدى اصارع النوبة
حين خرجوا عن طاعتى وثاروا يفخرون :
يصيح صائحهم انى لن اعدو التكازى
وان جهدت .
ركبوا مراكب الغرور يعتدون ، لا يرحمون .
ضربوا شعوب منقرتو وهاسا وباريا
وكانوا غلاظا شدادا على السود .
حنثوا بيمينهم الذى اقسموا ، وخاضوا الدماء
يفتكون بالشعوب الحمر .
ولم تكن هذه أول مرة يخرجون ،
كانت الثالثة وحق عليهم العقاب .
ذهبوا بعيدا مع الزهو ، وذبحوا جيرانهم .
لا يستحون أو يخافون ،
ثم أرسلت الرسل بادىء الشر أرجو أن
يثوبوا لرشدهم ، وان يرجعوا عن غيهم .
وكانت هى الطامة :
نهبوا رسلى واخذوا من عليهم
كل ثمين يقتنون .
وعز عليهم أن انصحهم أنا ،
ولكنى لم اقنط .
بعثت البعوث مرة ثانية ،

فسبوا البعوث والباعث ،
وكان لا بد من حربهم بعدها
ففعلت
تسلحت بقوة الله عضدى دائما
سيد الناس والسماء والناس البهم ،
فالتقينا على ضفاف تكازى لدى كمالكى ،
وذاقوا مرارة الحرب منذ ساعاتها الاولى ،
فأدركوا ألا قبل لهم بجيوشى المظفرة ،
وانقلبوا على وجوههم يفرون ؛
قفيت أثرهم ثلاثة وعشرين يوما
وهم يجرون لا يلتفت واحد منهم
يخافون ان ينظروا .
ذبحت بعضهم ذبحا وأسرت بعضهم الآخر ،
وسبيت وغنمت وحرقت لا يصدنى عنهم رجل ،
وعاد قومى بالغنائم والاسرى
والمدن تحت اقدامهم جازعة لاهثة ،
مدن من كل نوع ، من الحجر بعضها وبعضها من القش .
حمل عنها جنودى الشجعان
غلات خزينة ولحما قديدا وكتلا من النحاس باهرة ،
وحرقوا ما لم يستطيعوا حمله ، لا يفيد منه احد .
حرقوا قطنا كثيرا ومخازن غلة عدة ،
وجرى العدو مبهور الانفاس
يحتمى بمياه سيدا .
سبح بعضهم عبر النهر ومات بعضهم يجاهد ،
وان كنت لا اعرف كم مات منهم وكم عبر .

تكاثروا على القوارب لعلها تنجيهم
تغرق الرجال والنساء وهم يتزاحمون .
واسرت بعدها زعيمين كبيرين
جاءا يجوسان منازل الجيش يتجسسان ،
سقتهما أمامى على جمليهما يرتعدان .
احدهما اسمه يساكا الاول ، والثانى بتالى الاول .
وكان من اسراى نبيل اسمه انقبناوى
وأسرت كثيرا غيره من الرجال :
دانو كوى الاول ، ودقالى الاول ، وأناكوى .
وساق جنودى سوقا قسهم الاول ،
أخذوا تاجه الفضى من رأسه .
كما اسروا حواريه سيدهم وكاركارا .
سقط خمسة زعماء فى المعركة ، وسقط قس ،
وما كان لهم ان يفلتوا فنحن أقوياء أشداء .
بعون الرب سيد السماء والارض .
ثم جئت كاسو ،
وذبحت فى الطريق خلقا كثيرين
واسرت خلقا آخر
عند مقرن تكازى وسهيدا
وأقمت يوما واحدا فى كاسو .
وارسلت بعدها جيش محازا ورفيقه حارا ،
وجيش دملوا وفلح وصير ا
لينهدوا فوق سيدا ويغزوا المدن ؛
مدن الحجارة كلها والقش :
يسمون واحدة منها علوا

ويسمون الثانية وداروا .
وجاءتني جيوش ظافرة ما مسها شيء ،
عادت تحمل المتاع كثيرا وتسوق الأسارى ،
عادت وقد اذاعت الرعب والذعر في نفوس الاعداء ،
بما قتلت من الاهلين وحرقت من البيوت والمدن ،
تعينها قدرة الله القدير .
وارسلت بعده بعثة أخرى ، ارسات حالين ولاكين ،
وعززتهما بجيش سبرات وفلح وصيرا ؛
نهدوا كلهم صوب الجنوب ، كما نهدت اختها صوب الشمال
من سيدا ، ومشت نحو مدائن النوبة هناك .
غزت نقويس اولا
وانقضت بعدها على مدائن الحجر في كاسو ،
وما كانت لهم في الحق .
اخذوها ظالمين عنوة .
ثم غزت جيوش تبيتو وفرنيت ،
وانتصرت بيد الله وعادت سليمة ،
ما مسها سوء ، وصلت اقليم النوبة الحمر ،
وذبحت اهلها ، واخذت الأحياء اسرى ،
واعانهم الرب القدير فجاءوا بالمتاع كثرا وبالخيرات ،
فأقمت عرشا عند ملتقى النهرين ، سيدا وتكازى
قبالة مدينة الحجر على هذا الخليج .
لقد اعطاني الرب رب السموات
٢١٤ اسيرا ذكرا ، كما اعطاني ٤١٥ اسيرة
أى ٦٢٩ رجلا وامرأة ،
وذبحت ٦٠٢ رجلا ، اما النساء والاطفال

فقد اتينا على ١٥٦ منهم : اعنى ٧٥٨ فى الجملة .
اسرت وقتلت اذن ١٣٨٧ نفسا
وغنمت ١٠٥٠٠ بقرة و ٦٠ ، ونحو ٥١٠٥٠ شاة
وعززنى ربى تعزيزا فأقمت هنا فى صادو عرشا ؛
أتانى ربى الملك والحكم ،
وانا أدعوه ليشد من ازرى ويقوم على حكمى :
فينصرنى حيث ذهبت كما نصرنى الآن ؛
وخذل الأعداء .
سأحكم بين الناس بالحق والعدل يارب ؛
لن اسيء لأحد
وسأضع عرشى هذا الذى أقمته
والارض التى تقف عليها
فى حجر ربى ، فى يده
شكرا وذكرا له .
وان اعتدى عليه أحد يروم ان يزيله ،
بله ان يخربه أو يمزقه ،
فلن أبقيه على الارض ، ولن ارحم نسله ،
ولن يبقى لهم على الارض اثر
جزاء ما يرتكبون أو يسعون ان يرتكبوه ،
فهذا العرش منحه الله لنا ربنا حامينا .

انا لا أكتب تاريخا افصل فيه حياة هذه الجزيرة العظيمة مروى ، فقد أتى على كثير منه هذا الكتاب الذى احثك على قراءته بهذه المقدمة ،ولا يعنينى هنا الا ان انبه لهذه المحفورة المنظومة التى تصف الجزيرة ومدنها الكبرى وقراها العدة ، وتبين الذى كان بينها وبين اكسوم من صراع للسيطرة على تجارة المحيط الهندى ؛ نفست اكسوم على مروى تجارتها الزاهرة وثقافتها

المزيج البديع ، فوقفت فى وجه قوافلها الكثيرة للمحيط ، وتحرشت بها سنوات وقرون تحميها جبالها المنيعة ووديانها الكثيرة كالمتاريس حول المملكة ، والمنظومة التى بين يديك اثر مفتاح لحروب العهد الاخير من حياة مروى . على ان بعضهم يعدها ضوءا منيرا على ظهور النوبة فى التاريخ الموثق أو المحفور ان اردت ، فكاسو هذه التى يتحدث عنها عيزانا ليست غير كوش مملكة مروى ، والنوبة الذين يشير اليهم هم النوبيون الذين عايشوا المرويين صوب الشمال ، بعد ان أخذوا عنهم — عنوة فيما يقدر البعض وتحالفا راضيا فيما يقدر الآخرون — بعض مدنهم معها ثقافتها الغالبة وحضارتها الذائعة ؛ نزحوا للاقليم من غرب السودان الحديث فى جبال النوبة وفى جبال ميدوب وحول تلك الجبال ، فيما يرجح دارسو اللغات القديمة المقارنة ، ويبدو لهم ان هذه المحفورة أول أثر موثق يشير الى هذا القوم فى التاريخ ، وهم الذين ورثوا الاقليم كله عن مروى بعد ان خربت على يد عيزانا وقومه ، وهم الذين حفظوا على الاقليم صلاته العديدة بخارجه باعتناقهم المسيحية ، واقامتهم ممالكها الثلاث عند فرس ، ودنقلا العجوز ، وسوبا ، العواصم التى لا تزال تفاجىء الباحثين كل حين بجديد عن ممالكها القديمة : نوباتا ، ومقرى ، وعلوه ، ممالك تحتل فى التاريخ العالمى مكانا ما عرف الا قليله الآن ، توجت أخريات ايامها بالدفع عن عقيدتها وعزتها امام الزحف العربى الذى احتضنته من بعد وقد اهتدت بهدى الاسلام ، وآمنت به طائعة غير عاجزة . « رماة الحدق » ما كانوا عجزة ، لهم فى سيرة العصور الوسطى مكان جلاه المقريزى فى مواعظه والمسعودى فى مروجه ، تجلية تشير الى هذا الذى تقول به المحفورة ، من ان النوبة وقد آلت اليهم حضارة مروى وثقافتها ، كانوا الشوكة فى جنب عيزانا يغيرون على « الشعوب الحمراء » فى مملكته ، وعلى رعاياه من قبائل بربر الحديثة وسواكن .

عبر عيزانا ليثأر لشعبه وقبائله نهر التكازى « عطبرة » واتجه صوب سيدا ( النيل ) والتقت جيوشه باعدائه عند كمالكى ( المقرن بلغة الجالا ) لدى

التقاء العطبرة بالنيل ، قلب مروى الآفلة آنذاك ، ويقيم الغازى الاثيوبى قاعدته هناك فيرسل للشمال فرقة الخمس تغزو حتى تشارف أبى حمد الحديثة ، وتقف المحفورة تشيد باعمال عيزانا فى مدن الحجارة ، « علوا » ويغلب على ظن الباحثين انها سوبا التى عرفت من بعد ، وعن « داروا » التى يرجحون انها اربجى القديمة ، الحصاحيصا الحديثة ، ويميلون احيانا الى انها ابى حراز عند ملتقى الرهد بالنيل الازرق ، اما « تبيتو » واختها «فرتيت» فموضع خلاف طويل بين العلماء ، يكفى ان نقول هنا ان بعضهم يقولون انهما جزيرتا «تبت» واختها «برتى» شمال كريمة حيث عاش « النوبة الحمر» الذين يشير اليهم دافدسن فى كتابه هذا بالمجموعة .

أحمد الطيب أحمد

# من مذكـــراتى *

## (١) يوم الجمعة فى قريتنا

فى قريتنا رجال ، وفيها نساء طبعا ، والا لا تكون قرية اذا لم يكن فيها من كل زوجين اثنين !! . . فيها النساء الخيرات ، وفيها الرجال الأخيار « العجيبو الأطوار » ، ولو قد استطعت لخلدتهم جميعا بالكلمات ، ولحدثتكم عنهم جميعا ، فى قريتنا مثلا رجل صامت . . لكنه صامت ضحوك بسام ، يحبه الناس أجمعون — والسبب الأول أنه يطعمهم جميعا ، فقد أتاه الله بسطة فى الرزق . . ففى كل جمعة ينتشر أبناؤه السبعة فى القرية ويوسوسون للرجال والشباب . .

— أبوى قال ليك تتغدى معنا اليوم بعد الصلاة .

— كدى ؟ سمح ! كتّر خيره .

وينتفض المصلون ثم يتجهون إلى بيت الصامت الضحوك ، ويأكلون والأعمى معهم ، يغنى لهم ويقص عليهم أقاصيص البحر وحكايات النوتية ، التى أشربها إخوانه فى البحر منذ قديم — وذلك لأن البحرَ منذ قديمٍ نائى الشطوطِ غريق ، ونستمع لحكاية دفع الله الريس الأعمى الدقيق الجسم الذى يصيح :

« — يعنى معناها . . المركب دى دايرا ليها جر . . انتو بلا السفاهة تعرفوا شنو ؟ هوى يا النوتيه . . يعنى معناها ؟ انتو اولاد . . » ثم يسب أمهاتهم وأمهات أمهاتهم إلى حواء . .

---

* من كتاب ( أصوات وحناجر ) لاحمد الطيب احمد والذى جمع فصوله وقدم له الاستاذ عثمان حسن احمد وصدر فى عام ١٩٧٥ .

ويمضى الفنان القصاص الأعمى فى أقاصيصه ، والخلق يأكلون ويضحكون ، والرجل الباسم يسبغ عليهم من صحبته وكرمه وضحكه .

وفى قريتنا قوم موسرون ، والموسرون المحسنون فى كل قرية يغدُّون الناس يوم الجمعة ، ويجلبون المال من الصعيد لينفقوه فى الشمال أو بالعكس – ينفقونه على الحملان وعلى العميان وعلى أهل الفن .

ويوم الجمعة يوم عظيم فى كل قرية ، وما اختلفت ألوان نشاطه ، وما تغيرت ألوان طعامه إلا قليلا ، ولعله لن يزول عن قريب .

**(٢) الفن . . والبخل فى القرية :**

الأهلون فى القرية يصنعون الحوادث ، والحوادث فيها المآسى وفيها المهازل وفيها العبث وفيها الجد . . وقريتنا ليست بدعا من القرى فى هذه الدنيا العريضة ، ففيها من كل الأصناف . . وقد أذكر نموذجين إثنين لصنفين من الناس ، أولهما فنّان حقا ، وهو اليوم كفيف البصر ولا أدرى متى كف بصره .

وقريتنا راقدة على النيل فى الشمال ، والشيخ الذى أتحدث عنه قد بلغ اليوم الستين وقد مات أبوه وشبع موتا ، وكان يحبه ، وحين كان صبيا رفض التعليم ، رغم أن نار القرآن موقدة فى قريتنا حتى اليوم ، فما ثار والده ، بل تركه وشأنه . . ثم هو يُذكرنى بعاشقى البحر . . فقد عشق البحر وفتنه البحر وسحره ، وأثارته مفاتنه ، وصار نوتيا ، والمراكب الشراعية شغل أهل الشمال منذ الأزل ، يبلغون بها من أبى حمد وبربر الجنوب ، يحملون عليها العيش « الذرة » وغيرها من البضائع ، والنوتية سفهاء ، يبدأون سماهتهم بالحديث مع « أم العول » [١] التى تطعمهم وتسقيهم ، وهم لا يزالون يعملون خير العمل وأقواه وأقساه ، ثم يتحدثون ويسمرون حين يناجى النجم الماءَ ، يتحدثون عن عرائس الماء . . وعرائس

---

(١) ( خادمة المركب ) . . .

الماء عندنا أيضا ، لا ينفرد بها الإغريق ، ولا المرحوم على محمود طه [1] لأنها :

شغل الربابنة الســارين من قــدم

تزهى بهــن عشيــات وأسحار

وقد جمع صاحبنا قصصا كثيرة عن عرائس الماء ، وعن إخوانه فى الملاحة ، وعن ( ريِّسه ) وعن الموانىء وعذاراها .

والناس فى قريتنا يحبونه جميعا فهو مغرم ( بالمناصير ) [2] وأدبهم ، وقد جمعت منه شيئا كثيرا ، وكتب عنه لى تلميذ ذكى محبوب .

وفى قريتنا شخص آخر بخيل مثل ( شايلوك ) ، بل ان ( شايلوك ) أكرم منه ، فبخل « شايلوك » يمليه الحقد والغيظ ، والذكاء ، وبخل صاحبنا مرض وإستهبال ، والبخلاء كما يزعم الجاحظ - لا يموتون مطلقا ، وهذا البخيل عم لى فى القرابة القريبة وله فى قريتنا حمير وديار يبيعها « جزة » أى يبيعها بأثمان باهظة ليزرعها الفقراء فيطعمون بها المساكين من أطفالهم .

وقد كان صاحبنا البخيل هذا متزوجا من فتاة جميلة ولكنها مصروعة ماتت ، وبقى هو يجمع الأموال ويحرسها - ولا شك عندى أنه قتلها بنظراته التى كان يرسلها من عينين تشبهان قدود الجلد ، ثم تزوج بعدها أختها وسكن معها ، وهى قوية جدا تطعمه من حر مال أبيها وأمها ، وتسقى له له حميره وأبقاره . .وهو لا يهتم . .

وكان صاحبنا البخيل يدفن محصولاته من الفاصوليا والذرة فى المطامير سنين عددا ، وصاحبنا فوق ذلك يصلى لله تعالى ويسبح ، ويصلى فى جماعة

---

(١) عـلى محمود طه (١٩٠٢-١٩٤٩) شاعر مصـرى مولع بالتغنى بالجمال . . ظاهـر الرومانسية . . رقيق الجرس فى شعره . . من دواوينه ( الملاح التـائه ) و ( ليالى الملاح التـائه ) .

(٢) قبيلة من قبائل السودان الشمالى . . .

ولا يغضب مطلقا ، وهو يسعى للمسجد ويلقى شيخنا الكريم وإخوته ، ويأكل الطعام الجيد .

ومثل عمى هذا كثيرون فى القرى ، فاذكروا أعمامكم من أمثاله واذكروا القرية واسألوا أهلها . . قال تعالى ( واسأل القرية التى كنا فيها ) ، أى أهل القرية . . ففى القرية فنانون . . وفيهم الأفاقون والعمى ، ومعظمهم أذكياء ، أو هكذا يحدثنا المشايخ الذين يدّرسون علم النفس . . فاذكروا قراكم فالقرية هى مصغرّ الدنيا الطويلة العريضة .

## (٣) الشيخ وجريدة النخل :

حدث ذلك فى قريتنا تلك التى ترقد على الشاطىء الغربى من النيل ! فيها الرمل والحصى والتراب . .

وفى كل عشرين عاما تطوف بها السيول تحمل الجثث من الناس والأنعام . . جثث آتية من بعيد . . والنساء يخضن السيول – ولا يحفلن بالجثث – ليتبركن بالسيل ولا بد للبركات من الصراخ : فكن يصرخن . . وجاء سيل بعد عام وكانت طفلة : عمرها ثلاث عشرة سنة فقط . . وكان كهلا عمره خمسون . . وزوجوها منه وكانت له زوجات غيرها ثلاث لم يلدن فقد كن من اللائى . . من اليائسات .

وتزوجها ! ! هكذا أراد أبوها – لأن الرجل قريبه ولأن للرجل مالا – دراهم وأغناما وديارا وحميرا . .

وما كانت الطفلة تعرف ذلك ودخل بها . . ليلة . . دخل عليها الكهل . . وأصبح الصباح فإذا بها مجنونة وجاءوا بفقير (١) أملس أسمر يلبس ثوبا أبيض . . فقير معروف مشكور . . وجلس بجانبها وكانت مسجاة (٢) بثوب أسود راقدة على عنقريب . . كأنها قطة . جلس عندها فوق الكرسى الوحيد

(١) تطلق على الفكى – وأصلها فقيه – والمراد بها عند أهل السودان الرجل ذو الدين ، التقى الصالح الذى يتبركون به ويلجأون اليه فى الملمات .

(٢) مسجاة – مغطاة .

. . كرسى من الخيزران وجلسنا جميعا أمها وأبوها وأنا — غير بعيد نرقب . . وكان الفقير يحمل فى يده السمراء الملساء غصنا من أغصان النخل . . غصنا أخضر وكان يضرب الطفلة — أعنى القطة — ضربا رفيقا ويتمتم — وكانت الطفلة تهتز كلها . . كأنها جان — وحسبت ان الفقير ولى مدبرا ولكنه لم يفعل . .

وكان السيل يحمل الجثث . . السيل الآتى من بعيد وكانت نسوة القرية يصرخن ويخضن ويتبركن . .

ومكث الفقير أربع ساعات كاملات يضرب بجريدته الطفلة ضربا لينا والطفلة تهتز كأنها جان . . ونظرت أنا الى الفقير فلم يول الأدبار . . وانقضت الساعات الأربع ، وركب الفقير حماره وذهب . .

وعاد فى اليوم التالى وكان السيل قد انحسر . .

وضرب بجريدته الخضراء ضربا لينا واهتزت الطفلة اهتزاز الحية . .

وفى اليوم الثالث رجع يحمل البخور . . وسلموه من الذهب الأحمر أوقية كاملة . . ورجع وترك الطفلة تهتز . . ومضى عام وتبعه عام وعام ثالث . . وانقضت أعوام عشرة وأصبحت الطفلة امرأة . . أصبحت أما لأربعة أطفال . . سمينة ملساء سمراء تشبه الفقير . الفرق الوحيد أنها تبتسم . . بعينها وبأسنانها الناصعة وبوجهها كله . وفى كل عام صارت تزور فقيرا آخر يسكن بعيدا من قريتها تزوره ومعها زوجها الكهل وأطفاله !

## (٤) الذاكــرون :

كانت أصواتهم تصل إلينا فى سكون الليل تحملها الريح وتعطف عليها النجوم . . وكانت توقظنا من مراقدنا صغارا وكبارا ، ذكورا وإناثا فقد كانت أصواتا حلوة رخيمة تنادى على قرع الدفوف والطبول — « أن لا إله الا الله . . »

وتقترب الأصوات حتى تغمر القرية . . وللطبل إنفعال وللدف زفير

وشهيق وفجأة – تسكن الضجة كلها . . ويبدأ المنشدون واحدا فواحدا . . يمدحون الشيخ من حلوق مبحوحة . . ثم يسكتون . . فجأة أيضا . .

ونعرف نحن جميعا صغارا وكبارا ، رجالا ونساء ، بناتا وأولادا نعرف ولم نفارق مضاجعنا . . أن الرجال يُقبِّلون يدى الشيخ – يَحْبُون إليهما من بعيد ونعلم أن الشيخ يسألهم عن عيالهم وعن أهلهم وعن المطر وعن الغنم فى صوت خافت وهو يقول لكل واحد منهم :

– كيفنك يا ؟ « ويسمى كل واحد منهم باسمه » . .

– المبارك ما طاب !؟ . . والدتك ؟ . . لعلها ما بتحس بى حاجة !؟ .

فإذا فرغوا خرج الشيخ إلى ديوانه البعيد ليصلى ويتعشى وينام . . ويقف رئيسهم ويقفون جميعا فى حلقة واسعة فى دائرة . . مركزها الرئيس. ويدفع الرئيس يديه إلى أمام ويحنى ظهره حتى تكاد رأسه تبلغ التراب ويرسل من فمه جعرة . . فقد اختاروه لأن له خوارا – « ويرمى » الذكر وتدق الطبول والدفوف وينشد المنشدون ويجعر الآخرون ويهتز بعضهم بلا خوار – ويثغوا آخرون دون اهتزاز ويحوم الرئيس فى الحلقة يُحيى ميت الهمم – وتسحرهم الموسيقى وتبلغ بهم النشوة مبلغا عظيما فيرغى بعضهم ، ويزبد آخرون ويطمطم كثيرون .

وتمر ساعة كاملة وتخفت الأصوات فنعلم نحن جميعا – أن الذاكرين همدوا قليلا . فلقد عرفوا النشوة مجتمعين . همدوا قليلا يستجمعون القوى الخائرة . . لطبقة جديدة من الذكر .

منصـــور خـــالد

# بـــلاد من ؟ ودولـــة من ؟ *

المبادىء السياسية ليست أفكارا تجريدية . وليست شعارات خالية من المحتوى وانما هى – قبل كل شىء – منهج ، والتزام ، واسلوب حياة . . فالمبادىء السياسية التى لا تخرج عن اطار الميتافيزيقا والجدلية العقيمة لا تغدو أن تكون ضربا من التهريج أو فى أحسن حالاتها لونا من الوان الترف الفكرى الذى يمارسه المثقفون واشباه المثقفين . .

وقد ظلت الكثيرة من شعوب العالم الثالث ترزح فى الاعوام الاخيرة تحت إسار قيادات سياسية تغـــذيها بالشعارات التى لا تخرج عن اطار التجريدات ولا تمس حيوات الناس وواقعهم المعاش .

ومثل هذه الشعارات التى لا تقوم على المجابهة الصريحة . والحوار الواعى ، ولا تنعكس اخلاقياتها فى تصرفات القيادة ومسلكها العام والخاص . . . بل وتخلق لدى الشعوب تطلعات نحو اهداف عصية التحقيق . . مثل هذه الشعارات تنتهى دوما بكفران الناس بالمبادىء نفسها ، واستجابتهم لمنطق ردود الفعل وما يصحبها من تخاذل وخذلان . . واسلوب كهذا فى العمل السياسى يفتقد اهم ما يجب أن تتميز به القيادات السياسية ألا وهو المسئولية . . فالمسئولية ، فيما يقولون ، هى الحد الوحيد للحرية السياسية والممارسة السياسية .

**الالتزام بالمسئولية التزام خلقى :**

وواقع الامر أن أكبر الازمات التى يعانيها العالم الثالث اليوم هى أن

---

* من كتاب « حوار مع الصفوة » . نشر دار التأليف والترجمة والنشر – جامعة الخرطوم ١٩٧٤ .

أقل عناصره ادراكا لمستلزمات المسئولية الوطنية عقب الاستقلال هى الصفوة والالتزام بالمسئولية هنا ليس التزاما سياسيا أو تنظيميا فحسب وانما هو بالمكان الأول ، التزام خلقى . بيد أن موقف عدم الالتزام هذا انما هو نتيجة حتمية للوضع الذى وجدت الصفوة نفسها فيه .

فالصفوة هى حاملة راية التحرير الوطنى . . وهى ناشرة لواء العدالة الاجتماعية والممارسة الديمقراطية . . الا انها فى نفس الوقت هى الوريث المباشر والوحيد للحكم الاجنبى وامتيازاته . . وفى الغالب الاعم لامتيازاته دون مسئولياته . . ولذا فان لم تستطع الصفوة القسوة مع نفسها فى الحساب فستنتهى بالضرورة الى الانحراف . . والانحراف ظاهرة طبيعية لان الانسان بطبعه هلوع يعشق المتعة ، ويحب الدعة ، ويحفل من البذل باستثناء العصبة أولى العزم .

والذى ينظر الى الوضع الاقتصادى الذى ينحدر من سىء الى اسوأ فى الكثير من بلاد أفريقيا الناشئة . . وينظر الى الفوارق الطبقية المريعة التى بدأت تطل بوجهها الكالح ليدرك ما أعنى . . . وفى الصورة القاتمة التى رسمها البروفسير رينيه دومونت فى كتابه « افريقيا تتنكب الطريق » والذى ظل حديث الافريقيين والمتأفرقين خلال الأعوام الأربعة الماضية . . فى الصورة القاتمة التى رسمها دومونت نموذج لما يمكن أن تؤول اليه الاحوال على يد الصفوة ومن قبل دومونت كتب محمدو ديا السياسى السنغالى المعروف يحدثنا عن مخاطر البرجوازية الجديدة — برجوازية الصفوة — فيقـــول « فى اطار البروقراطية الجديدة اخذت برجوازية جديدة تطل على المجتمع الافريقى . . انها ليست ببرجوازية المغامرة والفتح والعمل التى قادت اوربا الى مرحلة الانطلاق وانما هى برجوازية المثقفين الذين وصلوا نتيجة وضعهم الممتاز الى مراكز القوة ولم يعد لهم من هدف بعد هذا الا الحفاظ على المواقع التى استولوا عليها وتبديد اموال الجماهير فى الانفاق عديم الجدوى » .

**صفوة السودان :**

والسودان . . شأنه شأن بلاد العالم الثالث الاخرى – أو أكثرها – لم ينج من هذه الظاهرة السلبية . . وهى سلبية تتبدى – كما اسلفت – فى الحرص على الابقاء على كل الامتيازات الموروثة من الحكم الاجنبى – وتتبدى فى الانصراف نحو الانفاق المبدد فى بلاد تحسب مالها بالدانق والسحتوت . . وتتبدى فى الاغفال التام للريف وتركيز كل مظاهر التطور والتجديد فى مراكز التجمعات الحضرية . بالرغم من أن الريف « هو المستودع الدائم للقيم التقليدية » التى يقف كثير من تصوراتها وممارساتها عقبة كؤودا فى وجه التطور الذى يقوده المجتمع القومى .

ولو تناول المرء مثلا ظاهرة واحدة مثل ظاهرة الانفاق المبدد لوجد هذا الانفاق تمارسه وتمكن له نفس الطبقة والقيادات التى تتحدث عن التنمية والعدالة الاجتماعية . والتحول الاشتراكى . . . ولن يحتاج المرء لاكثر من النظر الى احصائيات التجارة الخارجية التى تصدرها وزارة التجارة السودانية . . لن يحتاج المرء لاكثر من النظر الى هذه الاحصائيات ليدرك صدق ما أقول . . . ولتنظر معى الى هذه الارقام التى تنقل صورة منتقاة من احصائيات التجارة الخارجية فى الخمسة أشهر الاولى من عام ١٩٦٥ . . فى خلال هذه الفترة بلغت قيمة ما استورده السودان من التبغ والمشروبات ٣١٥ر٣٩١ جنيها يقابلها ٦٩٠ر٦٧٣ جنيها لاستيراد الادوية والمنتجات الصيدلية . . وبلغت قيمة ما استورده السودان من سيارات النقل المشترك ٥٦٨ر١٧٠ جنيها يقابلها ٠٦٤ر٣٤٤ للسيارات الخاصة . . وبلغت قيمة ما استورده السودان من الآلات الزراعية ( وهذا يشمل آلات تحضير التربة . والحصاد والجرارات وصناعة الالبان ) ٥٨٤ر٢٦٧ جنيها يقابلها ٣٣٧ر٥٥٥ لاستيراد الفواكه من امريكا والملايو والمربه من ايطاليا وبلجيكا والدنمارك وبولندا والبطاطس من هولندا والمانيا وقبرص وايطاليا وهذا عدا ٦٠٩ر١١ جنيها لاستيراد البسكويت نعم البسكويت . . . . تالله لقد ظلم

مدرسو التاريخ فى مدارس السودان مارى انطوانيت ظلما فادحا وفى ذراهم ماريات كثر . . .

وينتقل المرء للخمسة اشهر الاولى فى عام ١٩٦٦ ليجد ان قيمة ما استورد من التبغ والمشروبات خلال هذه الفترة قد بلغ ٢٣٠ر٨١٣ جنيها وانخفض قيمة ما استورد من الادوية والمنتجات الطبية الى ٥٧٢ر٣٠٧ جنيها . . وبلغت قيمة ما استورد من العطور ومستحضرات التجميل ١٤٠ر٨١٤ جنيها . .

وما استورد من الخضروات والفواكه ٣٣٥ر٣٣٦ بجانبها ٢٨٠ر٦٧٢ لمنتجات الالبان . . وما استورد من السيارات الخاصة بلغت قيمته ٤٤٣ر٦٦٩ جنيها مقابل ٥٦ر٤٩٧ جنيها لوسائل النقل المشترك . . اما البسكويت فقد بلغت قيمته ١٨٣ر٠٧٤ جنيها . . وحرصا على جلب السعادة لشعب مارى انطوانيت هذا فقد ذهبنا لاستيراده من هولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، والمانيا ، والدنمارك ، وهنغاريا ، واستراليا والصين . .

**عشرة فى المائة :**

وراء هذه الأرقام المزرية يكمن جانب كبير من مأساتنا ، والسر فى مأساتنا . . السودان الذى تبلغ مساحته مليونا مربعا من الأميال . . ويشقه اكبر أنهار العالم . . أو لأقل خشية من حساسية مدرسى الجغرافيا . . اكبر انهار العالم بعد المسيسبى — ميسورى . . بلد هذا حاله يستورد خلال خمسة اشهر من الفواكه والخضروات ما تربو قيمته على نصف المليون من الجنيهات . . أى ضعف ما أنفق لاستيراد الآلات والمعدات الزراعية . . وقائمة الواردات التى اشرت اليها كلها بلا استثناء لا يستهلكها أكثر من ١٠ فى المائة من أهل السودان . . هذه العشرة فى المائة هى نحن دعاة التجديد . . حماة الديمقراطية . . رافعو راية العدالة الاجتماعية . .

لنتناول الظاهرة الثانية . . ظاهرة الانفصام الضار بين اهل المدن واهل

البادية . . بين الريف والمدينة . . وظاهرة الانفصام هذه ظاهرة قديمة منذ أن برزت المدينة فى الكيان السودانى . . وقد ظلت المدن فى السودان الحديث تتطور بصورة اخذت معها المدن تبدو كبثور غريبة طارئة فى جسم الامة . . فبحكم نفوذها الاقتصادى ، ووضعها السياسى وامكانياتها الثقافية فرضت المدينة نفسها على بقية أجزاء القطر فرضا . . وهو فرض لم تصحبه المحاولات العلمية الجادة لاحداث التغيير الحضارى الضرورى الذى يجعل من المجتمع القومى كله وحدة فكرية واقتصادية . . وقد أدرك المستعمرون فى الماضى أخطار هذا الانفصام سيما وهم يدركون ان المدينة شىء جديد طارىء فى المجتمع الافريقى . . ما كتبه اللورد لوقارد والسير دونالد كاميرون من غرب افريقيا يشير الى هذا . . وتقرير لجنة ديلاوار عن السودان تشير الى هذا . . الا أن معالجة الاستعمار لهذه الظاهرة كانت — بالضرورة — معالجة فى اطار الوضع الاستعمارى وكانت تستهدف حماية المصالح الاستعمارية . . اشير هنا — على وجه التحديد — الى مذكرة السير دوقلاس نيوبولد فى فبراير عام ١٩٣٩ والتى قال فيها بان الطريق لانهاء هذا الانفصام بين الريف والمدينة لن يتم الا بفتح ابواب المدارس الاولية والوسطى لابناء القطر . . وفتح ابواب المدارس الثانوية لابناء نظار العموم . . وادخال بعض عناصر « الافندية » فى المجالس الريفية . . وتدريس التربية الوطنية فى المدارس الثانوية . . وانشاء مدارس للتعليم الريفى فى بعض المدن . . وتوسيع آفاق « الافندية » باتاحة الفرصة لهم للخروج الى مراكز التجمع الريفى . . واستبدال الادارة الاهلية بالحكم المحلى الذى يمكن ان يشمل ، على حد قول نيوبولد ، سلطنة دار مساليت بجانب مجلس بلدى بورت سودان . .

### وجاء الحكم الوطنى :

نعم لقد أدرك الاستعمار هذه الظاهرة الخطيرة ومضى يحللها بمنطقه وبفهمه ويحاول حلها وفق اهدافه . . وجاء الحكم الوطنى . . وجاء معه المثقفون الذين أسماهم السير دوقلاس بالافندية يشقون طريقهم صعودا الى

دست الحكم فى اطار سياسى واجتماعــى جديد ؛ وفى الاطار الجديد لا يختلف اثنــان – أو يجب أن لا يختلفا – فى أن الهدف الرئيسى لأى حكومة . . لأ ى نظام . . لأى خطة سياسية . . هو تحقيق الوحدة الوطنية . والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وهذان الهدفان لا يمكن تحقيقهما فى أى وضع يغفل المجتمع الريفى فلا وحدة وطنية بلا ريف ؛ ولا تنمية بلا ريف . . . فالمشكلات التى تعانى منها المجتمعات المتخلفة ؛ مكانها فى الريف ؛ وموضوعها الانسان الريفى . وغايــة التنمية هى تحويل الريف الى مراكز انتاجية حديثة ، وتحويل الانسان الريفى الى انسان قــومى ينفعل بالاحداث التى تدور فى المجتمع القومى ، ويتحرك معها ويسهم فيها بحيث تتفق فى الوحدة القانونية والسياسية للوطن أو المجتمع القــومى وحدة اجتماعية ، واقتصادية ، وفكرية . . ويتم التفاعل بين الريف والمدينة فلا تظل المدينة معدة نهمة وخزينة طامعة ، وسلطة باطشة والريف مزرعة قانعة ، وضريبة متصلة وذلا مقيما . . .

## صلة غوغائية فقط :

وقد ظلت الارياف بالنسبة للقيادات السياسية فى السودان مستودعا لاستجلاب الناخبين والهتافة . . وظلت بالنسبة للقيادات الادارية منفى لغير ذوى الحظوة . . والصلة الوحيدة التى ظلت تقوم بين التنظيمات السياسية والارياف صلة غوغائية . . صلة الليــالى السياسية العابرة ، والحشود المصطنعة ، والخطابيات المعادة عن الحرية الحمراء واليد المضرجة . . اما الحوار . . اما التوعية . . اما الوجود السياسى الدائم فلا مكان له فى قواميس الاحزاب . .

اننا نتحدث اليوم عن الديمقراطية ، وحكم الشعب ، والاشتراكية ومجتمع الكفاية ، والتنمية . . وكل هذه الافكار غيبيات عند الرجل الريفى . ولا يمكن له ان يستجيب لها ، ويتفاعل معها مالم تكن هناك توعية ، ومالم تكن

هنالك إبانة ، ومالم يكن هنالك ترشيد ، توعية وابانة وترشيد تعرف لانسان الريفى بأن هذه الأفكار انما ترتبط ارتباطا عضويا بواقعه وحياته . . بل هى قدره ومصيره وحياتـــه . . ومثل هذه التوعيـــة لا يمكن ان تتم بالانشائيات ولا بخطابات الليالى السياسية العابرة . . ولا عن طريق بلجان التشـــريفات الفرعية التى تضم ســـر التجار وباشكاتب المركز ، وشـــيخ المركز ، وفضيلة قاضى الشـــرع وكل من توفر فى الاقلـيم من ارباب المعاشات . .

إن القيادات الرشيدة فى العالم الثالث هى تلك القيادات التى أدركت ان التغيير الحضارى لا يتم الا بالانتقال بالحركة السياسية الى مراكز التخلف . . وبمحاربة الانحراف لدى الصفوة . . المعلم جوليوس نيريرى زعيم يمكن أن يتعلم منه ساسة افريقيا الكثير فى هذا الميدان . . لقد ترك نيريرى مركزه كرئيس لحكومة تنجانيقا غداة الاستقلال تركه لرشيدى كاواوا وذهب طواعية الى الريف ليعيش مع اهل تنجانيقا عاما كاملا يدرس احوالهم ، ويدرسهم أفكاره ، ذهب ، على حد قوله ، ليشرح لهم معنى الشعارات التى بدأ ينادى بها فى دار السلام . . الاشتراكية . . الحياد الايجابى . . محاربة العنصرية والاستعمار . . التنمية الاقتصادية . .

**مقررات أروشا :**

وعاد نيريرى ليقيم دولته الجديدة ومن ورائه شعب يتفاعل معه . . وبدأ خطوته الثانية فى تنظيف داره وتطهيرها بدأها بمحاسبة القيادة والصفوة . . وكانت مقررات أروشا فى مطلع العام الماضى . . التضحيات والمحاسبة تبدأ فى أعلى المستويات . . اعضاء الحزب . . اعضاء البرلمان . . الوزراء . . كبار الموظفين . . قـــادة النقابات المهنية والعمالية . . فالقيادة التى لا تحاسب الأقوياء لا يحق لها أن تحاسب الضعفاء . . والقيادة التى لا تفرض التضحيات على القادرين لا تملك أن تفرضها على المساكين . .

بــلاد من ؟

إنه لمن المحزن حقا أن يستمع المرء إلى الاصوات التى ترتفع كل يوم حول فقدان المسئولية عند العامل والزارع الذى يطالب بالمزيد غير عابىء بالضنك الذى تعانيه البلاد . . من المحزن حقا أن تلك الاصوات لا تقف لحظة لتتساءل . . . بلاد من ؟ إن فالح الأرض فى الجزيرة الذى يدر على السودان ستين فى المائة من عائد استيراده من حقـه أن يتساءل عندما يرى هذا العائد ينفق انفاقا طفيليا مبددا لا فى استيراد الآلات الانتاجية وتحسين الخبرات بل لاستيراد العطور والسيارات الخاصة والبسكويت . . وعندما يرى أن بلاده تنفق فى استيراد التبغ والمشروبات ما يقارب انفاقها فى استيراد الادوية والمستحضرات الصيدلية فى الوقت الذى يفتـك فيه وباء بدائى مستوطن كالبلهارسيا بأهل اقليمه . . من حقه عندما يرى كل هذا أن يسأل الذين يتحدثون عن التضحية من أجل البلاد ومن أجل الدولة ... بلاد من ؟.. ودولة من ؟ إن التضحيات إن كانت هنالك تضحيات يجب أن يبدأها القادرون .

وواقع الأمر أنه ليس هنالك من تضحية . . وانما هنالك دين مستحق طال أمد سداده . . فالامتيازات التى ورثناها من الاستعمار لم نرثها الا لمركز ممتاز ، والمركز الممتاز لم ينحدر الينا من آبائنا الاقيال من آل بوربون وآل هابسبرج وانما حصلنا عليه نتيجة ما نلناه من تعليم . . والتعليم ما كنا لننالة لولا التضحيات التى قدمها شعب السودان ليمكن لابنائه المعرفة . . ولا أظن أن هنالك بين شعوب الارض شعبا انفق بقدر ما انفق شعب السودان ليعلم ناشئته . . لقد رسم نيريرى صورة رائعة للمثقف الافريقى الذى يجفل من التضحية فى سبيل مجتمعه . . « مثله مثل الرجل الذى جمعت له القرية كل مالها وارسلته ليأتيها بطعامها فذهب ولم يعد » .

حديث لعبد الناصر :

وتحدث عبد الناصر فى مطلع العام الماضى الى مثقفى مصر بمناسبة عيد

العلم حديثا ما اجدرنا بأن نعيه وما أجدر قادتنا بأن يرددوا مثله . .

قال : « فليتحول كل مثقف بما أخذه الى مصدر عطاء للذين اتاحوا له ، ومكنـــوه ، وحققوا امتيازه والا فهو شجرة عقيمة ، عاشت من الارض ، وارتوت بعرق السواعد ، واحاطتها الرعاية بكل انواعها ، وامتلأت بشعاع الشمس ثم لم تعط فى النهاية زهرا ، أو ثمرا أو ظلا » .

لقد قلت فى مطلع هذه المقالات أن السودان قد شهد فى الامام المهدى المفكر السياسى الاصيل الأول والأخير . . واضيف اليوم بأن السودان قد شهد فيه أيضا الزعامة السياسية الوحيدة التى ادركت أن قيادة أى مجتمع نحو الخير لا بد أن تكون قيادة خلقية . . وأن المجتمع الطاهر لا يمكن أن يقوم ما لم تتطهر القيادة . . وأن العامة لن تصلح مالم تصلح الصفوة وأن البذل والتضحية يصبحان عنتا واقتسارا مالم يفرضا على القادرين قبل جمهرة الكادحين . . كتاب الامام لمحمد الخير عبد الله خوجلى حول غنايم بربر لسفر عظيم جدير بحكام السودان الجديد أن يقرأوه فى غمرة حديثهم الدائب عن الفضيلة والخير . . والصلاح فى دولة لا يخلو جهاز واحد منها من الفساد . . . ولا تخلو دائرة واحدة فيها من المفسدين « انك جدير بعظمة ما عند الله ، وخسة ما فى الدنيا وان كثر . .. وقد تعلم انها لا تعلو همة احد فى الجهاد فى هذا الزمن لاكتساب شىء من خسيس الدنيا الفانية غير الترك الكافرين ، واعوانهم الكاذبين الضالين ، ومن نحا نحوهم من الاغبياء والمنافقين الداخلين فى وعيده تعالى . . ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فاذا اصابه خير اطمأن به ، وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ) اعيذ نفسى واياكم والمسلمين ممن هذا حاله » . .

ومثل هذه القيادة التى تبدأ محاسبتها فى القمة . . والتى تحاسب الكبار حتى على الدوانق هى القيادة التى تجسر على دعوة الشعب للبذل والضحية . . واسلوب كهذا فى التوجيه سينتهى بالضرورة الى تعميق معنى المسئولية

الوطنية لدى الذين يتصدرون امور البشر . . ولذا فقد شهدنا يوم ذاك كيف أن الصفوة الحاكمة أخذت تعامل الملكية العامة ومال الأمة بحساب يشبه التقديس . . رسالة الامير عبد الرحمن النجومى وحمدان ابو عنجة الى المهدى لشهيد على ذلك . . « اننا حضرنا بجهة مندر وإن اخواننا الفقراء لما رأينا مأكولهم البليلة اذناهم بتعاطى قليل من البصل والويكة والسمسم . وقد رأينا ذلك غير مخلص عند الله تعالى بلا رفع الأمر لسيادتكم . . وحيث أن الاخوان حاصل لهم التعب . . ومعنا أبقار قليلة التزمنا بتحرير هذا العرض لسيادتكم راجين الاذن فى راحة الاخوان . . وأن تبينوا لنا الجائز تعاطيه منها والممنوع لسلوك طريق الرشاد » . . رسالة بسيطة فى تعبيرها . . ساذجة فى تقريرها . . الا انها تفيض نبلا ، وثورية ومسئولية . . ورد الامام عليها بدرس آخر فى المسئولية الوطنية : « اسأل الله أن يجزيكم ويعطيكم أحسن الجزاء والثواب . وأن يجزيكم عنا وعن دينه والمسلمين خيرا واحسانا ، ويكفيكم شرا وامتحانا . فشدوا على ذلك وزيدوا فيما هنالك مما تكرمون به عند الله وتفوزون به الى الدرجات العلى وتدخلون به مع الملأ الأعلى .أما البصل والسمسم والويكة وغيرها من المأكولات فجائز للمجاهد أن يأخذها بضرورة من غير ادخار وتمول » .

علـي المـك

# الشرب من كوب خشبي ...*

أعلن على رؤوس الأشهاد : أن الدنيا كروية ، لهذا تعذب ( غاليليو )، ولأنني أقول الآن مثل هذا الكلام أتعذب ، وان كانت الأرض ، أم هي الدنيا ؟ كروية ، أو مسطحة منبسطة ، فليس هذا موضوع نزاع ، ولا هو بمحل نقاش اليوم والساعة واللحظة ، وهب أنها تدور ؟ فمن أدراك أنها تدور ؟ فلو كانت تتحرك وتدور لفظتنا الى شمالها المتجمد أو جنوبها السحيق.

والدنيا حالها هو حالها منذ أن عرف ( غاليليو )دورانها واستدارتها الى يومنا هذا ، ومن قبل أيامه تلك تدور وتدور أو لا تدور . ألم تسمع من يقول هكذا حال الدنيا ؟ ويقال مثل هذا دائما في الموت والفواجع . قل لي : ولم يذكر الناس حالها حين تلم بهم المصائب ، وينسون ذلك ( الحال ) حين تغمرهم السعادة من كل جانب ؟ غريب أمر البشر ، غريب والله أمرهم .

رأيت فيما يرى النائم شجرة وارفة الظلال ، تقوم على قبة الأفق فوق جزء من الأرض لا هو مستدير ، ولا هو منبسط ، ( حلم الجوعان عيش ) كما يقولون ، فالشجر الوارف الظلال أندر من أسنان الدجاج هذه الأيام . ولن نستغرب إن طلع علينا رجل — فاسق أو غير فاسق — بنبأ : أن من بين دجاجاته ( العشر ) دجاجات ذوات أسنان !

رأيت فيما يرى النائم ، شجرة وارفة الظلال ، تقوم على قمة الدنيا بحيث أبصرت من موقعي ذاك استدارة الدنيا ، وانبساطها أيضا ، أبثمارها تتميز الأشجار أم بظلالها ؟ فلو أنك سألتني أقول : ان الاشجار تتميز بظلالها.

---

* من كتاب « وهل أبصر أعمى المعرة » نشر الدار السودانية (١٩٧٤) .

وكانت شجرة وارفة الظلال ، ورقها على أغصانها يميل الى سواد حالك لفرط اخضراره ، وكان ظلها عظيما ضافيا ، وكانت الشمس لا تأتيه من أى مكان ، ولكنها تحيط بالظل وتطوقه ، كانت عظيمة ، غليظة الساق ، أبثمارها تتميز الأشجار أم بظلالها ؟

رأيت فيما يرى النائم أنى كنت نائما ، نومة فى جوف نومة فاعجب . وأن شابا أعرف ملامحه ولا أذكر له اسما كان يقف أمامى طويلا فارع الطول كان ، يد على صدره وبالاخرى يشير ويلوح «أنا» قال واستطرد « من جيل العادة السرية » . فزعت حتى كدت أستيقظ من نومتى التى هى بجوف نومة أخرى . « ماذا تقول ؟ » قلت له :
« سمعتنى » قال محدثى ،
قلت له :
— أحق ما تقول ؟
— كل الحق .
— متى كانت الاجيال تقاس بعاداتها ؟ انما تقاس الاجيال بما قدمت وما تقدم من أعمال .
— كان ذلك فى القديم الغابر من الزمان ، ولكن الاجيال اللحظة تقاس بعاداتها ، كما تتميز الاشجار بظلالها لا ثمارها .

ما الذى أغرانى باللجوء الى هذه الشجرة ؟ ثمرها ؟ والله انى لا أعرف إن كانت تثمر ليمونا أم زقوما ، ولكن ظلها بهرنى ، فانطلقت أنشد هذه النومة الهانئة ، نومة فى جوف نومة ، ثم قطع محدثى حبل أفكارى حين قال متسائلا « أعرفت أن الاجيال تقاس بعاداتها » ؟ . قلت وكأنى أريد أن أصرفه « امض عنى » فقد أفزعنى كلامه ، ولا أريد أن اصرفه لأن الحق ربما كان فى كلامه . قلت له :
— حدثنى عن ذلك الجيل . .
— لقد ذكرت لك من سماته أبرزها . .

– ولكن تذكر الأجيال باحسن صفاتها ؟ . .

– هراء . . أبرز الصفات أحسنها .

– هراء . . هراء . . حدثنى عن ذلك الجيل .

صفق بيديه ، رأيته فى المنام يصفق ويبتسم ، ثم تظهر الى يساره فتاة رائعة الجمال كبلقيس ، ويطلع الى يمينه فتى وسيم رائع كيوسف . . ويقفان الى يمينه ويساره باحترام وكأنهما يستعدان لتلبية أى أمر يأمر به يقفان فى طاعة كالمارد الذى انطلق من قمقمه ينحنى احتراما لمن خلصه من الأسر الطويل .

عقد محدثى يديه فوق صدره ، وابتسم ابتسامة هى ابتسامة الرضى ، « ومن تكون هذه الفتاة الحلوة ، وذاك الفتى الغض النضير ؟ » أقول فى نفسى ، وكأنى كنت أكلمه . قال صاحبى :

– هذه أميرة الحسن ، رمز الجيل الغاضب ، وذاك صاحبها ، على الغضب التقيا .

– ومم الغضب ؟

– كانا يريدان قصاصا من جيل العادة السرية فأخضعهما ذاك الجيل لأوامره ونواهيه وتعاليمه .

– أى جيل تعنى ؟

– قد قلت لك لا تعد على هذا السؤال .

– حسنا وبم يعرف الجيل الغاضب ؟

– بمدى غضبه ، ومدى خضوعه لجيلنا ، ألا نحقد على من يخضعنا ؟!

– ان كنا مخلصين مع أنفسنا وصادقين ! نعم . .

– اذن فمن حق هذا الجيل أن يحقد علينا إن نحن قد أخضعناه .

– شتان بين الحقد والغضب .

– لا فرق بينهما . . هذه عاطفة وتلك عاطفة ، هذه تلهب الفؤاد ، وتلك تحرقه .

— فلم لا نسميه جيل الحقد باعتبار أن الحقد أبرز صفاته غير مدافع .

— « ها . . ها . . ها . . » ضحك صاحبي ، ولمحت الفتى وقد تغير ما على وجهه من تعبير الى شيء يشوبه الأسى . ثم إنه ينظر إلى الفتاة خلسة كأنه يشتهيها ، كانت بحق رائعة الحسن ، ألا تشبه فتاة أنت تعرفها فى اليقظة والحياة ؟ وهب أنها هى ؟ قم اليها وعانقها : الساعة ، اللحظة ، الآن من قبل أن تفر . إن أسوأ الأحلام ما تعرف — وأنت نائم — أنه حلم .

« قم واشرب معنا . . » قال صاحبى . . قلت « وما تشربون؟ » قال « مزيجا من دم هذا الجيل وذاك » . أقول فى نفسى « ومن أدراك أنك إن شربت من شرابهم أخذت من صفات هذا الجيل وذاك » .

ثم قدم لى شرابا فى كوب من الخشب ، ناعم الملمس ، كان الكوب ، قال « اشرب » . سكت ، نظرت اليه ، رأيت فى عينيه تصميما وعزما ، كانت الفتاة من خلفه تهتز بايقاع لا يسمع ، قلت « لا أشرب من شرابكم لكم جيلكم ولى جيل » . . تقدم نحوى خطوة ثم أشار بيده فجاء الفتى ، ثم جاءت الفتاة ، أوثقانى ، وسقانى الرجل كأس الدم حتى آخره ، فاستيقظت وطعم الدم فى شفتى وحلقى . .

استيقظت من نومتى الثانية وكنت من نومتى الاولى فى سبات مضطرب سأل مفسر الاحلام « أحلمت أنك مت ؟ » . قلت « نعم » قال « فاعلم — أفادك الله — أنك ستأكل حتى تشبع » . متى كان الموت شبعا ؟ يقولون شبع فلان من همّ الدنيا حتى طست نفسه فمات ! .

الدنيا كروية ، أو هى منبسطة ، هذا كلام يحتاج برهانا ملموسا ومحسوسا . وقد رأيت فيما يرى النائم أنها — الدنيا — مسطحة بلا حد ، وأنى سرت حتى بلغت نهايتها . ولم تكن تلك النهاية مدينة (فاس) ، لأنى اكتشفت —وياحدة الذكاء— ان قوما يعيشون من بعد (فاس) . وأن أقواما يرزقون فيها ومن حولها ، ولكنى بلغت نهاية الدنيا على كل حال . وأعلمت فى نومى

أن للسماء أيضا نهاية ، وأن هناك شجرة وارفة الظلال لا تأتيها الشمس لا من خلفها ولا قدام ، وأن النوم تحتها لذيذ ورائع . ولكن الاحلام تحت ظلها عذاب ، وعذاب النوم – كما تعلم – أشد ايلاما من عذاب اليقظة .

ثم جاءنى فى نومتى الاولى وفى حلمى الثانى يقول فى ثقة « أنا من ذلك الجيل » وأقول له « إنى لا أعرف ذلك الجيل ولم أسمع به » . فيرد بأنه جيل الخلاصة من الخلاصة بين الاجيال . . . «تعذبنا» قال واستطرد «وذقنا الويل والهوان ، وسمعنا وأبصرنا بأشياء تشيب لهولها الولدان » قلت « لكم جيلكم ولى جيل » . ضحك ، كان وحده ، شاخ وجهه ، واشتعل رأسه بالشيب هذه المرة . قلت له « أراك قد كبرت بين نومة ونومة » صمت محدثى ثم ضحك وضحك فتساقط شعره الأبيض وانمحت الغضون من على وجهه . وأمر بالفتى والفتاة فجاءا اليه ، ومن ثم انحنيا احتراما وتجلة . قال الفتى الصُبَاح الذى هو فى الحسن مثل يوسف « نحن من جيل الغضب » ثم قطب جبينه فازداد جمالا . وقالت الفتاة « ونحن من جيل العذاب » . وقال محدثى يخاطبهما « ولأنكما خلقتما وجد على الارض العذاب» . وقطبت الفتاة جبينها غضبا فزادت جمالا . ثم اتجه محدثى إلى وقال « أما أنت فقد صرت منا » . أقول فى نفسى متسائلا « صرت منكم . ومن أنتم » . . ؟

ضحك وقال « نحن من الأرض من حيث تبدو كالكرة ، ونحن منها من حيث تبدو منبسطة مسطحة . ونحن ونحن ونحن . . ألست منا » . ؟

ثم نهضت من فراشى منهكا ذات صباح .

الباب الثانى :

# الشعـــر

محمد سعيد العباسي

# مليـــــط

حياكِ مليْط(١) صوب العارض الغادى وجاد واديك ذا الجنات من واد
فكم جلوتِ لنا من منظر عجب يشجى الخلىّ ويروى غلة الصادى
أنسيتنى برحَ آلامى وما أخذت منّا المطايا بإيجاف وإخاد
كثبانك العُفْرُ ما أبهى مناظرها أنسٌ لذى وحشةِ رزقٌ لمرتاد
فباسق النخل ملء الطرفِ يلثم من ذيلِ السحاب بلا كدٍّ وإجهاد
كأنه ورمالاً حوله ارتفعت أعلام جيش بناها فوق أطواد
وأعين الماء تجرى من جداولها صوارماً عرضوها غيرَ أغماد
والورق تهتف والأظلال وارفة والريح تدفع ميّاداً لمياد
لو استطعت لأهديت الخلودَ لها لو كان شيء على الدنيا لإخلاد
أنت المطيرة(٢) فى ظل وفى شجر فقدت أصوات رهبان وعباد
أعيذ حسنك بالرحمن مبدعه يا غرة العين من عين وحساد
وضعت رحلى منها بالكرامة فى دارِ ابن بجدتها «نصر بنِ شداد»(٣)

---

(١) مليط بفتح الميم وكسر اللام المشدودة : مركز من مراكز دارفور بالسودان وتبعد عن مدينة الفاشر عاصمة المديرية بسبعين ميلا تقريبا شمالا ويشق مليط واد عظيم يسمى وادى مليط يأتيها من الغرب من مركز كتم . وبمليط نخيل وتزرع فيها الفواكه بأنواعها وتروى بماء الآبار التى بباطن هذا الوادى ، وبهما خيرات حسان .

(٢) المطيرة : هذه جزيرة ببغداد وبها قصر كان لأمير المؤمنين عبد الله بن المعتز الذى يقول فيها :

سقى المطيرة ذات الظل الشجر ودير عبدون هطال من المطر
فطالما صبحتنى للصبوح بها فى غرة الفجر والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير فى صلاتهم سود المدارع نعارين للسحر
... الخ .

(٣) نصر بن شداد : كان مأمور مليط وصديقا حميما للشاعر .

فاقتادت اللبَّ منى قود ذى رسن ... ورقاءُ أهدت لنا لحناً بترداد

هاتى الحديث رعاك الله مسعفة ... وأسعدى ، فكلانا ذو هوى بادى

فحركت لهوى الأوطان أفئدةً ... وأحرقت نِضوَ أحشاء وأكباد

هوىً إلى النيل يصبينى وساكنه ... أجله اليوم عن حصر وتعداد

وحاجة ما يعنينى تطلبها ... لولا زمانى ولولا ضيق أصفادى

يا سَعدُ(١) سعدَ بنى وهب أرى ثمراً ... فجد فديتك للعافى بعنقاد

وإن فى بعض ما قد عاف شاربكم ... إعتابَ ذى الفضلِ يحيى وابن عباد

ورقاءُ(٢) إنك قد أسمعتنى حسناً ... هيا اسمعى فضل إنشائى وإنشادى

إنا نديمان فى شرع النوى فخذى ... يابنت ذى الطوق لحناً من بنى الضاد

فربما تجمع الآلام إن نزلت ... ضدين فى الشكل والأخلاق والعاد

لا تنكرينى فحالى كلها كرم ... ولا يريبك إتهامى وإنجادى

وأنت يا عيدُ(٣) ليت الله أبدلنى ... منك الغداةَ بعُوّاد وأعواد

مالى وللعيد والدنيا وبهجتها ... وقد مضى أمس أترابى وأندادى

أولئك الغر إخوانى(٤) ومن ذهبت ... بهم مواسم أفراحى وأعيادى

مضوا فهل علموا أنى شقيت بمن ... ألبسته ثوب إعزاز وإسعاد

لم يجزنى لا جزاه الله صالحة ... براً ببرٍ وإرفاداً بإرفاد

لقيته أمس فى طِمرين مقتحما ... دواً بلا مركبٍ فيه ولا زاد

---

(١) سعد بنى وهب ويحيى وابن عباد أسماء مستعارة أتى بها الشاعر بطريق التجديد وإن القصدة كلها مما يجوز ان يسمى بالشعر الرمزى . لأنه يرمز لرجال السودان رفعهم بعد ذل وأغناهم بعد فقر ، وبدلا من أن يخدموا البلا د ويأخذوا بناصرها فاذا بهم وقد جعلوا أنفسهم جند الا ستعمار ودعاته .

(٢) يخاطب ورقاء دخل عليها فى كنفها ففزعت منه .

(٣) وأنت يا عيد الخ . . . أدرك الشاعر بمليط عيد رمضان اثارته الهواجس وذكريات سنة ١٩٢٤ وكيف أخرج الإنجليز الجيش المصرى من السودان وقد كان به ضباط مصريون من الطراز الأول علما ومعرفة وأخلاقا وللشاعر صلة بهم ترجع إلى سنة ١٨٩٨ عندما كان تلميذا بالمدرسة الحربية .

فظللتُ أُوسعه بِراً وتكرمة ... حتى غدا وهو ذو وشي وأبراد

وحينما قلتُ إني قد ملأتُ يدى ... إذ غرني صوت إبراقٍ وإرعاد

تحول الحال عما كنت أسمع من ... وعد المثوبة والزلفى لإيعاد

أبحتَ منى حمى قد كان ممتنعاً ... حمى البهاليل : آبائى وأجدادى

صيرتَه بعد ذاك الأمن مسبعة ... تحمى مرشّة(١) أطيارٍ وآساد

إن ترض بالحكم فالقرآن ذا حَكمٌ ... وها أُولوا العلم والتاريخُ أشهادى

هادٍ(٢) يضل وحيران يدل وما ... طول البلية إلا حيرة الهادى

أغرقتها إن كنت اللبيب ولا ... أراك تسلمُ من بحر وإزباد

واصبر تذقْ مرَّ ما ذاق الذين بغوا ... من قبلُ والله للباغى بمرصاد

لا تخدعنكَ فعصى قد حبَوْك بها ... ولا الزعانف من رهطٍ وأجناد

فلستُ أيأس من عدل المليك بأن ... يخنى عليهم كما أخنى على عاد

لثمت كفاً ولا أدرى الذى اشتملت ... أصابع الصيد أم أشراك صياد!؟

وليت شعرىَ هل عرف السماحة ما ... أشم أم عرف دارينا وبغداد !؟

مهامه غرني لمع السراب بها ... ومذهبٌ لم أكن فيه بنقاد

أستودع الله ساداتٍ فقدتُهم ... حدى بهم حيث لا ألقاهم الحادى

تحيةَ الله يا أيام ذى سلم ... أيامَ لم نخش بأس القاهر العادى

أيامَ كنا وكان الشمل مجتمعاً ... وحينا حىٌّ طُلاب وقُصاد

فإن جرى ذكر أرباب السماحة أو ... نادى الكرام فإنا بهجة النادى

لنا الكؤوس(٣) ونحن المنتشون بها ... منا السُّقاةُ ومنا الصادح الشادى

---

(١) المرشة : التى ترش بالدم .

(٢) هاد يضل وحيران يدل . . الخ . هذا وصف فريق من الناس منى السودان بهم شغلوا مراكز من قبائلهم وممن وكل إليهم أمرهم بطريق الدين أو بطريق الدنيا فانقادوا للدخيل انقياد الأعمى وجروا وراء غاياتهم الشخصية ونسوا ما عاهدوا الله والوطن عليه .

(٣) لنا الكؤوس . . الخ . هذا البيت وما بعده وصف للسودان فى العهد الأول أيام الحكم المصرى ، فقد كان للسودان إذ ذاك الحكم الذاتى بمعناه الحقيقى لا كالذى يعللنا به الإنكليز فكل الوظائف قاطبة كان يتولاها السودانيون وحدهم ولم يكن للمصرى الا وظيفتان فقط هما الحكمدار وقاضى القضاة . فلذا قال الشاعر هذا البيت .

واليوم أبدت لنا الدنيا عجائبها ... بما نقاسيه من حرب وأحقاد

وما رمى الدهر وادينا بداهية ... مثل الأليمين : تفريق وإبعاد

لم نجن ذنباً ففيم الحيف مقترف ... وما لنا اليوم فى سد وإيصاد

ما نحن يا جُوجُ بل قومٌ ذوو أرب ... فى الصالحات ولسنا قوم افساد

بنى أبى أنتم زيدٌ على مائة ... وما عدمتم أخا هدْي وإرشاد

عزّ النصير وقلّ المستعان به ... ومن يَهبُ إذا يدعى لإنجاد

سيروا كراماً على اسمِ الله لا تهنوا ... فدهركم دهر إصدار وإيراد

فما الفلاح وما سعيُ الشعوب له ... لدى الحقيقة إلا سعيُ أفراد

إن يرسل الله من عليائه فرجا ... ندركهُ ، وإلا فكلٌ رهن ميعاد

محمد سعيد العباسي

# عهد جيرون

أرقتُ من طول همٍ باتَ يعروني
يثيرُ من لاعج الذكرى ويشجوني

منيتُ نفسيَ آمالاً يماطلني
بها زمانيَ من حينٍ إلى حين

ألقى بصبرى جسامَ الحادثات ولى
عزمٌ أصدُّ به ما قد يلاقيني

ولا أتوق لحالٍ لا تلائمها
حالى ، ولا منزلُ اللذات يلهيني

ولستُ أرضى من الدنيا وإن عظمت
إلا الذى بجميل الذكر يرضيني

وكيفَ أقبلُ أسبابَ الهوان ولى
آباءُ صدقٍ من الغرِّ الميامين

النازلين على حكم العلا أبداً
مَن زينوا الكونَ منهم أىَّ تزيين

من كل أروعَ فى أكتادهِ لِبَدٌ
كالليث والليثُ لا يُغضى على هُون

وقد سلا القلبُ عن سلمى وجارتها
وربما كنت أدعوه فيعصيني

ما عذرُ مثليَ فى استسلامه لهوىً
يا حالةَ النقص ما بى حاجةٌ بيني

ما أنسَ لا أنسَ إذ جاءت تعاتبني
فتانةُ اللحظ ذاتُ الحاجب النوني

يا بنت عشرين والأيامُ مقبلةٌ
ماذا تريدين من موعود خمسينِ ؟

قد كان لى قبلَ اليوم فيكِ هوىً
أُطيعهُ ، وحديثٌ ذو أفانين

ولا منى فيك والأشجانَ زائدةٌ
قومٌ وأحرى بهم ألا يلوموني.

أزمانَ أمرح فى بُردِ الشباب على
مراسِح اللهو بين الخُرَّدِ العين

والعودُ أخضرَ والأيامُ مشرقةٌ
وحالة الأنس تغرى بى وتغريني

فى ذمة الله محبوبٌ كلفتُ به
كالريم جيداً وكالخيرُوزِ فى اللين

أفديهِ فاتر ألحاظ وتلّ له
« أفديه » حين سعى نحوى يُفدّيني

يقول لى وهو يحكى البرق مبتسماً
« يا أنت يا ذا » وعمداً لا يسميني

أنشأت أسمعه الشكوى ويُسمعني
أذنيهِ من كبدى الحرّى ويدنيني

أذرٌ فى سمعه شيئاً يلذُّ له
قد زانه فضلُ إبداعِى وتحسيني

فبات طوعَ مرادى طولَ ليلتـه ... من خمر دارينَ أسقيه ويسقينى
ياعهد جيرُون(١) كم لى فيك من شجنِ ... بادٍ سقاك الرضا يا عهد جيرُونِ
ولا يزالُ النسيم الطلقُ يحملُ لى ... ريّاً الجناب ويرويه فيُرْويني
واليومَ مذ جذبت عنى أعنّتُها ... هذى الظباءُ وولت وجهها دونى
وعارضَ العارضَيْنِ الشيبُ قلتُ له ... أهلاً بمن رجحتْ فيه موازينى
كففتُ غرب التصابى والتفتُّ الى ... حلمى ، ولم أكُ فى هذا بمغبون
وصرتُ لا أرتضى إلاّ العلا أبداً ... ما قد لقيتُ من التبريح يكفينى

(١) جيرون هنا كناية عن مرتع لهو أيام الصبا ؛ فهو من ذكر المحل وإرادة ما كان فيه . وهو فى الأصل موضع من متنزهات دمشق ، وكثيراً ما يذكره الشعراء مطلقيه على مواضع يعنونها فمن ذلك قول أبى بكر الصنوبرى :

ولى فى بـاب جيرون ظبـاء ... أعاطيها الهوى ظبيا فظبيا

عبد الله عمر البنا

# تحيــة العام الهجــرى سنة ١٣٣٩

يا ذا الهلالِ عن الدُنيا أو الدينِ — حدث فان حديثاً منك يشفينـى

طلعتَ كالنونِ لا تنفكُ فى صغرِ — طفلاً وانكَ قد شاهدتَ ذا النونِ

سايرتَ نوحا ولم تركبْ سفينتَــه — وانتَ انتَ فتــىً فى عصر زبلينِ *

حدثْ عن الاعصرِ الاولىَ لتضحكَنى — فان اخبارَ هذا العصــرِ تُبكينى

خَبّــر ملوكاً ذوى عز وأبهــة — ان الملــوكَ وان عزوا الى هونِ

وارمق بطرفِك من بغدادَ داثرَهــاَ — واندبْ بها كلَ ماضى العزمِ ميْمونِ

سلها عن المسجدِ المَعْمُور جانبُه — بالعلمِ والخيرِ والآدابِ والدينِ

وسل زبيــدةَ عن قصرٍ تبَــوأهُ — بعد الأمينِ حسام الشهمِ مامــونِ

سلها عن الجيشِ جيشَ الله أينْ مضىَ — وكيفَ جرِد من ماضٍ ومسنونِ

اخــلى منابرَهــا فــى مقابرِهــا — من كل متضحِ الآثارِ مَدْفــونِ

وقبلها ابكِ دمشقاً انها فُجعَــتْ — بسادة عَمرُوا الدنيــا اساطيــنِ

وسل معاوية عــن شاتميه فكــم — عفا وأعطــىٰ برأىٍ غيرِ مرصونِ

يأسُو جروحَ مَقالٍ ليــس يولمه — بالمالِ والمالُ من أجدى القرابينِ

فى السياسة تأليفٌ وبــذلُ نــدىَ — والرفقَ واللينُ كلُ المجد فى اللينِ

هى التى حُكْمُها بين القلوبِ له — على رقابِ الورىَ امضىَ القوانينِ

وعهدُ طيبةَ فاذكرْ فيه كلَ فتــىَ — جم الرمادِ من الشم العرانينِ

واذكرْ ليــالىَ للفاروقِ أرّقَــهُ — فيها التقى وحنانٌ بالمســاكيــنِ

وكم تفَجَرَ المصطفــى بها كرما — عَطفاً ورفقاً بادى الفقرِ محزونِ

إنى بكيتُ على ماضٍ تكَفَلَ للمجد — الاثيلِ بفخــرٍ غيرِ ممنــونِ

• • •

احبتــى ودعاةُ الحبَ مَــرْحَمةٌ — لا يَحزُنَنكُم بالنصحِ تلقينى

---

* الاشارة إلى المخترع الالمانى الكونت فردنان فون زبلن * ١٨٣٨ – ١٩١٧ * مخترع المناطيد التى اشتهرت قبل وبعد الحرب العالمية الاولى مباشرة برحلاتها الجوية .

فربَّ قولٍ غليظِ اللفظِ باطنُـهُ    رحمى ولينٍ بفظِ الروحِ مقـرونِ

ترضُون بالدونِ والعلياء تُقسَمُ لا    تدين يوماً لراضي النفسِ بالدونِ

والمجدُ ينأى فلا تدنُو مراكبُه    من الجبانِ ولاينقـادُ بالهـونِ

تفرقٌ وتوانٍ واتبـاعُ هـوىً    إن الهوىَ لهـوانٌ غيرُ مامـونِ

والحادثاتُ تريكم غـير آيـةٍ    إن التقاطعَ من شأنِ المجـانينِ

فلا اعتبارٌ ولا رُقبـى لنـازلـةٍ    ولا احتيـاطٌ ولا رحمىَ لمغبـونِ

بايتـم وبلايا الدهـر ان نـزلتْ    فالصبرُ يكشِفُ منها كلَّ مدفونِ

بأمةٍ جهلتْ طُرقَ العُلاء فلـم    تسبقْ لغاية معقـولٍ ومخـزونِ

فللمدارسِ هجـرانٌ وسخريـةٌ    وفى المتاجرِ ضعفٌ غـيرُ موزونِ

وللمفاسـد اسـراعٌ وتلبيـةٌ    ولا التفاتَ لمفـروضٍ ومسنـونِ

والناسُ فى القطـر اشياءٌ ملفقةٌ    فان تكشـفَ فعنْ ضعفٍ وتوهينِ

فمن غنى فقيرٍ مـن مـروءتـهِ    ومن قويٍ بضَعفِ النفسِ مرهونِ

ومن طليقٍ حبيسِ الرأيِ منقبضٍ    فاعجب لمنطلقٍ فى الارضِ مسجونِ

وآخر وهو طوعُ البطنِ يبرزُ فى    زيِ الملوكِ واخلاقِ البراذيـنِ

وهيكلٍ تبعتْهُ الناسُ عن سَرَفٍ    كالسامري بلا عقلٍ ولا ديـنِ

يحتالُ بالدين للدنيـا فيجمعُهـا    سُحتاً وتُوردُهُ فى قاعِ سجينِ

أحبتى هى نفسٌ هاجَ هـائجهـا    من الشجونِ فلم تبخلْ بمكنونِ

هززت منكم سيـوفاً فى مضاربِها    عونَ الصَريخِ وارهابَ المطاعينِ

إن الحياةَ لمضمارٌ اذا ازدحمتْ    بها الرجالُ تردىَ كلُ مفتـونِ

لها وسائـلُ ان شدت اواصرَهـا    تبينَ المجدُ فيهـا أى تبيـينِ

تواضعٌ وتأنٍ واتبـاعُ نُهَـىً    والصبرُ والحزمُ ازكى فى الموازينِ

فاحسنُوا انما الاحسانُ واسطـةٌ    للعاملينَ به فى كلِ تمكـينِ

ثم انشرُوا من شريفِ العلمِ أنفعَهُ    فانما هو مبنىَ كـلِ تمـديـنِ

العلم زيـنٌ وبالاخلاق رفعتُـه    ان قارنَتْه بدا فى خيرِ تـزيـينِ

إن الخلائقَ إن طابتْ منابتُهـا    كانتْ لكسب المعالى كالـبراهينِ

عبد الله محمد عمر البنا

# السلحفاء والبطتان

في كلِّ يومٍ يُظهِرُ الدهرُ العجبَ    لا في جُمادَى وحدها ولا رجبَ

فمن عجيب ما حكى في الدهرِ    أن غديراً كان قربَ النهرِ

راقَ به الماءُ فما فيه كدرُ    وطال حولَه النباتُ والشجرُ

فسكن الغديرَ بطتانِ    للماء والنبتِ وللحيتانِ

وكان فيه قبل سلحفاةٌ    لذّت لها في مائه الحياةُ

فأنِسَتْ بصوتِ البطتين    والأنسُ فيه قرةٌ للعين

وأصبحت اليهما حبيبَة    أنيسةً سميعةً مجيبَه

أفضل قلب يحفظ المحبّة    ما ليس فيه للنفاقِ حبّة

ثم قضَى المهيمنُ القديرُ    أن ينشفَ النباتُ والغديرُ

فسَاءَ فقْد الماء السلحفاء    فبدلت بنعمة بأساء

وقعدت مريضةً حزينَة    تبكي على لِداتِها والزينَة

فحنتا لمحنة الصديقه    وللكرامِ أنفسٌ رقيقة

وقالتا لا تحزني يا صاحبَه    ان الوفيَّ ليس ينسى صاحبَه

الماءُ في وادٍ قريبٍ من هنا    نمشي اليه بالسرورِ والهنَا

قالت وكيفَ أستطع السَّيرا    ولم أكن أمشي ولست طيرًا

فقالتا نحملُ في كتفِنا    عوداً متيناً يابساً أو لينَا

ثم تعضين بذاك العود    ونبتدى في الحال بالصعود

لعلنا بلطفِ تلك الحيلة    نخلّصُ الخليلَة الجليلَة

لكننا نوصيكِ والوصَايا    من الصديق أنفسُ الهدَايا

إيّاكِ والكلامَ في الطريقِ    فتصبحي في كربةٍ وضيقْ

مهما سمعتِ الناسَ قالوا فاسمحِي    ولا تقولي كلمةً فتُطرَحِي

وطارتـا فجدّتَا فـى السـيرِ | فاعجـب لبنـتِ الماء بين الطيْرِ
ومرّتَا مـن الطـريق بالقـرَى | فأكثرَ الناسُ اليهـا النظـرَا
وعجبُـوا من أمرِهـا ونطقُـوا | واجتمعُوا من خلفِها وصفقُـوا
فغضبـَت لما يقـول النـاس | وارتفعت مـن غيظها الأنفـاس
وفتحـت فاهَا لتشفـى بالكلَمْ | ما قرَّ فـى ضميرِها مـن الألمْ
فسقطـت قتيلـةَ النسيـان | ولم تنـل شيئـاً سـوى الأحزانِ
وهكـذا مـن نسـى النصيحةَ | يرجـع بالحـرمـانِ والفضيحةَ

عبد الله عبد الرحمن :

# الطبيعة في السودان

• للنائب المصرى محمد محمود جلال وذلك استجابة لمقال له نشر فى ( الرسالة ) سنة ١٩٣٤ يقترح فيه أن تعمل مصر على ارسال بعثة أدبية للسودان إلى جانب بعثتها الزراعية التجارية . وقد لام فى هذا المقال الكتاب والشعراء المصريين على عدم رحلتهم للسودان ومعالجتهم وضع روايات من طبيعة السودان الساحرة السافرة .

نَبَّهتَ منا فؤاداً غيرَ سهوانِ ... وجئتنا بحديثٍ ممتعٍ دانِ

محمدُ بن جلالٍ قد نطقتَ بما ... نُحِسهُ من أحاسيسٍ ووجدانِ

دعوت للأدبِ العالى يؤلفُ منْ ... بنى العروبةِ من مِصْرى وسودانى

وصِحْتَ بالقائلين الشعر بينكم ... أليسَ عندكم فى السودان ذا شان

ما للمسارح لم تخرجْ روايتَه ... وللروايةِ منه ألفُ ميدان

وكيف لم يهززْ الكتّاب ما عصفتْ ... به الحوادثُ فى سرٍّ وإعلان

مضى يُثابر لم يفطنْ له أحدٌ ... كأنما القومُ من هى بن بيان(١)

فقلتُ للهِ مِصرَ شدَّ ما عنيتْ ... بكلِّ فعلٍ عظيم النفع إنسانى

وتلك قولةُ حقٍ ما أثرَ وما ... أحقها إنْ لها يرعى الشقيقان

ما كانَ أوفقه لو ضمّنا أدبٌ ... له الكنانةُ والسودانُ ركنان

ينِمُّ عنا وعنكم غير مختلقٍ ... لا كالذى عبَّ من زورٍ وبهتان

يقلم الظفرَ من ساعٍ لتفرقةٍ ... ويقطعُ الظهرَ من داعٍ لهجران

والناسُ من باتَ يشقى من جهالته ... حيًا سيشقى بها فى العالمِ الثانى

• • •

كم للطبيعةِ فى السودان من فتنٍ ... وكم لأطيارها من سحرٍ وألحان

---

(١) هى بن بيان المجهول النسب والعين .

ما أكثرَ الملهماتِ الشعرِ فيه وما ... أمدُّها للأديبِ الهادم الباني
الرملُ عند ضفافِ النيلِ تحسبه ... حُمرُ الشفاهِ خلاَّها بيضُ أسنان
وظلمةُ الليلِ فى العتمورِ(١) ملهمةٌ ... خوالدُ الشعرِ يرويها الجديدان
ما للكهاربِ سلطانٌ على قمرٍ ... ولا على الشمسِ سلطانٌ لبنيان
كلٌ تفيض على الآفاق غرّتُه ... فتملأُ النفسَ من حسنٍ وإحسان
هناك فى كردفانِ أىَّ متسعٍ ... للطرفِ فى بارة(٢) أو أرضِ خيران
حيث البداوةُ فى أحلَى مظاهرِها ... والإبل طالعةٌ من بين كثبان
ما أجملَ الريف مصطافاً ومرتبعاً ... وغادةُ الريفِ فى عينٍ وغزلان
الخدُّ (٣) لم تجرِ موسى فى جوانبه ... والجيدُ من حسنِه عن زينةٍ غان
فإن سكنَ شعبُ بوّان(٤) ازدهى نفراً ... فى البطانةِ كَمْ مِنْ شعبِ بوّان(٥)
إذ تُقبلِ الأرضُ أعقابَ الخريفِ بها ... بكلِّ وجهٍ بماء الحسنِ ريّان
والصيدُ نافرةٌ حتى إذا أنِسَت ... أوفَتْ على شرفٍ ترنو بفتان
والضانُ والمَعزُ والانعامُ تابعةٌ ... مواقعَ الغيثِ قطعاناً لقطعان
وللحداة حداءٌ كلُّه كرَمٌ ... فيه الإباءُ وفيه نصرةُ العانى
وسامرُ الحىِّ من عبدٍ وفتيانٍ ... بين البيوتِ وفى أعطافِ وديان
فى كل ليلٍ تحاجيهم عجايزُهم ... بابن النمير وسوبا وابن سلطان(٦)
وتارةً يرهف الفتيانُ سمعَهم ... إلى نوادرِ أجوادٍ وفرسان

---

(١) عتمور أبي حمد وهو مفازة عظيمة بين وادى حلفا وأبي حمد لا ماء فيها ولا شجر ولا إنسان ولا حيوان .

(٢) بارة والخيران من مراكز كردفان .

(٣) عرب كردفان لا يشرطون خدود فتياتهم قصدا للجمال كما هو الشأن فى بعض قبائل السودان والشاعر يرى فى بقاء الوجه على جماله الطبيعى مدعاة للتغنى به اكثر مما لو كان مشروطا .

(٤) شعب بوان متنزه ببلاد فارس .

(٥) والبطانة مراع جيدة بين النيل الازرق ونهر عطبرة .

(٦) ابن النمير وابن سلطان من ابطال الاحاجى الشعبية السودانية وسوبا كانت حاضرة النوبة العليا وموقعها على النيل الازرق جنوبى الخرطوم .

وابن المحلق لم تبرح حكايتُه — في الحي يسردُها أشياخ حُمران
يا قبرَ تاجوجَ حيّاك الحيا ومشى — بصفحتيك شذاً وردٍ وريحان(١)

• • •

إني أميلُ إلى الأشعارِ يبعثها — حس قويٌ وأقلي الفاتر الواني
وفي البلاد وفي ماضي أبوتنا — فخرٌ وإن لم نكن نُعنى بإعلان
وكم تاريخها من قصة عجب — جدُّ الحكيم ولهوُ الوادعِ الهاني
فإن يكن باتَ فيها الحيُّ يصهرُنا — فللحرارةِ يُعزى فضلُ شجعانِ

(١) تاجوج إمرأة من قبيلة الحمران صارت مع الزمن النموذج الاسمى للجمال السوداني والقيم الاخلاقية الرفيعة .

خليل فرح

# وطنى

وقفاً عليكَ وأن نأيتُ فؤادي — سيّان قربي في الهوى وبعادي
يا دارَ عاتكتي ومهدَ صبابتي — ومثار أهوائي وأصلَ رشادي
كم في سمائكَ للنبوغِ وفي ثرى — واديكَ كم للعبقريةِ وادِ
لك في الطبيعةِ في الخمائلِ روعةٌ — وعليكَ من سُحُبِ الجلال هوادِ
فاذا وصفتك فالبلاغة لا تفي — وصفي ولا تُدني عظيمَ مُرادي
ولقد وصفتك من هوىً فاذا الهوى — سُقمٌ ولذةُ أنفسٍ لفسادِ
وسألتُ عنك البدرَ وهو كأنه — نفذتْ أشعتُه من الآبادِ
والشرقُ ممتعضٌ يرى صورَ العمى — شتى وليس إلى الهدايةِ هادِ
هرمٌ يناشدُنا الشباب ونحن كالـ — سينما نعيد عليه قصةَ عادِ
أبداً تمرُ بنا الحياةُ وبيننا — صورٌ من المجدِ القديمِ العادي

. . .

إيهٍ فديتُك يا بلادي ألفَى — من حاضرٍ بين القلوبِ وبادِي
فعلى كلا الحالين نحنُ ودائعٌ — كودائعٍ لك في السَحابِ غوادِي
رعياً لآباءٍ قضوا شوقاً وما — خَفيتْ عليهم منك بيضُ أيادي
انزلتَهم نزلا بتربِكَ بعد ما — فرضوا عليكَ بُنُوتي وقيادي
لك ذا الفؤادُ يكِنُ في أعماقه — حباً يفيضُ قوىً لغيرِ نفادَ
وإلامَ أنتَ وما حنانُك بيننا — إلا غلالةَ ذي هيامٍ صادي
وافى الربيعُ وفي ربوعِكَ فتيةٌ — كانوا بطلعتهم ربيعَ بلادي
زُهرٌ كأن وجوهَهم من نُبلِها — زُهرُ الكواكبِ للعيونِ بوادي
أبناء يَعربَ حيثُ مجد ربيعة — وبنو الجزيرةِ حيثُ بيتَ إيادِ
متشابهونَ لدى العِراك كأنما — نبتَتْ رماحُهُم مع الأجسادِ

لبسوا الجديدَ على القديمِ وهكذا ... صارتْ تُصانُ وديعةُ الأحفادِ

• • •

يا ليلةً سَمِحتْ بحشد جُموعِهم ... ذكرتِني بعكاظَ كلَّ مُنادِ

وهززتَني فطربتُ حتى خِلتَني ... ما بين قومي مخلفاً لزيادِ

أدبٌ على الأدب التليد وهمةٌ ... بلويةٌ حضريةُ الأبرادِ

نخطو على قدمِ التفوقِ بيننا ... تجرى الممالكُ حولَنا لكسادِ

نمضي وهذا دأبُنا ومطيُنا ... في المكرُماتِ مطية الأجدادِ

قلْبٌ إذا ما شئتَ في تاريخنا ... وأنشدْ إذا ما شئتَ في الأعيادِ

كنا كقادة أنجمٍ سيَّارةٍ ... تَصف اللواءَ بمرصدٍ أو نادِ

كانت معالمُنا مناراً للورى ... وهدىً وحصناً ثابتَ الأوتادِ

حتى إذا بلغَ الدليلُ بنا العُلا ... ودَنا الصباحُ وقلَّ زجرُ الحادي

وسرى الكمالُ إلى النفوس فنافستْ ... أمراؤُها إذ كل نفسٍ هادِ

بدأت حياةً غير تلك جديرةً ... بالذِكرِ لولاَ أنْ هناك عوادي

لعبتْ بهم أيدى العِدا فتفرقوا ... أيدى سبأ كتفرقِ الأضدادِ

ونَسُوا مواقِفهم ومجدَهم ومَا ... بحظيرةِ الشُورى من الإرشادِ

وإذا رعاةُ الحيِ في شركِ الهوى ... باتوا وباتَ عميدُهم في وادِ

• • •

ماذا يقولُ المرجِفون وكلُنا ... في الله والأوطانِ أهلُ جهادِ

أصحابُ مائدةٍ وأسْرةُ منزلٍ ... ونتاجُ باديةٍ وفتيةُ وادِ

لا فرق بين قبيلةٍ وقبيلةٍ ... هم أخوةٌ من عامرٍ وقِرادِ

ضاقتْ جزيرتُهم بهُم فتدفقُوا ... خلجاً وأرض الله ذاتُ مهادِ

نشرت أوائلهم هدىً بالسيف لمْ ... تنشره غيرُ شجاعة وتفادِ

ومشتْ أواخرهم على آثارِهم ... سُنَنٌ غدت أنشودَة الأولادِ

أثيوبيا عِظة الممالكِ وابنةُ الـ ... تاريخِ بين مصارع الأمجادِ

حملوا عليك جهالـةً ولو أنهـم فَطِنُوا لما حملوا عـلى الأطوادِ

يا أختَ ( موسى ) إستعزَّكِ راجعاً موسى وعادَكِ من بينك عوادي

هذى ديارهم وتلك ربوعُهــم فسقى ثرى واديكِ صوبُ عِهادِ

فالدهر يربِضُ كالهزْبرِ وتـارةً يغشى الملوكَ ضحىً على ميعـادِ

لا يستقرُ لبطشِهِ عرشٌ علـى عَمَدٍ وإنْ يكُ عرشَ ذى الأوتادِ

حمزة الملك طمبل

# كلب الحمار (١)

## أو المعاني والأشكال

من طريفِ الآثارِ والأخبارِ — أن كلباً متيمٌ بحمارِ !

هجر الناسَ والكلابَ وأمسى — وهو حرٌ من الهوى في إسارِ

لم يفارقه في الإقامةِ والظَعْنِ — برغم الكثيرِ من أخطارِ

كم جرى والفلاةُ تَضْطَرِمُ — كالجمرةِ خلف الحمار بالمشوارِ

وسرى والضباعُ تهجم للفتكِ — فيلقى الهجومَ كالمغوارِ

عبر النيلِ خلف فُلْكٍ حملته — على رغم شدة التيارِ

كم رأيناهُ وهو يوغلُ في الو — ثبِ ويُبدي فنونه في المدارِ !

كل ذا والحمارُ يأنسُ بالكلبِ — ولم يُبْدِ منه أي نفارِ

واذا هم بالنهيقِ ترى الكلبَ — بِضَرْبٍ من النهيقِ يُجاري !

هو كلبٌ وليس يخطئُ من قا — ل : ولكنه بروحِ حمارِ !

* * *

مَثَلُ الكلب والحمار رأينا — ه على هذه البريةِ جاري

فمن الناس من تَدُلُّكَ سيما — ه على أنهُ من الأغمار

ومنِ الناسِ من يروعُكَ كالجنِ — وإن لم يكن بجسمٍ ناري

رُبَّ جمعٍ من اللدات رأينا — ه كسرب يرفُ من أطيارِ

لستُ أنسى التي إذا خطرتْ — يَخْطُرُ بالبال شكلُ ملك ساري

رُبَّ شكلٍ له بباطن نفسي — أثر لا تحده أفكاري

---

(١) ليس بين موظفي مركز سنار في ١٩٢٥ من يجهل قصة هذا الكلب والحمار وقد كانا ملكا لحضرة اليوزباشي عثمان افندي على كيله مأمور المركز المذكور

صورٌ بان للبصائرِ منهن ... معانٍ خفِين عن أبصارِ
رُبَّ شخص اذا تجسد معنى ... فيه ما كانَ غيرَ وحشٍ ضارى
شفةُ المرء قد تدُل وعينا ... هُ على ما احتواهُ من أسرارِ
أنا لا تأخذ المظاهرُ منى ... لا ولا يَخْدَعُ الطَلا أبصارى
كم فتى أكبرتهُ أعينُ غيرى ... هو عندى كمثل ( كلب الحمارِ )
ربما عاد للوجودِ حماراً ... إن تُعِد خلقُهُ يد الأقدارِ
ان بعضا من البرية أدنى ... من هوامٍ تعيشُ فى الأقذارِ
رب شخصٍ تراهُ يرفلُ فى السندسِ ... من حُلةِ الفضائلِ عارِى

توفيق صالح جبريل

# حديقة العشاق

نضّرَ اللهُ وجهَ ذاكَ الساقى   إنه بالرحيقِ حلّ وثاقى
فتراءى الجمالُ مزدوجَ الأ   إشراق يسبى معددَ الآفاقِ
كان صبحاً طلقَ المحيا نديا   إذْ حللنا حديقةَ العشّاقِ
نغمُ الساقياتِ حركَ أشجا   نِى وهاجَ الأسى أنينُ السواقى
بين صبٍّ فى حبه متلاشٍ   ومحبٍ مستغرقٍ فى عناقِ
وتلاقت فى حلبةِ الرقص أيدٍ   وخدودٌ والتفَّ ساقٌ بساق
فضللنا والظلُّ والطلُّ هامٍ   فى انسجامٍ وبهجةٍ واتساقِ
وفتاة تختالُ تختارُ كرْماً   وغريرٍ لمخدعٍ منساق
والغوانى الحسان بين يديْنا   تتثنى فى القيد والإطلاق
أقبل الصبحُ والشهودُ نهود   مسفرات أما لها من واقٍ ؟
ظلّت الغيد والقواريرُ صرْعى   والأباريقُ بتنَ فى إطراقِ
ائتنى بالصبوح يا بهجة الروح   ترِحنى إنْ كان فى الكأس باق
يا بنةَ « القاش » إنْ سرى الطيفُ   وهْنا واعتل هائما فكيف لحاقى
والمُنى بين خصرها ويديها   والسُنى فى ابتسامها البرّاقِ
كسلا ، أشرقت بها كأسُ وجدى   فهى فى الحقِ جنةُ الإشراقِ

احمد محمد صالح

# من وحـــى الجـــزيرة

عندما ذهب طلبة كلية غردون لقيط القطن سنة ١٩٤٣ .

اليوم يـــومك يـــا قصيدى ... فتغـــنَّ باللحـــنِ الفـــريدِ
واخلعْ على أرضِ الجزيرةِ ... كـــلَّ قافيـــةٍ شـــرودِ
وأفضْ عليهَا مـــن بنـــاتِ ... السحـــرِ آيـــاتِ الخلـــودِ
ابناؤُها فخـــرُ البـــلادِ ... ومصـــدرُ الوحيِ المفيـــدِ
البـــاذلـــين جهودَهـم ... فى كلِ صالحـــةٍ وجـــودِ
قـــالوا الرحيـــلَ وبكروا ... يتسابقـــونَ إلى الـــورودِ
وإذا العميـــدُ مشمـــرٌ ... والكلُ فى أثـــرِ العميـــدِ
ساسَ الأمـــورَ وحاطَها ... بالحزمِ والـــرأيِ السديدِ
أعـــوانُه مـــن حـــولِـــه ... مثلَ الكواكبِ فى صعيـــد
وإذا القطـــارُ مهلـــلٌ ... ينســـابُ فى عـــزمٍ أكيد
والأرضُ حـــاليـــةُ الربى ... فكأنَّنـــا فى يـــومِ عيـــد
وانظر إلى أمـــلِ البـــلادِ ... يســـيرُ فى عـــزمِ الأسود
تـــركوا الـــدروسَ ويمموا ... أرضَ الجزيرةِ فـــى سعود
حتـــى إذا لاحَ الصبـــاحُ ... تجمعـــوا من كـــلِ بيـــد
يمشـــونَ لا متذمـــرينَ ... فتلـــكَ شنشنـــةُ العبيـــد
وانظـــر إلى النبـــتِ الجديد ... يســـيرُ للنبـــتِ الجـــديـــد
يجتـــازُ مـــن صـــفٍ إلى ... صفٍ ويهتـــفُ بالنشيـــد
ينـــون للـــوطنِ العزيـــزِ ... دعائمَ المجـــدِ المشيـــد
وطـــنٌ تضـــافرَ أهلُـــه ... وسعـــوا لتـــوحيدِ الجهود
رجعـــوا باكليـــلِ الفخارِ ... وأرَّقُـــوا عـــينَ الحســـود

**يوسف مصطفى التني**

# نداء الجيل

| | |
|---|---|
| المَجْدُ لِلْوَطَنْ | هذا نداء الجيل |
| يَبْقى على الزَّمَن | إلى العلا دليل |
| المَجْدُ لِلْوَطَنْ | والمَجْدُ لِلْوَطَنْ |
| | |
| المَجْدُ لِلْوَطَنْ | نَبْنِيه بالفِداء |
| لا كانَ مِنْ فتى | مَنْ أغفلَ النِداء |
| فَذاكَ لِلفَنَاء | والمَجْدُ لِلْوَطَنْ |
| | |
| نُدْني بالائتلاف | آمالنا البعيدة |
| لا نعرفُ الخِلاف | في الجِنسِ والعقيدة |
| فالدِّينُ للإله | والمَجْدُ لِلْوَطَنْ |
| | |
| في صالِحِ البلاد | الحُبُّ والقطيعة |
| لا في هوى الأفراد | والمادةِ الوضيعة |
| عَلى الهوى العفاء | والمَجْدُ لِلْوَطَنْ |
| | |
| حُيِّيتَ يا شباب | يا موضعَ الأمَلْ |
| أنتُمْ أسودُ الغاب | فاحْمُوهُ بِالعَمَلِ |
| وابْنُو الغَدَ المُهاب | والمَجْدُ لِلْوَطَنْ |
| | |
| احْمُوهُ بالكِفاح | بالعِلْمِ بِالفُنُونْ |
| وأنقذوا الفلاح | والعامِلَ المَغْبُون |
| فَنَحْنُ لِلجِهاد | المَجْدُ لِلْوَطَنْ |

تركوا وراء ظهورِهم ... ما شئتَ من ذكر حميد

• • •

يا نظرةً عرضتْ فحالتْ ... بين جفني والهجود
في الجدولِ الرقراق ... ما بين الخمائلِ والورود
تمشي وتحملُ جرّةً ... تلهو وتعبثُ بالنهود
ومضتْ تضاحكُ تربها ... فتبينُ عن عذبٍ برود
نظرتْ فلما أن رأتْ ... شيخاً تقدم من بعيد
صدت وأخفتْ وجههَا ... ولوتْ بسالفةٍ وجيد
ورأت حماري ظالعاً ... أعيا من المشيِ الوئيد
يا بنت عشرين ارحمي ... نَضْوَ السنين ولا تزيدي
والله لو ابصرتِني ... لما استوى واخضرَّ عودي
لرأيتِ ليثاً أغلباً ... يختال في أبهى البرود
لكنها الأيامُ تعبثُ ... بالفتى عبثَ الوليد
هي كالغواني في تقلبها ... وفي نفسِ العهود
ان كنت يا حسناء أزمعت ... الفِراقَ على صدود
فأبوك لم يمنع قِراه ... ولا أقامَ على الجحود
ايام ( شبرا ) و ( الطليح ) ... على الجفا بالله عودي
قد كنتُ في عُمر الزمانِ ... بدايةَ العهدِ السعيد

• • •

قل للفتى ( البنا ) علوتَ ... على المناظرِ والنديد
لك في جدودِك أسوةٌ ... والفرعُ ينمى للجدود
حيِّ الجزيرةَ بالسلام ... وخُصَّ أهلكَ بالمزيد

محمد احمد محجوب

# شاعر

لا تَلُمْـــهُ فما تَعــودَ صَمْتاً
أو تَوارَىَ عن العيــونِ ازْوِرارا

شاعــرٌ فجرَ الــرياض غنــاءً
والــروابى أثارهُــنَّ وثــارًا

سار فــى مَهْمَهِ الحيــاة مُجداً
فى ظلامِ الوجودِ يَهْدى الحيارى

با سطــاً كفَّــه لغيرِ سُــؤال
بل لمسحِ الدموعِ تَهْمِي غِزَارا

عَبْدَ الحسنَ والشبــابُ سخيٌ
فى نضَيرِ الرُبى وَجَدْبِ الصَحارى

عاشَ للحــب دَهْرَه وشجــاهُ
هَزَجُ الطيرِ فى الغُصُونِ تَبارى

فَرحةُ الناسِ ،.أغنياتٌ بِفِيــه
عَلَّمَ الوُرْقَ شَدْوَها والهزَارا

يَعْصِرُ الــوجدُ قَلْبَهُ وغنــاهُ
كَشَهِي المُنى وحُلُمِ العَذَارى

وبكاءُ الحــزينِ يُلْهِمُهُ اللحنَ
شجيــاً فيحــزُنُ الأوتــارا

أرهــفَ الدهرُ حِسَــهُ وسقاهُ
من دنانِ الوجــودِ خَمراً ونارا

فهو مثل الطيورِ يشــدو طليقــاً
ويعــافُ القيود يأبــىَ الإسَــارا

لا يطيــقُ البقاءَ فى الظُلْمِ حُرٌ
عبقــريٌ ولا يطيــقُ إنكســارًا

عنْدليبُ الرياض إمّــا تغنــى
وجفاهُ الصحابُ أكدى وطارا

مدرج الحــبِ والصبِا والأمانــى
أنكرَ العيــش عنده والجــوارا

وطروبُ الغناء أضحَى نُــواحاً
زادهُ البعــد حُــرْقَــةً واوارا

يا نجىَ القلــوب حَسْبُكَ هَمْساً
لا يطيب الغنــاءُ الا جِهــارا

التجاني يوسف بشير

# الصوفي المعذب

. . هذه الذرة كم تحمـ ل في العالم سرّاً
قِفْ لديها وامتزِجْ في ذاتِها عُمقاً وغوراً
وانطلق في جوّها المملوء إيماناً وبرّاً
وتنقّل بينَ كُبْرَى في الذرارِي وصغرَى
ترَ كُلّ الكونِ لا يفتـ ـر تسبيحاً وذِكراً

• • •

وانتشِ الزهرةَ، والزهرةُ كم تحملَ عِطرا
ندِيتْ واستوثقتْ في الأ رضِ اعراقاً وجذرا
وتعرّت عن طريرٍ خضِلٍ يفتَـرُّ نضرا
سلْ هزارَ الحقلِ من أنبـ ـته ورداً وزَهرا
وسلِ الوردةَ من أو دعَها طيباً ونشرا
تنظرُ الروحَ وتسمعُ بين أعماقِك أمرا

• • •

الوجودُ الحقُ ما أو سَع في النفس مدَاه
والسكونُ المحض ما أو ثقُ بالروح عُراه
كل ما في الكون يمشي في حناياه الاله
هذه النملةُ في رقتِـ ـها رَجْعُ صداه
هو يحيَا في حواشِيها وتحيا في ثراه
وهي ان أسلمَتِ الروحَ تلقَتْها يَداه
لم تَمُتْ فيها حياةُ الله إن كنتَ تراه

أنا وحدى كنت استجلى    من العالم همسه
أسمع الخطرة فى الذر    واستبطن جسه
واضطراب الدر فى خفقته    أسمع جرسه
وأرى عيد فتى الور    د وأستقبل عرسه
وأنفعال الكرم فى فقعته    أشهد غرسه
رب سبحانك إن الكون    لا يقدر نفسه
صغت من نارك جنيه    ومن نورك أنسه

• • •

رب فى الاشراقة الاو    لى على طينة آدم
أمم تزخر فى الغيـ    ـب وفى الطينة عالم
ونفوس تزحم الماء    وأرواح تحاوم
سبح الخلق وسبحت    وآمنت وآمن
وتسللت من الغيـ    ـب وآذنت وآذن
ومشى الدهر دراكاً    ربذ الخطو الى من ؟.

• • •

فى تجلياتك الكبـ    ـرى وفى مظهر ذاتك
والجلال الزاخر الفياض    من بعض صفاتك
والحنان المشرق الوضـ    ـاح من فيض حياتك
والكمال الاعظم الأعلى    وأسمى سبحاتك
قد تعبدتك زلفى    ذائداً عن حرماتك
فتنبت نفسي وافرغت    بها فى صلواتك

• • •

ثم ماذا جد من بعد    خلوصى وصفائى
أظلمت روحى . . . ما عد    ت أرى ما أنا راء

أيهـذا العشب الغا ... نِم في صحوِ سَمائِي
للمنايا السود آما ... لِي وللموتِ رجائِي
آه يا موتَ جنونِي آهِ . ... يا يومَ قضائِي
قف تزوَّد أيها الجنـ ... ـارِ من زادي ومائي
واقترِب ان فؤا ... دِي مثقلٌ بالبرحاء

• • •

يا نعيماً مُشرقَ الصفحةِ ... يُساقط دوني
نَضِرت في قربه نفسِي ... وزايلت غُصُوني
فمشت غائلةُ « الشـ ... ـكِّ » الى فجرِ يقيني
قَضَتْ اللذةُ فاسترجعُـ ... ـها لمحَ ظنونِي
واسترِد النعمةَ الكُبْرَى ... من الدهرِ حنيني
من ترَ استأثَر باللذةِ ... واستبقى جنوني ؟
أذني . . لا ينفذُ اليو ... مَ بها غير العويل
نظري . . يقصر عن كلٍّ ... دقيقٍ وجليل
غاب عن نفسِي اشرا ... قُك والفجرُ الجميل
واستحال الماءُ فاستحـ ... ـجر في كل مَسيل
رجعَ اللحنُ الى أو ... تارِه بعدَ قليل
واختفى بين ظلامِ المـ ... ـزهرِ الكلُّ العليل

التيجاني يوسف بشير

# الخلــــوة

(من صور الصبا)

هبَّ من نومِه يدغدغُ عينَيــهِ ... مشيحــاً بــوجهــهِ في الصباح
ساخطاً يلعــن السماء وما في الأ ... رض ِمن عــالمٍ ومــن اشبــاحِ
خنَقَــت نفسُه وضاقت به الحيـ ... لةُ واهتاجَــه بغيض الــرواحِ
واهابت به الظّــلال وقــد نُشِـ ... ـرن في جلـوةِ القُرى والبطاحِ
طوفَت في خيالِــه ذكرياتُ الرَّ ... وْعِ واعتــاده مُطيــف الجِماح
ومشى بــارماً يدفــعُ رجـليـ ... ـه ويبكِــي بقلبِــه الملتــاح
ضمّخت ثوبَه الدواةُ وروّتْ ... رأسَهُ مــن عبيرِها الفيــاحِ !
ثورةٌ صورَت خــوافِيَ مابين ... حنايــا صَبيّتِنــا مــن رياحِ

* * *

ورمــى نظــرةً الى شيخِــه الجبا ... رِ مستبطنــاً خفــيَّ المنــاحِـي
نظرة فسّرَت منــازعِ عينَيــه ... ونمّــت عمــا بــه من جراح
حبذا « خلوةُ » الصبــيَّ ومَرْحي ... بالصبــا الغــض من ليالٍ وضاحِ
رُبَّ يومٍ أغــر يزهو بــدُرى ... نطــافٍ وعبقــريٍّ وشــاحِ
وظــلالٍ من الضحَى ظفرتُ منـ ... ـهــا بعقــدٍ من الصبــا لمــاحِ

* * *

زاهراتٌ شتَى منوعــةُ الألــوان ... من ســوسَنِ الرُبَى والاقــاحِي
متعــت شمسهــا فعاودَهــا ألفُ ... هــوىً يستقيــدُهــا للمِــراحِ
ونفوسٌ سجَى الكَــرى في حوا ... شيها ودبَّ الفتورِ في االارواحِ
فارجحنّت مهومــات ومــــا ... تبرَحُ مــركوزةٍ على ( الالواحِ )

كلما لفّها النعاسُ وأضفَى	فوقهَا عالماً ندَىَّ الجنـاحِ
قصفَ الرعدُ في المكان ودوّى	مُزمِزماً صاخباً قوىَّ الصياحِ
فاستفاقت وهيمنتْ بعض اشيا	ء . وعادت وعاد قصف الرياحِ

• • •

صورٌ للصبا الأغرِّ موشا	ةٌ بأحلامه وضوء الصباحِ
يدفُقُ البِشْر من مفاتنِ دنيا	ها وتفترُّ عن سناً وضَّاحِ

**الناصر قريب الله**

# أم بــــادر

أيُّ حظ رزقته في الكمالِ واحتوى سرَّهُ ضميرُ الرِّمالِ
فتناهي إليكِ كلُّ جميلٍ قد تناهى إليه كلُّ جمالِ
فكأنَّ الحصباءَ فيكِ كُرَاتٌ قد طلاها بناصعِ اللَّوْنِ طالِ
وتعالتْ هضابُكِ المشرئباتُ إلى مورد السحابِ الثِّقالِ
قادَنِي نحوهن كُلُّ كثيبٍ قدْ تبارَى مع الصفا في المقالِ
طالما فيأتْ حواشيكَ غاباتٌ تذيقُ النهارَ بأسَ الليالى
ينفذُ النورُ نحوها فيُوافِي من رقيقِ الظلام في سِرْبَالِ
ما أخوها الجرىءُ يأمن عُقباها وإنْ كان صائدَ الرئبالِ
بين أطرافها مخاوفُ أدناهن بعد الهُدى وقُرْبُ الضلالِ
فاذا عادها الخريفُ وافضى فى العَشيِّات بالدموع التوالى
فهى حسناءُ تزدهيها المرايا ذاتُ صدر مفوَّفِ الوَشْيِ حالِ
قد تحاشى ظلالَها السَّفْرُ لما أطرقت للمياه والأوحالِ
وتشهتْ ثواقِبُ النورِ ملْهًى بَيْنَ أحضانِ مائِها السَّلْسَالِ
بينما جرَتْ الثعابينُ أجْسادًا لها فى الجُذُوعِ جر الحبالِ
وأرَنتْ طيُورُهَا بين مطيافٍ بهـا أوْ مُسبِّحٍ فى الأعالى
كم لوادى الوكيلِ عندى ذكْرى زادَها جِدَّةً مرورُ الليالى
وفتاةٍ لقيتُها ثَمَّ تَجْنِي ثَمرَ السُّنْطِ فى انْفِرادِ الغزالِ
تمنحُ الغصن أسفلىْ قدميها ويداها فى صدْرِ آخر عالِ
فيظلُّ النهدانِ فِي خفَقانِ الموجِ والكشحُ مُفْرِطاً فى الهزالِ
شاقنِى صوتُها المديدُ تُنادِى والعصافيرَ ذاهبَ الآمالِ

فتغشيتُها وفيها ابتسامٌ يحملُ الخمرَ في كؤوسٍ لآلي

أيُّ أُنس أتاحهُ ذلك اليو مُ وأيُّ الجواء فيه صفالي

فجزى الكاهليةَ الحبُ عني ما جزتني عن جرأتي واتصالي

يا دياراً إذا حننتُ إليها فحنينُ السجينِ للترحال

لستُ أنساكِ والبروقُ تجاوبْ ن وروحَ النهارِ في اضمحلالِ

وكأن السحاب ضاقَ به الجو فانثنى عليَّ بالإقبال . . . .

يتنادى كأن كلَّ هزيمٍ صائحٌ بالمسافرين عجالِ

حين زفَّ الهجينُ بي طرَبا ينفي حصى البيدِ عن يدٍ مرقال

ولِعينيَّ في الفضاء شرودُ لم يقفْ دون شاهقاتِ الجبالِ

أستشِفُّ الجبالَ في ظُلَلِ الغ يمِ رقاقَ الحُلَى كثافَ الجلالِ

وأشمُّ العبير من كُلِّ وادٍ حالم بالنعيم تحتَ السيالِ

والمها رُتعٌ شواردُ ألحاظٍ، أمِن صيدِ صائدٍ لا تبالى؟

إنْ تكُنْ ياسحابُ بلَلْتَ أثوا بي سخياً بدمعك الهطالِ

فلقد كُنْت منقذي وبشيرِ ى من جراح الحياة بالأبلالِ

يا متاعاً لدى الطبيعةِ ألقا هُ فأنسى متاعبي في ارتحالي

ما أنا والربوع كابدت فيها ظمأ الروح وافتقارَ الخيالِ

كلُّ أبوابها طوارقُ همٍّ بتن دون الرتاج والأقفالَ

لم أجدْ عالمَ السعادةِ حتى عظُمتْ مُنيتي فخفَّتْ رحالي

محمد المهدى المجذوب

# القوقعـــة الفارغـــة

وقفتُ على سيفِ البحرِ الأحمـرْ
المـوجُ أزرقْ ، المـوجُ أخضـرْ
المـوجُ أصفـرْ . . الموج أغـبرْ
عينـى هنـاك فـى الأُفـق
المـوجُ هنـاكَ جـامِـدْ
الموج حائطٌ مهدَّم فـى صَحْـراءْ
أحاطتْ به أمواجُ الرمالِ وجَمدتْ علَيْه
ودارَ رأسِى ، . الموجُ الموجُ الموْج

• • •

ورَجَعتْ بى عَيْنِـى
وألقت تحت قَدَمَىَّ قوْقعة فارغه
لقد كانت فى أعماقِ هذا البحرِ المائج
ومن حركته فى الأعماق اتخذتْ شكْلَها
واتخذت حياتها ثم دَبَّتْ تجرى على السِّيفْ
ثم فقـدتْ حركتَها وبقـى الإطارْ
عينـى هنـاك فـى الأُفـق
المـوجُ هنـاكَ جَـامِـدْ
الموجُ حائطٌ مهدَّمٌ فى صحراءْ
أحاطت به أمواجُ الرمالِ وجمدت عليه
أنا ساكن وفى سكونى خُواءٌ مُتْعَبْ
وذكـرى غامضـة

حَياتى مليئَــة بالقَواقِــع الفَارِغَة
وبالأمس القريب دفنتُ قَوْقَعةً فارغة
لقد اتخذت شكلَها وحياتَها من حيَاتِي
هــى الآن ساكنــةٌ تحــت التراب
هنــاك فى القبــور الممتدة عبرَ الأُفق
مــوجُ البحر جامــدٌ على الأُفق البعيد
أنا قــوقعــةٌ فارِغــة
وقــبرى هنــاك

• • •

بلادِى لا تدرك ما يدركُه الشعــراء
فى زحمة الحياة رأيتُ قوقعةً فــارغة
يخرجُ من جوفها الخاوِى كلامٌ غيرُ مفهوم
النــاس أمــواج
خشعوا حولها يُعجبونَ ولا يُبْصِــرون

• • •

حتى الشعر ، كان الشعرُ خمرا ، أصبحَ لا يشفى
تذكــرتُ شاعــرا عربيا تنبــأ
سأل نفســه وقدَ الألــمُ حسه
إذا طلبتُ كميــت اللون صافية
وجدتُهــا وحبيبُ النفسِ مفقودُ
أصخــرةٌ أنــا
وهــل أبصــر أعمى المعره

**محمد المهدى المجذوب**

# سيرة *

البُنيَّاتُ فى ضرامِ الدلاليكِ تستترْنَ فتنةً وانبهارا **
من عيونٍ تلفتَ الكحلُ فيهنَّ وأصغى هُنيهةً ثم طارا

نحنُ جئنا إليكِ يا أمها الليلةَ بالزينِ والعديلِ المُنقى
نحن جئناك حاملين جريدَ النخلِ فألاً على اخضرارٍ ورِزقا

العذارى ألوانُهنَّ الرقيقاتُ نباتُ الظلالِ شفَّ وحارا
رأمتهُ الخدورُ ينتظرُ الموسمَ حتى يشعَّ نورا ونارا .
ينبرى الطبلُ ينفضُ المرَجَ القينانَ طيراً تفرقاً واشتجارا
موكبٌ من مواكبِ الفرحِ المُختالِ عصراً فى شاطىء النيل سارا
الجمالُ الغريرُ يسفرُ غفلانَ فلمْ تنسَ فى الزحامِ الجوارا
والعبيرُ الحنونُ هللَ فى صدرى طيفاً موصلاً واعتذارا
نحنُ جئنا إليك يا أمها الليلةَ بالزينِ والعديلِ المُنقى
نحن جئناك حاملين جريدَ النخلِ فألاً على إخضرارٍ ورِزقا

ومشى بالبخورُ من جعلَ الخدمةَ فى الحى نخوةً وابتدارا
حافياً مُسرع الخطى باسمِ النجدةِ حياً حفاوةً وابتشارا
وعجوزٍ تحمستْ حشدتْ شعراً تعالى حماسةً وافتخارا
قلبتْ صوتها تأملَ أمجاداً قُدامى فرقَّ حيناً وثارا

رفعتْ فوقَ منكبٍ طبلَها الصيدحَ تحتَ الأكفِّ خفقا

---

* السيرة : مسيرة غنائية تكون من بيت العريس الى بيت العروس .

** الدلاليك : جمع ( دلوكة ) وهى طبل يصاحب غناء السيرة وبيوت الأعراس

يتَغنَّى لأنفُسٍ إنْ تشهَّين طلبنَ الحلالَ قسْماً وحقّا
وتَشيلُ البناتُ صفْقاً معَ الطبلِ ورمْقاً من العيون ورَشْقا
وغزالٍ مُشاغِبٍ أصلَحَ الهدْمَ أراني في غفلةِ الناسِ طوْقا

تتَصدّى حمامةٌ كشفَتْ رأساً وزافتْ بصدرها مُستَطارا
شلّحُوها حتى تُضيء فأضمرْت حناناً لأمها واعتذارا
وطني كم بكيتُ فيكِ وخانُوكَ وصدّقْتَ دينَهُمْ والدّمارا
نحنُ جئْنا إليك يا أمها الليلةَ بالبحرِ والعريسِ المُنتقى

حجّبوها وليّنُوا العيشَ ما كانَ حجابُ الكتّينِ قيْداً ورقّا
هيَ ستُّ البنات ستُّ أبيها كرَماً يحفَظُ الجوارَ وصدْقا
وجلوْها فريدةٌ جفَلَ الغوّاصُ عن بحرِها خطاراً وعُمْقا
وهوَى عاشقٌ وطارَ وأهوى السوطُ رعْداً بمنكبَيْهِ وبرْقا
يتَحدّى عقوبةَ الصبرِ فالحرمانُ أمسَى من السّياطِ أشقّا
مُهْرَةٌ حرةٌ وتنتظر الفارسَ يحمى حريمَها والذّمارا
وأتاهُ العبير من خمَلِ الشبّالِ حياهُ جهْرَةً لا سرارا
موْعدٌ لا لقاءَ فيهِ وتاجُوجُ تولّتْ عفافةٌ وانتصارا
وبنانٌ توضّحتْ وطواها الثوبُ حيَا بِبسْمَةٍ تتوارى
نفضتْ عن سوارِها بصرى يسْعىَ إليها فما تُحبُّ الحوارا
لهْفَ نفسى على صبايَ الذى كانَ وما فيه من لعابِ العذارى
من عذيرى من غُربةٍ أخذتْ رُوحى وألقتْ علىّ وجْهاً مُعارا

ما سقتْنى على الظما شفةٌ خضراءُ أحلَى من الزُلالِ وأنقى
كشفَتْ وجْهَها وزينتَها الحُسنَى وكم أشتهى وكم تتوقّى
غسلَتْ مُهجتى بطُهرِ سجاياها فلم ترضَ أنْ نهونَ ونشقى
سُنّةُ العشقِ في بلادِيَ كتمانٌ وبُقيا على المحارمِ وتُقى

وافترقنا على حنانٍ نُواسيه وكانَ الفراقُ جداً ورفقَا

أنا أهواكِ يا بلادىَ ما والبيتُ غرْباً ولا تبدّلتُ شرقَا

ما طموحُ الموظفينَ إلى الجاهِ طمُوحى ، مع المساكين أبقَى

آهِ من قريتى البريئةِ لا تعلمُ كَمْ فى مدينةِ التُرْكِ أشقَى

فُنْدُقٌ لا جوارَ فيه ولا أرحامَ تَنتهى ولا معَارِفَ تبقَى

وطوانى الدُجَى هُناكَ ومصباحى عَمىّ فى صخْرة الليْلِ يرقَى

أشتهى الدلْكةَ العَميقةَ والكركارَ والقرْمصيصَ ماج ورقّا **

وبعَيْنى قوافلُ النَخْلِ والنيلُ حدَاها تجيءُ وسْقاً فوسقَا

بردَتْ جرّتى وذا القرعُ المنقوشُ يَسقى حلاوةَ النيلِ طِلْقَا

** الدلكة دهان طيب الرائحة تدلك به البشرة والكركار دهان يجعل على الشعر فيزدهى به ويطليه . والقرمصيص ثوب متعدد الألوان ناعم .

عبد الله الطيب

# الكاس التي تحطمت

( ابريل ١٩٤٦ )

أترى تذكر لما أن دخلنا الفندق الشامخ(١)
ذاك الفندق الشامخ في ليدز
ذاك الرحب ذاك الصاخب الصامت
ذاك الهائل المرعب إذ كنا معا
أنت واليانوس والأخرى التي تصحب اليانوس
والأبصار ترمينا بمثل الرشقات
وسهاماً حانقات (٢)
فجلسنا في قصي ثم قمنا وجلسنا في قريب
زاخر بالنور ضاح
نتساقى روح إيناس وراح
وجدال جده كان مجناً للمزاح
والمراح
فوددنا لو مكثنا هكذا حتى الصباح
لا نرى ألحاظ لاح
قد خلعنا حذر الغربة إلا هجسات
واضطراباً لا بساً ثوب ثبات
كحياء الخفرات الحذرات الفطنات
لمح الشر وأغضى النظرات

(١) دخلنا الفندق هو الوجه . ولكن حذف الجار هنا للضرورة .
(٢) تنصب على اضمار فعل وان شئت خفضت السهام .

ومَضَى مضطرباً مرتقِباً متخذاً زِيْ ثبــات
يتـوَقّـى الـوثبـاتِ
ثمّ لا أنسـى اذ الكـأس رذُوم[1]
وإذ الجـو حـديـثٌ ورنـين
وإذ التّبـغُ عَـلى النـور دجُـون
وإذ النّـاسُ جلَيـسٌ وأنيـسٌ ونـديـم
كَيفَ خرّ الكوبُ ذاك المترعُ الملآن للأرض وسالا
وهـوى منـكسـراً منْفطِـرا
واكتسى وجهُك بالدهشة لـوناً واستحـالا[2]
واذا الـدنيـا سكُـون
واذا الصّمـت اللعـين
يتَمَطّـى ويَـرين
واذا الابـواب والأنـوار والسّقْف عيـون
وحَسِيسٌ هامِسٌ تَسْمَعه الجدرَانُ والشّارعُ والشّرطِي
هَمْسٌ واستيـاء
تفْضَـح النخِسـةُ مِنـه ويـواريه الـرّيْاء
فتجلّدتَ على الكرسيّ حيناً ونسيتَ الشعرَ موزوناً رصينا
وتلفـتّ إلى الأعـذار منهـا مـا يـؤاتـى
تنسُـبُ الشـرّ إلى الأقـدار فـى هذى الحياة
تَبَعَـتْ فلسفَـة منـك عـن الدهر الخئـون
وقضـاء الله اذ يَسبِـق أوهَـامَ الظنـون
تتَـلافى الكُوبَ بالألفاظِ والكُـوب تـحطّم
وتَهشّـم

---

1) رذوم : ملأى تسيل من جوانبها .
(٢) استحال : تغير .

وَهَـوَى يَسْمعُـهُ سقْـفٌ وبـاب

أتَـزفُّ الْعِلْـم للسـامع فالسـامع أعلَم

أتَسُـب الساخـط الـزارى لا يُغنى السبـاب

ذهَبَـتْ كـأسُـكَ كـالـوهمِ وسالت

وهوتْ فى الفندقِ العامر ذاك الفنـدق الشامخِ

ذاك المرعِـبِ الهائـل ذاك الصامـت الصاخب

دَوّتْ فيـه صـالـت

جلجلـت

لا تشـتم الاقـدار لا يغنِـى السبـاب

ذَهَبَتْ كأسُكَ كالوهمِ وعزّاكَ الصَّحابْ

لحظـةً غيّبهَـا مـاضـى الـزمـان

أنـا لا أذكُـرُهـا إلا اعـترانـى

ضحِـك يمـلأ حِسّـى وكيـانـى

أفـلا تـذكـرهـا ؟؟؟

عبد الله الطيب

# طريق سمرقند

حبذا أنت والجبينُ الأغـر والوريدُ الذى عليه يدر
قد ذكرناك يا هناة على البعد الذى دونه الزعازع قر(1)
ووجدنا العطر الذى عندكفيك وكنا لك الغرام نسر
ما رأينا سيحان إلا من الجو وجيحان والحشى مقشعر
والجناحان يرجفان من الفولاذ كالريش والشباب يغر
وذكرناك يا هناة بتشقند وذكراك يا هناة تسر(2)
والسباريت دون بحر خوارزم إلى الصين سيرها مستمر(3)
ورأينا مدى مدينة تشقند وفيها الدخان والآجر
وأرونا ما كان قد صنع الزلزال فيها وغيرنا يغتر
والقيان اللاتى رقصن طويلاً وفى رفرف البرانس غر(4)
وعليهن كالجوارى من الصغد العمامات والقلانس در
والصفيرات قد بلغن الى الأكفال والسوق والصدور تكر
والخطا الساحرات والأذرع الجزلة والخز وشيه مسبكر(5)
والثغور الحسان منهن فى بحبوحة الرقص حسنما تفتر(6)
وامرؤ القيس ما رأى مثلما شاهدت منهن حين شاقته هر(7)

---

(1) قر بضم القاف : برد .

(٢) من كبريات المدن وكان يقال لها شاش .

(٣) السباريت : الصحارى .

(٤) من قوله تعالى « رفرف خضر » فرفرف هؤلاء برانسهن .

(٥) انما تسبكر الأجسام كاسبكرار فتاة امرىء القيس . والخز الحرير فزخرفته سبب اسبكرارها هو اسبكرار الجسم الشاب فيها .

(٦) أى يا حسنما أو أذكر حسن ما تفتر بزيادة ما .

(٧) هر صاحبة امرىء القيس ، معروفة .

وعظام الخدود منهن برزا	ت من الحاجبين واللون حر
والتي أشبهتك جيداء فرعا	ء رداح هركولة هيدكر(١)
ولها خنجران في مقلتيها	تشرعان القتال والحسن شر(٢)
طالما قد صبرت يا أيها الشا	عر والصبر لو شفاك مقر
ورأينا الرمان فاكهة الجنـ	ـة والضيف قانع معتر
وحضرنا المناقشات التي طا	لت ومنها المكرر المضطر
وسئمنا من الغباوة من قبـ	ـل ومن بعد والنفاق يضر
وحثونا التراب في أوجه الأو	غاد لسنا عن القتال نفر
وادكرناك يا هناة ادكارا	ت وللهم عسكر مكفهر(٣)
وأغذ القطار بين الطرابيـ	ـل وقري والضيم لست أقر(٤)
والظلام الذي أطل على القفـ	ـر إلى النيل ليله مستمر
والغبار الذي له وحشة الخا	طر تزداد هبوه مستحر
وشخوص الطغام في عربات النـ	ـوم حتى بهن ضاق الممر(٥)
والقلوص التي تحن مع الشا	عر قد بان روضها المخضر(٦)
حبذا أنت يا هناة وعينا	ك رءومان والمحبة بر
ووددناك والودادة من أعطية	الله والرماد يذر
وحفظنا هواك في شعب القلـ	ـب التي عن سواه ليست تفر(٧)

---

(١) الهركولة الحسنة الجسم مع تمام والهيدكر التي تتبختر .
(٢) تشرعان أي المقلتان ولك « يشرعان » ترد الضمير الى الخنجرين .
(٣) مظلم .
(٤) الطرابيل هي أهرام جهة البجراوية وهي مروى القديمةقيل بنيت فيما بين ٣٥٠-٢٥٠ قبل الميلاد ، وعندى أن هذا باطل أو كأنه ، وذلك أنها أهرام كبيرات ينبغى أن قد كانت ضاربة فى القدم ثم نظام صناعتها مختلف عن نظام أهرام مصر والله أعلم . وقرى بفتح فراء مكسورة مشددة بناحية شلا ل السلوقة .
(٥) كانت عربات النوم لخاصة الخاصة .
(٦) القلوص : الناقة الشابة .
(٧) ليست تكشف وتختبر .

وذكرناك في سباسب تكرو ر وللتوروا ظلال ودر (١)
والفتاة الشقراء ذات حماما ت وتدعو وصوتها ساق حر(٢)
وذكرناك في خرائب سامرا وبغداد بردها مزمهر
وذكرناك عند فندق بيرو ت وبالثلج طوده مزمخر
وذكرناك بعدها بسمرقند ورمناك والمزار زور
وذكرناك في القطار الذي أسرع بالقاع والزمان يمر
والبياب البعيد منزلة السا حل في بيده إلى الغاب ذر
ورأينا القطن الذي في السرايا ت وفي الروض ماؤه مستقر
ورأينا النهر الذي صنع الما ضون تياره مكر مفر
والليالي يخبأن بعد الأعاجيب ويا ربما القوي يتر(٣)
والتلال البعاد أذكرنك النيل وبين القلوب عهد ممر(٤)
واخضرار كريف مصر وفلاحون والأرض لونها مغبر
وعلى الكون من طمأنينة الفجر خشوع والشمس كادت تدر
والبيوت التي من الطين أشبهن بلادي فدمع عيني ثر
وشجتك المناظر الأزبكيا ت التي مس أهلهن الضر
ووجوه الشيوخ تحت العماما ت وهيهات أين المفر
وتلقيننا النساء يغنين بأمر الولاة والفن حر
والمغولي حينما نفخ البوق لأعماق أمسه يجتر
والمنارات في سمرقند أحزنك والدهر بالحوادث مر

---

(١) تكرور بلاد نيجيريا والتوروا ضرب من الدوح العظام هناك .

(٢) ساق حر حكاية صوت الحمام ولا يضاف ضربة لازم بل لك الفصل حكاية ـ قال الآخر :

تنادي ساق حر وظلت أدعو تليداً لا تبين به الكلاما

فنصب ولا تستطيع أن تزعم أنها اضافة ومنع صرف لا غير ثم قوله لا تبين به الكلاما نص في الذي نذهب اليه .

(٣) يتر : يزحزح عن موضعه .

(٤) ممر بالمبني للمجهول ، أي قوي ، تقول أمررت الحبل فهو ممر .

وعفَتْ أربعُ البُروجِ منَ المَسْـ ـجدِ والرَّسْمُ منْهُ كادَ يَخرُ
وقديماً كانتْ تُنَصُّ لهُ العيـ ـسُ وكانتْ بناؤها مُشْمَخِرُ(١)
وعلى الرَّمْلِ من بخاتيّ أهْلِ النّهرِ رَكْبٌ إلى الحجازِ اسبَطرُّوا(٢)
يا خليليّ عللاني بكأسٍ تطرُدُ الهمّ فالطّواغيتُ سُرُّوا
إنّ ذاتَ الجبينِ والحاجبِ الصّلْـ ـتِ لها بالجمالِ طِرْفٌ طِمِرُّ(٣)
ولها في فؤادِكِ الخُلْدُ والكَوْ ثَرُ والسَّلْسَبيلُ والعَبْقَرُ(٤)
حبّذا أنتِ واسْلَمي وتبارَكْـ ـتِ وبُورِكْتِ والهوى لكِ غِرُّ
والقناديلُ في مُحيّاكِ والفِتْنَةُ عَيْناكِ والرِّماحُ تَجُرُّ

---

(١) بناؤها مشمخر مبتدأ وخبر .
(٢) استمروا في سير متلئب مستقيم ، قال الهذلي :
ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال
(٣) الطرف بكسر الطاء وسكون الراء الحصان الجيد والطمر بكسرتين أو كسرة ففتحة، الذي يحسن الوثوب من الخيل .
(٤) هذا من قول المرار :
بين ثبراك فشسي عبقر

محمد محمد على

# من اساطيرنا ـ ابن السَرارى

لم تبلْ الأرضَ قطره
لا ،
ولا تضوّعتَ فى خيالِ الناسِ زهرة
حيثمـا وليـت وجهَـكَ
لم تجد غير الجفافِ والشحوب
والعيـونِ الغائـرات
والأكفِّ اليابساتِ والعظام
عشـرةُ أعـوام
معروقةَ قد سُلِخَتْ من عمرِ أهلِنا
لم يبـقَ مما يأكـلُ الأنـام
سوى العظام والجلودِ والحطـب
وحفنةٌ من ذَرة أفضلُ من بيتِ ذهب

• • •

وفى مدينـة النحـاس
حيـث الغنَـى
حيثُ المتاعُ والأثاثُ والرياش
والذهبُ اللماع مثل أكوامِ المقدّ
لم يجـدْ الناس البدَلْ
فزلزلوا ممـا نزَلْ
وغادروا بيوتَهم فى الأرضِ سائحين

يشحــذُون ، ينهبــون
ويبذلون من نفوسِهم ما قد غدَا مصون
لكن منهم من اغلقــوا أبوابَهم
كرامةً وعــزةً
وغــيرةً نبيلــةً على النساء والاطفال
وعــلى السَــرارَى

وفى مدينةِ النحاسِ قصرٌ أبيض
وربه أسمر وضاحٌ ، لحيتُه بيضاء
كانت له سَرارُ سبعُ وولدٌ وحيد
من السَــرارى السبــع
ولدته واحدَة وتبنّاه الجميــع
كأنه الشمعةُ فى ليلٍ مشاعِله البروق
من ليالى الغيــثِ فى أرضِ الجنوب
أغلق رب البيــتِ بابَ بيتِــه
وليس فى الدارِ متاعٌ تشتهيه الأنفس
فــى تلكُــم المجاعــة
ذهــبٌ مثــل الــتراب
سارقــه مغبــون
وكلُّ شيء ما عدا ما يعمرُ البطونَ
فــى دارهِــم مــوفور
هناك بُــرمة كأنها القنديل
تشعُّ من أحشائِها الحبوبُ والقندول
هى ثروة البيــتِ الحــزين

تنازلـــوا جميعُهم منها إلى الـــوليد
يُطعَم كل يوم حبةً أو حبتـــين
ينمـــو نمـــواً حسنـــاً
فشـــبَّ كالعمـــلاق
ومات ربُّ دارهم فى القحطِ والاملاق
أما السَـــرارى
فتحـــولـــن سَعـــالى
أخشوشَنت أظفارُهن والشعورُ والانياب
وكِدنَ أن يظفرْن بالقمْلان
يأكلنَه وقد يكون أكلُه ثواب
كالطـــلاق
لأنه سمينٌ وهن جائعـــات

* * *

ففكر الفتي فى الأمر ثم قال :
أين سيفٌ من أبـــى ؟
أوصَـــى به في الـــدارِ لى ؟
وتـــذاكـــرن
وما مِنهن من تذكرُ شيئا
فاستعرض السيوفَ حتى رأى الصَمصَام
كمقلةٍ صاحيةٍ فى مَعشرٍ نِيام
فاستلّه من جفنِه واقتحم الأسوار
مغـــامـــراً جبـــار
يرومُ أرضَ الغُولة المرهوبةِ الأجواء

* * *

يسير كلَّ الليلِ ويكمُن النهار

شـرابُه الدمـوع
طعامُـه الأشجـار
حتى هوى فى موطنٍ سحيق
أزهارُه رحيـق
وكل فرعٍ من روابيه محدِّثٌ منطيق
فحدثه فرعٌ من الفروع
بما يُشجى وما يروع
أشار عليه بأن يؤمّ غارا
فى جوفِ هذا الغارِ حية
ساحرةٌ من عهدِ عاد وثمود
تلقَم ما تلحَظه فى الغيبِ والوجوه
أنيابُهـا حديد
وبأسهـا شديد
وليس من يرومُها لأهلِه مردود
إلا الشجـاع
وفتانا فاتك مقتحم
فارس يعنو له كل شجاع
وقلبه مثل سيف لأبيه
وأبوه مات جوعا للكرامة

* * *

دخل الغار مدلاً بالشباب والشجاعة
فرأى من ربة المسكن إكراما وطاعة
وخضـوعاً
لحمت من سيفه العاتى فرنداً ناضراً

فغدا أنضر وجهاً من شعاعات الصباح
إنــه أصبــح شــعلة
من ضياء الحق فى عمق القلوب
وهدته لأمور تعجز الغولة عن موردها
وأمور تعجز الغولة عن مصدرهــا
فإذا ما بــدا منها لأجل الفتكِ رأس
فمن السيف الصقيل تكون ضربــة
ضــربة فى إثر ضــربة
حتــى يكــن سبعــا
تموت بعدها الغولة فى أجبالها السبعة
وما يحوين من قمحٍ ومن ضيــاع
والأجبل السبعة من ذهبٍ ومن فضة

* * *

وصاولَ ابنتــا الغُولــة
وهــو فتىً من الســودان
ومن مــدينةِ النحــاس
الصــابرة
المغلقــة الأبواب على الجياع
فى عــامِ المجاعــة
إبن السَرارِى السبــع
فأرداهــا قتيــلاً
وفى يده غُصنٌ من الغصونِ الناطقة
ســاق به الجبــال
إلى مدينــةِ النحاس

وكان من نشيـــدهِ
أن يضرب الجبالَ ويقول :
سيرى يا جبالَ هنـــدية
ود السبع سَرارِى ساق جبالَ هندية
وهـــى تســير
وتقول : كُشو كُشو كُشو

ادريس جماع

# شاعر الوجدان والاشجان

ماله ايقظَ الشجونَ فقاستْ وحشةَ الليل واستثارَ الخيالا
ماله في مواكبِ الليلِ يمشي ويناجي اشباحَه والظِلالا

* * *

هينٌ تستخفهُ بسمةُ الطفلِ قويٌ يصارعُ الأجيالا
حاسرُ الرأسِ عند كلِ جمال مستشفٍ من كل شيءِ جمالا
ماجنٌ حطمَ القيودَ وصوفيٌ قضى العُمْرَ نَشْوةً وابتهالا

* * *

خُلِقَتْ طينةُ الأسى وغشتْها نارُ وجدٍ فاصبحتْ صلصالا
ثم صاح القضاءُ كوني فكانتْ طينةُ البؤسِ شاعراً مثالا
يتغنى مع الرياح اذا غنّت فَيُشجي خَميلَه والتلالا
صاغَ من كلِ ربْوةٍ منبراً يسكبُ في سمعهِ الشجونَ الطوالا
هو طفلٌ شادَ الرمالَ قُصوراً هي آمالُهُ ودكّ الرمالا
هو كالعودِ ينفحُ العطرَ للناسِ ويفنَى تحرُّقاً واشتعالا

مصطفى عوض الكريم

# آمنة أو قصة الحياة

رأيتُها تسير في الطّريقِ وحدَها
حسيرةً كأنّها السُّهى
تمشي ولا يحسُّ مشيَها
كأنها لا شيءَ في الحياة
وفي الطريقِ صِبْيَةٌ يتصايحون يلعبون الكرَةَ
وطائرٌ يُبعثِرُ التّرابَ يلقط الذرّةَ
وأعنُزٌ جوائِمٌ تجتر في كرى
عيونُهُنَّ نصفُ مقفلَةَ
وربّما رأيْتُها في أمْسِها القريبِ وهيَ فتنَةُ البَشَرْ
ومتعةُ النّظَرْ ولا حديثَ للقلوبِ غيرُها
كلٌّ ينادي حينَ تختَفي يا ليتَها تعودْ
لأنّنا... نُحبُّها... نُعِزُّها... نُجِلُّها
وحينما يَفْتَرُّ عنْها بابُ دارِها الصّغيرْ
وتُفْتَحُ الأبوابُ والكُوى
وتلفُظُ البيوتُ أهلَها
مِنَ الصّغارِ والكِبارْ
إلى الطُّوارْ...
وينظرُ الرّجالُ في ذُهولْ
لُعابُهُمْ يسيلْ
وفي قلوبِهِمْ نشيدْ
دقّاتُها الطّبولْ

وحينَما يشاهِدُ الشيوخُ وجهَها يأتلِقْ
كأنَّهُ ذُكاءُ فـى الأُفُـقْ
يُكبِرونَ بارِىءَ الفلَـقْ
ويهتِفـونَ فى تُقَى يُرَدِّدونْ
لله ما أروعَها . . . سُبْحانَ من أبدَعَها
تبارَكَ الَّـذى خلَقْ
وتنظرُ النِّساء فى حسادة لهـا
كلٌ يُسِـرُّ قولَهـا
يا وَيْلَها ، لله ما أجملَها
يا ليتنى خُلِقْتُ مثلَها
وينظُرُ الأطفالُ فى براءةِ الطيورْ
فرْحى يُصفِّقُونَ
وينشُـدونْ
أنشُودَةَ السُّـرور
. . . وفى الطَّريقِ فى رشاقةٍ تسيرْ
تسْحَبُ فوقَ ذائبِ القلوبِ ذَيْلَها
وخلفَها تتبعُها مواكِبُ الكِبارِ والصِّغارْ
كأنَّهُمْ غُبـارْ
. . . وربَّما رأيتُها تُضىءُ فى مَجالِسِ السَّمَرْ
كأنَّهـا قمَـرْ
ومِنْ عيونِ المُعجَبينَ هالَةٌ تدورُ حولَها
إنْ حدَّثتْ فالكلُّ مُنصِتونْ
تكادُ تشرَبُ النفوسُ قولَها
ورُبَّما . . . قاطعَ الصَّديقُ جائراً صديقَهُ
وخاصَمَ الشَّقيقُ ظالِماً شقيقَهُ

مــنْ أجلِهــا
وليسَ في حنانِهِم لهُمْ من الحنان ذرّةٌ
وليس في فؤادِها لهم من الودادِ قطرةٌ
واليــومَ . . . والهفى لها
تسيرُ في الطريقِ وحــدَها
حســيرة كأنّها السُّهى
لوْ لمْ أكنْ رأيتُها منْ قبلُ ما عرفتُها

تاج السر الحسن

# الكــــوخ

ذلك الكوخ ذكرياتٌ تلاشت في طوايا طفولتي وصِبايــا
ذلك الكوخ منزلِي وهنا بالأمسِ كانت معربدات خطايا
كان انشودةً وكنت صداها كنــت لحناً وكان لي هــو نايا
وبقايــا خطوي عليــه تنادِي صارخات الى لقــاء لُقايــا

• • •

ذلك الكوخ في جوانبه امي وفيه اخوتي يمرحُون بين رحابه
وهنا والدي يجــيءُ مع الليلِ . . ليقضي المساء بين شعابه
حيث كنا نقضي الأماسي فرحى في حديث تتيه في خلابه
وأخي جالسٌ يحدق فينا كلما قيــل زاد في إعجابــه
هو طفــل واختهُ مثلهُ ترنــو لحديثي مشغــوفةً مما بــه
وهي لا ترضــى حديثــي حيناً فلها ان تردنِــي لصوابــه

• • •

وهنا جدتي تسوقُ الأساطــير
وتــروي الخــرافةَ السحرية
وهي تلقي على الســرير بقايا
جسدٍ منهك و نفــس هنيّــة
وعلى وجهها الصغير خطــوطٌ
رسمتها يدُ الــزمانِ القويّــه
وعصاها العتيقــةُ الملــويّــه

وارتجافُ الأنـامل المحنيه

• •

كان في سالف الزمان وكانت
قصةُ الحبِّ قصةُ الإنسـان
كانت الأرض تزدهي بالأماني
كان ابن النمير يعشق ليلى
وهي كانت أميرةً للجان

• •

وهنا في شعاب هذا الخيال
عبر آفاق دهره وانشواني
كان يمضي بنا الحديثُ المثارُ
وحنين المجهول يدفع فينا
رغبةً يستزيدها اصرارُ
هكذا هكذا نقضي الأماسي
بهجةً فرحةً علينا تُدار

• •

ثم يمشي النعاسُ في الأهداب
في العيون البريئة المطمئنّه
في الوجوه الحبيبة المستكنّه
ويغطي السكونُ حتى الطريق الرحب
حتى ظلاله المرجحنّه

• •

وتنامُ الطيورُ في الأعشاش

حالمـاتٍ صغـارِها فى الدُجْنّه
بـرؤى الفجرِ بابتسامِ الصبـاحِ
بندى الزهرِ باللحـونِ المرِنّـه

• •

ويطلُّ الفجرُ الجميـل عليـه
وهــو قيثـارةٌ بيُمنَى يـديـه
هو كوخِي الصغير مستودع الماضى
ولَحنِـي الـذى أحِنُّ اليـه
كل ما كان من مشاعِرِى الحرَّى
وخطوى يخطرن فى راحتيـه
وهنا ظلُّ (نيمتِـي) وثـراهُ
يدعوانى إليـه ، يوماً إليـه

# هجرة من صاى

وقفن على الشط كالذكريات
بقلب المعذب والشاعر
وقبّلن أمي في وجهها
ولوّحن للمركب الزاخر
وعمي يبلل رأسي الصغير
بريق الفم اللاهث الغائر
ولحيته شوكت وجنتي
وداعب شاربه ناظري !
وقال وفي مقلتيه دموع
نزلن غزاراً على خده
وفي قلبه أمنيات حيارى
يناجي بها الليل في سهده !
بنيّ إذا ما وصلت بخير
وأعطاكم الله من عنده
فقل لأبيك تذكر أخاك
تذكره دوماً . . على بعده !

• • •

كهول على الشط تحت النخيل
كأشباح اسطورة ساخره
روتها المياه إلى الشاطئين

مياهٌ ، مقهقهــةٌ ثــائـره
وشيــخٌ يحملــقُ فــى الواقفــين
وروحٌ تحــوّم فــى القــاهــره
وخلف النخيل .·. على البعــدِ ترنو
بيــوتٌ مبعــثرةٌ خــائــره !

• • •

وحــين تعــالى شــراعُ السفــين
ليهتِــكَ ستْــرَ الفضــاءِ الرحيب
ترقرقَ فى العــينِ دمعُ القلــوبِ
وثمّ عــويلٌ ، وصــوت رعيــب
وعمــى يشــيرُ بكلتَــا يــديــهِ
وأمّــى تردُّ بطــرفٍ كئيــب
وغــابَ بنــا مــوكبُ الراحلين
كخاطرةٍ فى ضميرِ الغيــوب ! !
أمانِ تُداعِــبُ قلــبَ الغــلام
وأمــى تُنغِمهَــا كــل حــين
ففى مِصــرَ فاكهــةُ البــرتقالِ
وفيهــا لــذائــذُ لــلآكلــيْن !
قصــورٌ تطــاولُ سحبَ السمــاء
وتَسلُــب فى مرتقَــاهَا العيــون
ترقُــص مصرَ بــأنــوارِهــا
وانــوارُهــا تسحــرُ النــاظِرين

• • •

ورُحــت ألوّنُ هــذا الخيــال
بــريشــةِ أحــلامِــى المبدعَه

أظلّ في خاطري صورةٌ
مجسدةٌ لأبي ، بارعه !
ولما تعالى صفيرُ القطار
وزمجر كالقصفةِ المفزِعه
جريتُ وأمي بدتْ مسرِعه
تساهم في الضجةِ الممتِعة

. . .

رِكبنا القطارَ فيا للهناء
ويا للعناء . . . عناء السفر !
ورحت أحلّقُ بين الحقول
حقولٌ ! . . . وشيء يثير الفكر
فأين نهايةُ هذي الزروع !
عجبت . عجيبٌ أيجرِي الشجر ؟؟
وساءلت أمي في لهفة
فردّت عليَّ بروحٍ ضَجِرَ

. . .

وكان عناقٌ . . . وكان بكاءْ
فيا للأسى . . ليلةٌ دامِسه
وعمي . لقد مات عمي هناك
لقد مات فوق حطام جديب
ونحن أقمنا له مأتماً
هنا في الصدور . هنا في القلوب
ونحن حفَرنا على أعظمِ
نمزقها في الأسى والشحوب
حفرنا عليها حروفا تنير

شعابَ الطريقِ لروحٍ غريب

• • •

ومن فمْ آبائنا قد رضِعنا
أغانِي الجحيم ونَوْحِ اللهيب
وإنّا سنرجِعَ يا صاىَ يوما
نعمِّرَ أكواخنَا والدروب

محمد الفيتوري

# ياقوت العرش

دنيا لا يملكها من يملكها
أغنى أهليها سادتها الفقراء
الخاسر من لم يأخذ منها
ما تعطيه على استحياء
والغافل من ظن الأشياء
هي الأشياء !
تاج السلطان الغاشم تفاحه
تتأرجح أعلى سارية الساحه
تاج الصوفي يضيء
على سجادة قش
صدقني ياياقوت العرش
أن الموتى ليسوا هم
هاتيك الموتى
والراحة ليست
هاتيك الراحة

* * *

عن أي بحار العالم تسألني يا محبوبي
عن حوت
قدماه من صخر
عيناه من ياقوت
عن سحب من نيران

وجزائر مــن مُرْجانْ
عن مَيْتٍ يحمل جثتــه
ويهرول حيــث يموت
لا تعجــب ياياقــوتْ
الأعظمُ من قدرِ الإنسان هو الإنسان
القاضي يغزل شاربَه لمغنيةِ الحـــانه
وحكيمُ القريةِ مشنوقْ
والقَرَدَةُ تلهو في السوقْ
يا محبــوبــي ..
ذهبُ المضطرِ نُحــاسْ
قاضيكم مشدودٌ في مقْعَدِهِ المسروقْ
يقضـــي ما بـــين الناسْ
ويَجُرُّ عباءته كِبْراً في الحبانه

* * * *

لن تُبْصِرْنا بمــآقٍ غير مآقينــا
لـــن تَعْــرِفْنــا
ما لم نجذبك فَتَعْرِفَنـــا
وتكاشِفَنَـــا
أدنى ما فينا قد يعلُونا ياياقوتْ
فكـــن الأدنـــى
تكـــن الأعلى فينـــا

* * *

وتَجِـــفُ مِيَاهُ البحـــرْ
وتقطعُ هجرتَها أســرابُ الطيرْ
والغـــربال المثقـــوب على كتفيك

وَحُزْنُكَ فـى عينيـك
جبـال
ومقـاديـرُ
وأجيـال
يا محبـوبـى
لا تبكينـى
يكفيـك ويكفينى
فالحـزنُ الأكبرُ ليس يُقال .

صلاح أحمد ابراهيم

# فى الغربــة

( انفعالات شخصية )

الى عبد الله الصومالى واخوته فى الغربة أقدم هذه القصيدة :ـ

هل يوماً ذقتَ هوانَ اللون
ورأيتَ الناسَ إليك يشيرون ، وينادون :
العبدُ الأســود ؟
هل يوما رحتَ تراقب لعب الصبيةِ فى لهفه
وحنــان
فاذا أوشكت تصيح بقلـب ممتلىء رأفة :
ما أبدع عفرتــة الصبيان !
رأوك فهبّوا خلفك بالزفــه :
عبــدٌ أسود
عبــدٌ أسود
عبــدٌ أسود . . ؟
هل يوما ذقت الجوعَ مع الغربة
والنوم عــلى الأرض الرطبــة
الأرضِ العاريــةِ الصلبه
تتوسد ثنْيَ الساعدِ فى البردِ الملعون
أنى طوّفت تثير شكوكَ عيون
تتسمع همسَ القومِ ، ترى غمزَ النسوان
ويحــدّ بنــان
يتغور جرحُك فى القلب المطعون

تتحمل لونَ إهاب نابٍ كالسبّه
تتلوى فى جنبيك أحاسيسُ الانسان
تَصيح بقلــب مختنق غصان :
واذلّ الاســود فى الغربه
فى بلد مقياس الناس به الألوان !

• • • •

أسبــوع مرّ وأسبــوعان
وأنا جــوعان
جوعان ولا قلب يأبَهْ
عطشان وضنــوا بالشُربَه
والنيــل بعيــد
النيــل بعيــد
الناس عليهم كلٌ جديد
وأنا وحــدى . . .
منكسرُ الخاطر يومَ العيد
تستهزىء بى أنوارُ الزينةِ والضوضاء
تستهزىء بى أفكارى المضطربة
وأنا وحــدى . .
فى عزلة منبوذٍ هنــدى
أتمثل أمى ، اخوانى ،
والتالى نصف الليل طوال القرآن
فــى بلــدى
فى بلد اصيحابى النائــى
الاعصم خلف البحر وخلف الصحراء
فى بلــدى

حيث يعزُ غريب الدار ، يُحَب الضيف
ويخص بآخر جرعةِ ماء عزّ الصيف
بعشـا الأطفال
«بليل ، ، البشرِ والايناس اذا ما رقّ الحال(١)
واخذت أغنى فى شَجْوٍ ، ألمى ظاهر
يا طيرَ الهجرة . . يا طائر
يا طيراً وجهته بلادى
خذنى بالله أنا والله على أهبة
قصت أقدارٌ اجنحتى
وانا فى زاوية أتوسدُ امتعتى
ينحسر الظلُ فأمضى للظلِ الآخر

• • •

لكن الطير مضى عنى
لم يفهم ما كنت أغنى .

---

(١) فى المثل السودانى « بليـلة المبشر ولا ذبيحة المكشر » وفى بعض الأماكن بمديرية كردفان بغرب السودان تقر المياه وتشح الى درجـة تضطر الى جلبها من أماكن بعيدة وحفظها كأندر ما يكون شىء واستعمالها بتقتير .

« الشاعر »

صلاح أحمد ابراهيم

# الحاجة

ما سألنا وما أخبرتْ ـ ليس ذاك بهامْ
لنا ، وحسبَنا ـ تعالْ ـ لها
إنها وكفى الحاجّه
ذرَعَت كلّ افريقيا تعبرُ
النهرَ والقفرَ سابحةً في الزحام
وتقيمُ وما من مُقَام
ريثما تنطلق
أى ريحٍ رأت فى الحدود
قيود
إسألوا « الحُرمتان »
أى سحب فى الجمارك أو فى
الجنود
سدود
تقيدها بمكان
وطيورٌ مهاجرة ، سربُها كلُ عام
يصدر
هل قضت موسما رائعا بالورق
أو تصدت لرحلتِها بائتذان
فمضت فى الدواوين يأمرها آمر
« انتهى يومُنا فى غدٍ بكروا »
واحضروا ما يسهّل . . أو فاصبروا

رب قوم عــزاز
صبَرَوا ثم آبو بغيرِ جواز
وكذلك . .
كالريح ، كالسحبِ ، كالطيرِ
ليس لها من لجام
ذرعت كل أفريقيا وهي لا تفتر
وسواكنَ وجهتها بَحرْها الأحمر
فالحجــاز
انها الآن في شارعٍ من مدينتنا
فانظــروا
ها هي الحاجّة

• • •

ربطت طفلَها بحزام
على ظهرها ـ وجههُ الأغبر
عظمةٌ نتأت من عظام
مائلٌ رأسُه الضخم : فرخُ نعام
تطلّع من بيضه دهشا ، أو كما
يفعل الكنغــر
وسعت في الطرق
يا ترى ما اسمُها ؟
يا ترى أي همّ
جال في جنبِها وهمٌ أم
طفلها في الــرضاع
جائع ، وهي لم . .
لا يهمّ . .

إنها الحاجة

• • •

العَنَا على وجهها المستطيل
أمر مُطــاع
والألــم
صامدٌ ، صامدٌ ، وأصيل
وهي صَامتةٌ لا تنِمْ
كفنْت وجهَهَا بقناع
كَفَنَها كالقَدَم
ذات شق بجانب شق
كبقايا نَدَم
في فؤاد نبيــل
حملت فوق هامتِها ـ حملَها
في تحدٍ وفي كبرياء
ومَضَتَ ترتزق
فرَشَت عند هجليجة فولها
والنَبَــق
تملُكُ الصبرَ في جانبي فمها احمرار
وأتاها الصغــار
بعد طول انتظار
ملأوا ظلها ضحكا وغبار
يتدافر جمعُهم حولها وبهم لم
تضِــقْ
قلبَهــا مؤتلقْ
انهــا الحاجة

هَمْهَمَت بالسلام
مال صاحبُنا وهو ذو شبهةٍ وملام
ولَبَقٍ في الكــلام
وشَبَــق
كل انثى لَديه طعام
سائغ والنساء لديه سواء
في الظــلام
قال مثلَ مرابي لها غامزاً في ابتسام
ومَصَتْ منه ناب
بلعــاب . . .
ادخلي ، خلف بابي المرام
ادخلي ، ادخلي
فاجابت بصوت حييّ : حرام
انني حاجّة

* * *

رفعت الذراع المدقْ
مسَّ نعلَ السحاب
وهوت لتدق
وتدق . . . تدقْ
سال فيها عرقْ
ظهرها بعذاب نطقْ
وهي منهمكة
كل ما تشتهي كسرة ومرقْ
بعد أن ينتهــي
يومهــا في الصيام

لقمــةً وأدام
ثم تفترشُ الأرضَ نائمة وتنام
بعد ذاك الــرهقْ
إنها الحاجة

* * *

نقرت بابَهم فى أملْ
تتساءل هامسةً عن عملْ
فأطلت لها إمرأة ذات صدرٍ جهام
وكفــل
مستقل ، مهيبٍ ، ثقيل
كلما حركته احتفل
واشمخر بها فتميل
ادخلى فلدينا « غسيل »
دخلت ورنتْ فى قلق
الملابس مردومة كالجبل
والملاءات فى كومة لو جمل
حملوه بها لنفق
وهى لا تعترض
كلهم يفترض
إنحنت فوقها باركة
صبت الماء يغلى وبالقدمين مضت
داعكــه
وبكــى طفلها لم يــذق
لبنا ، ثديها محترق
نهرته مراطنة فاستنام

وأتوا بمزيد لها – لم تقل
كثير . . فكل كثير قليل
على ( حاجةٍ ) مثلها ذات ثوبٍ خلق
وجســمٍ نحيــل
يصنــع المستحيل
لو انفلق الصخرُ لا ينفلق
وعنــد الــغروب
نفحوها الذى يتفق
حزَمت طفلَها فى شحوب
وانثنت لتــؤوب
هالكــة
فى أزقتنا الحالكة
وانها الحــاجة

* * *

فى الطريق لها سنوات
خِدْنها فى الملامة مات
دفنته وسارت ، كأن لم يكن
عزمها لم يخُــن
فلديهــا أمل
عاش فى صدرها واعتمل
فى سمــوم الشقاء
فى هجــير الشقاء
فــى فيافــى الشقاء
بالدعــاش اصطفق
فــى غمــام بــرق

جاش مستمطرا واكفهر وكرَّ لما هطل
أينعــت بعزاء
كونها حاجــة

* * *

فاذا أقبل الليلُ والكون مات
وحان السبــات
ودهدهها الكد فى عرَصَات الشتاء
وكف ابنها عن بكـــاء
رأت نفسَها ضيفة الله ، والله قدامَها
عــلى عرفـــات
تمد اليه العنق
وترفع وجها من البؤس يشبه
باطـــن أقدامها
وكفين مثل العريضة ِ محفورتين
بـــآلامها
بأبلغ مما تقول اللغات
تقول له سيدى قد وصلت وما بى سوى
أن ترانى وترضى . .
أتيتك من آخر الأرض ِ اقطع ارضاً
بغير دليل وأذرع ارضا
واحتمل الجورَ والافتئات
وكل عسير ٍ سوى ان أضيع فرضا
وها أنا سيدى ها أنا . .
هاهنا لديك ، وتبكى فيسقط عنها
القنــاع

وتهوى على الترب خامشة
تراعش في صرعة والتياع
كجارية نهش النوء منها الشراع
تغوص وتطفو على لجة ويدفعها
الموج دفعا لقـــاع
تقول وتخبط قبضها الصخر ،
ها أنا ذى قد وصلت ، وصلت
وينقطع القول عنها ، تتمتم تبحث
عنه وتلهث ثم تترجم . .
تمسك بعضاً وتفلت بعضاً
ويعوزها فتشير كبكماء تنزو
المشاعر فى قلبها كالدخان الحبيس
مثارا ، تدمدم ، تهتف بالعبرات بغير لسان ،
تسلسل بالدمع قصة ذاك الصراع
وتجهش فى حرقة تغتلى بالمعانى
ومن بين كل الألوف الوقوف
يرى الله سوداء جاثية فى اتضاع
بلا هيبـــة أو متاع
يرى الله إمرأة أجنبيه
بها عجمـــة وعيية
دميمة وجه يداس عليها وينهرها
القوم فى غلظة : اغربى يا وليه
تغمغم أعينها بالدموع ينابيع فى
الصخرة ثرة
بها لهفة وتلاش عميق وبعض اكتئاب

وبعضُ مسرّة
كنفخ على البوق فى موطن
سحيق بليل عميق ضنين الشعاع
وقد رقص القوم من أهلها
نشاوَى ولكنهم فى ضياع
دُمى فى ضلالتهم سارحون
أسارى وفى قيدهم يمرحون
تقول إلهى تركت لك العشيرة
اذ أنت أهلى وجاهى
قصدتك عبر الخطوب الدواهى
شققت إليك الفــلا والضياع
أتيتك ظامئةً فى الظماء اتيتك
جائعة فى الجياع
أتيتك يسخر بى الساخرون أتيتك
يمكـــر بى الماكرون
أتيتك عبر اغترابٍ مذل أُهان به
تارةً وأهـــون .
وها أنا يكفى بأنى لديك وانى هنا
يا عظيم الرجاء
وإنى انتصرت على شحٍ نفسى
وانى انتصرت على الآخرين
وانى ركبت اليك الملامةَ
لأنك أنت المنى والسلامة
وأنى على قدميك ارتميت وأنت
الكريم فهل لى كرامة

ومـــر ما تشـــاء
ومن كل راكبِ سباحة فى الفضاء
ومن هو أعتى من الأعتياء
ومن عاج يبحث فى سوق مكة عن
بيعـــة أو شـــراء
ومن حال فى موكب الفاتحين
ومن كل أبيض خدٍ نضير ومن كل
فاغمِ عطـــر بدين
ومن دون الألوف الوقوف
صفـــوفا وراء صفوف
ومن دون طائف بيت وساع
يراها ، ويعرفها ، ويهشُّ لها ،
ويخاطبها باسمها وهو أحفَى بها
انهضى يا فلانة إنى إليك امد ذراع
سمعت الذى قلته والذى لم يَوات
وما هو من ذاك أخفـــى
يناغم لطفا ، صلاة وزلفى ، وحباً
تخنى ، فازهر كالروض بالحسنات
وما كنت وحِدك حين صبرت
انتصرت فى الامتحان
وفى الليل بعد البلاء الرهيب
وحين طغى ظالم وأهان
واذ نَهروك واذ شتموك واذ تركوك
بغـــير أمان ،
وحين بكى الطفلُ يوم بكيت وقد

مات والده فى الطريق الى
وفى البحر إذ أوشك الموج أن
يحتويك فلم يحزنوا واتكلم على ، واذ
ظل قلبك تلقاء مكة يسبح فى النور
والناس غرقى سديم
يخاطبنى بالذى يستطاع وذاك
العصى الذى لا يواتى
تقطع كالبرق فى صلوات
كمطلع شمس وراء الشموس
بإيماضة فى الزمان القديم
هنيئا . . ويرفعها قربه فى النعيم
المقيم
بما صبرت فى حياة الجحيم
إنها الحاجة . . . .

مصطفى سند

# الكمنجات الضائعة

وطرحت قوسَ كمنجتى جسراً ببحرِ الليل
ثم هويت للقاع
متورمُ العينين تنبضُ عبرَ أسماعى
طبولُ العالم الهدّار : لا تأسى لمن فاتوا
فبعض مساكنٍ تبقى وبعض مساكنٍ تنأى
فتُدنيها المسافاتُ
تعلّم وحدك التحديقَ نحو الشمسِ والمقلِ النحاسية
مرايا تخطف الأبصارَ لكن ليلَنا الصاحى
وشرفتَنا المسائية
على عينيك ، فوق رموشك التَعْبى ستاراتٌ ستاراتُ
يضوعُ بنفسجُ الرؤيا وتخضرُّ النجيمات
بكلِّ أناقة الدنيا ،
تمدّك بالظلالِ الزرقِ بالنغمِ الذى يهتزّ فى الريح
بدندنة الأراجيح
بساعاتٍ يظلّ الشعر يلهث فى مراكِضها ويطويها
ويسكب روحَه فيها
ويحلب قلبَه المطعونَ فوق دروبِها العطشى ليرويها

• • •

وأهتف أيها المثال كالأمطارِ أين زمان تلقانا
بساح الجمرِ نحرق فى سبيلك سوسناتِ العمر
نضرع ، ثم تأبانا

لعلك يا عذاب الليل كنت تزورنا كرهاً
وترحل قبل أن تأتى
ونحن نمزّق الأعصاب ، نسمع دمدمات الوحى
خلف ستائر الصمتِ
ونرقب ساحة الميلاد ، ببرق خلاصنا
المرصود بين الآه والآهِ
تفرع أيها المنقاد وجهك فى دروب الأمس
كان الآمر الناهى
أنا المحروم من دنياك لما غامت الرؤيا
ولفّتنى المتاهاتُ
سقيت الناس من قلبى ، حصاد العمر ،
ذوب عروقى الوهى . . بأكوابٍ من النورِ
أقبل كل من ألقى على الطرقات ،
من فرحى وألثم أعين الدورِ
كمنجاتى التى ضاعت تردد صوتها
المخمور يهدر فى بحار الليل ، يهدر كالنوافيرِ .

محي الدين فارس

# بـــــلادى

لأولِ مره . . . .
أحِسُ بأنى حرٌ . . . وأن بلادىَ حُره
وأن القيودَ التى عذبتنى وأدْمت يديا
القتْ سلاسِلها الصدِئاتِ لدى قدميا
وأن بلادَ الكنوزِ . . . بلاد الكنوز الغنيه
بـــلادى
ستفتحُ أبوابها للضياء
لتغرسَ قطرَة
فتحصد أجيالُنا ألفَ قطـــره
إذا الفجرُ مدَّ الجناحـــا
وألقى على الشاطئينِ الـــوِشاحا
فحتـــى الأجنــّـه
سمعتْ أغاريدَها فى الدُجْنَه
تُطِلُ إلى غدِها مُطمئنــــه
وحتى الـــرعاةُ . . رعاةُ شواطِئكِ المخملية
وحتى أنين سواقيك تلك التى عذبت مسمعيا
أضحى غناءً .. غناء يُصافِحُنى فى العشيّة
وحتى كهولُ القرى المقعدُون
تندّت عيونُهُم بالأغانى الشجيه
بلادى أنا . . يا بلادَ الكنوز الغنيه
تفتحت مثل انطلاقِ العبيرِ تحدّرَ من شفةٍ بُرعميه
كلُؤلؤةٍ ساحليـــة

كأجنحةِ الطيبِ رفّتْ مع النَسمَاتِ النديه
لأول مــرة
أحِسُ بأني حرْ . . وأن بلادىَ حرُه
وأن سمائــىَ حــرّه
فلا طيرَ فيها غريبٌ يناوئ نَجْمِــي
ولا طيــفَ غـيم
وان الطريقَ الذى رصفَناهُ يوما جماجِــم
سنغسلُــه بالعبــيرِ ونفرشُه بالبراعم
وشــدْوِ الحمــائم
اذا الفجرُ مــدَّ الجناحَــا
وألقَــى على الشاطِئين الوشاحَــا
بلادى أنا . . يا بلادَ الكنــوز الغنيه
تَمُدُ يداً مثل قلبِ النجوم . . بيضاء مثل صفاء الطويّه
إلى كلّ شعبٍ مضى صاعداً إلى النبعِ بين الجبالِ العتيّه
فأغرودةٌ من بلادِ الجنوبِ تعانِقُ أغرودةً آسيويه
فتحنا النوافِذَ يا فجرُ فانثرْ ضفائرَك البيضَ والسوسَنيه
وبعثِر على عتباتِ الطريقِ أغاريدكَ الحُلوةَ الشاعريّه

النور عثمان أبكر

# المنفى والمملكة

لم أهجر يوما دارَ أبي
لأهيم بكهفٍ في الصحراء
أتدثر ما نسجته أكفُّ الريحِ على منوالِ الصمتِ
وأطعم من مائدةِ الـرب
وأصيخُ السمعَ وأنشرُ ساريةَ الأبصار لعلَّ الدرب
يتمخضُ مهرا يطوي بي ، في غمضةِ عينٍ ، كل جواء الدنيا
والآخرةِ المرجوّةِ والـرؤيا
واذا ما عدتُ بسطتُ لكم سرَّ اللقيـا
وحلفت بخطِّ الشيبِ برأسِ أبي ، وبحرمةِ أمي :
أنَّ ملاكَ الربِ أتانـي ليلا
شق الصدرَ وغرّق في بحر دماي أناملَهُ
فانتزع الخوفَ وريحَ اللعنةِ ، فكَّ لجامَ لساني
عمّـدني
وأراحَ جبينـي ، حرّرني
من قهرِ الحاجةِ والـزمنِ
ورويت لكم ما تعيا عنه الفطنة ، تعيا عنه الحيلُ المطلية
من أني شارفتُ رفاه الأبدية
في حضنِ الشفقِ الأبدي سُقيتُ الخمرَ بأكوابِ الفضة
من أيدي الولدانِ الغضـة
ندمائي رُسل المشرقِ والمغـرب
ما بحَّ اللحـن ولم نتعب

ولأن الخمرَ بها أنهار
والحورُ العينُ تروح ، تجيء بغير إزار
أغواني الظلُ ، فأقصيتُ

* * *

قدستم رفقة : دار أبى
مهدى ، منفاىَ ومملكتـــى
فيها عانيت مجاهيلَ المحظورِ ، وجئت أعمدكم .

محمد المكى ابراهيم

# بعض الرحيق أنـــا والبرتقالة أنت

الله يا خلاسيه
يا حانةً مفروشةً بالرمل
يا مكحولةَ العينينِ
يا مجدولةً من شَعرِ أُغنيـــه
يا وردةً باللـــونِ مسقيّـــه
بعـــض الرحيقِ أَنـــا
والبرتقـــا لـــة أنـــت
يا مملوءة الساقين أطفالا خلاسيين
يا بعـــضُ زنجيّـــه
وبعـــض عـــربيّه
وبعض أقوالى أمام الله

* * *

من اشتراك اشترى فوحَ القرنفل
مـــن أنفاسِ أمسيـــه
أو السواحلَ من خصرِ الجزيرة
أو خصـــرَ الجـــزيره
مـــن مـــوجِ المحيط
واحضـــانِ الصباحيّـــه
من اشـــتراك اشترى
الجـــرحِ غِمـــداً
وللاحـــزان مرثيَـــه

من اشـــتراك اشترى
منـــى ومنـــكِ
تــواريخَ البكـــاء
وأجيـــالَ العبـــوديه
من اشتراك اشترانى يا خلاسية
فهل أنا بائعَ وجهـــى
وأقـــوالى أمام الله .

. . .

فليسألوا عنكَ أفوافَ النخيل رأت
رمـلاً كرمـــلك
مغســـولاً ومسقيـــا
وليسألوا عنك أحضانَ الخليجِ متى
بعـــض حسنـــك
أغرى الحلـــمُ حـــوريه
وليسألوا عنك افواجَ الغزاةِ رأت
نطحاً كنطحك والأيام مهديه

. . .

ليســـألـــوا
فستروى كلّ قُمـــريه
شيئـــا من الشعـــر
عن نهديكِ فى الأسحار
وليســـألوا
فيقول السيفٌ والأسفار .

يا برتقالة
قالوا بشربونَك
حتى لا يعود بأحشاء الدفاق رحيق
ويهنكون الحِمَى
حتى تقوم لأنواع الفواحشِ سوق
والآن راجوا
فظلَّ الدنُّ والابريق
ظلت دواليكِ تعطى
والكؤوس تدار .

• • •

هزّى اليك بجذعِ النبع
واغتسلى
من حزنِ ماضيك
فى الرؤيا وفى الاصرار
هزّى اليك
فابراجُ القلاعِ تفيق
النحلُ طافَ المراعى
وأهداك السلامَ الرحيق
الشرقُ أحمر
والنعمَى عليك إزار
نجرى ويمشون للخلف
حتى نكملَ المشوار

• • •

طاف الكرى بعيون العاشقيك

فعادوا منــك بالاحــلام
ما للعــراجينَ تطْــواح
وليس لأطيار الخليج بِغَـام
النبعُ أغفى وكلُ الكائناتِ نيام
الا أنــا
والشــذَى
ورماح الحارسيك قيام .

* * *

متــى نجاوزتهــم
وثباً إليـك أجِيء
شَعــرى بلَيــل
وحُضنى بالورودِ مــلىء
فلتتركى البــابَ مفتوحا
وحظى فى الفراش دفــىء
ولتلبسى لى غــلالاتِ الشذى
وغناء النبــع والاشجار
فلى حــديثٌ طــويل
مع نهديــكِ فى الأسحار .
يا بــرتقالة
ساعات اللقــاء قصار

* * *

تأمليني قليلا فالصباح أطَلْ
البحــرُ ســاجٍ
وتحفافُ النخيلِ غزَل

وبركةُ القصرِ بالنيلوفر ازدحمت
والنحل أشبعَ كاساتِ الزهورِ قُبل
وانني الآن أزهى ما أكون
وأصْبى من صِبَـاى
ومكسياً من النورالجديدِ إزار
تأمليني فإنّ الجَزْر أوشك
– إني ذاهب –
ومع المدّ الجديدِ سآتي
هــل عرفتيني ؟
في الــريحِ والمــوجِ
في النــوء القــويّ
وفي مَوْتي وبَعْثِــي سآتي
فقولي قد عــرفتِيني
وقد نَقَشْتَ تقاطِيعِــي وتكوِيني
في الصخرِ والرملِ ما بين النراجين
وإني صرتُ في لوحِ الهوى تذكار
والآن
لا شابعاً من طيبِ لحمك
أو ريّان من سكبِ نهديك أمضى
فأوعديني أن ستــدعوني
الى فراشك ليلا آخــرَ
وتطيليــه عليّ بشعرك
فــي زنــدِي
ولونك في لوني وتكويني
فَنِيتُ فيك فضميني

الى قبورِ الزهورِ الاستوائيـــه
الى البكـــاء
واجيـــالِ العبـــوديه
ضُمّي رِفاتِـــي
ولفّيني بـــزندك
ما أحـــلى عبيرك
ما أقـــواك
عـــارية وزنجيـــه
وبعـــض عربيـــه
وبعض أقوالى أمام الله

عبد الرحيم أبوذكرى

# البوابة والدم

قال طيرٌ حزين
افتحوا لىَ بوابتى المغلقه
افتحوا لِى ، افتحوا لِى !
دثِّرونى بريشى القديم
زمِّلونى بحلمى المشيم
غير أن الطيور الكبيرة
الطيورَ الجسورة
نفضت ريشَها ثم طارت
والسماوات فارَت وغارت
وتلاطَمـت الأنجمُ
وتفصّد منها الدم
وتعطل بَحر الظلام
فوق ذاك الحُطام

• • •

وَجِمَ الطير فى بردِه واعتداده
وتغطى بوحدتِه وانفرادِه
وطويلَ سُهاده
حالماً أن يطير ولكن بلا أجنحة
أن يسود الفضاء ولكن بلا أسلحة
أن يطوفَ طويلا
فى بروج السماء طويلا طويلا

محمد عبد الحى

# سمندل فى حافة الغياب

(١)

لو ضاع فى نزوعه البحرىّ ، فالعبابْ

ـ عبر زمان البحر ـ والملحُ سينحتان من عظامِه المبلّوَره

حدائقاً من صدَفٍ تضىء فى صيفِ الليالى المقمِرَه

على رمـالِ ساحِـل الغيـابْ

(٢)

وهى على مِنسجها مُنتظـره

تسير بالزّمان للأمام مرّة ، ومرّةً تعود بالزّمان القهقرى

لبرهةٍ تضىء خارجَ الزّمان حيث تلتقى

ببرهةٍ الغربةَ برهة الإيـابْ

(٣)

كنّ يغنّينَ على الصخرةِ ، والجدائلَ المنتشره

أزهارُ فسفـور على الخليـجْ

الجسدُ الأخضر مسقىٌّ بلون البحرْ

ومشبعٌ بعسلِ الزّنابق المسمومة الأريجْ

(٤)

فى الحلمِ الرافـع فى الليلِ مرَايا الماءْ

غـريبة النقوش والأسمـاءْ

كان يرى النّحلَ الذى يزحم مشغولا جذوع الشجر القديمِ ، والجذورْ

تمص لحمَ الأرض فى شهوتها الطّينيةِ العمياءْ

(٥)

وحينما أجهَشَ صوتُ الموجةِ المنحسره
كان يرى الطيورَ فى الصّيفِ إلى أعشاشها المبعثره
تعود ؛ والدمَ الذى يزبد ، فى حضوره الأنقى ، على التراب
ووقفة السّمندلِ ، المبتلّ بالنّار ، على الصّخرةِ فوق حافة الغياب .

(٦)

وهى على مِنسَجِها منتظـــره
فى الصّمتِ ، بَعد آخر الليل وقبل أوّلِ النّهار
تنصتُ للحــوار
يُمعن بين البحرِ والأرضِ بصوت اللغةِ القديمه
اللغة الأقدم من مجادلات النّصرِ والهزيمه
الأقدم الأنقى من الهجرةِ والإياب فى مرافىء الأسَى والانتظار
فى العدمِ السّاكنِ ، بين لغةِ البحرِ وشكل النّار

# الباب الثالث :

## « القصص »

معاوية محمد نور

# المكــــان *

(قصــة تحليليــة)

**مقـــدمة :**

حينما فرغت من كتابة هذه القصة رأيت واجبا على أن أعين القارىء العربى على فهمها ، لأن هذا الضرب من التأليف القصصى حديث العهد حتى فى أوربا نفسها ، وهو آخر طور من تطورات القصة التحليلية ، وفيه ولاشك صعوبة للقارىء ، خاصة إذا لم يكن ذلك القارىء واقفـا على هذا اللون القصصى فى الآداب الحديثة فأقول :

هذا النوع من الفن القصصى ليس من مهمته تصوير المجتمع ولا النقد الإجتماعى ، ولا إستجاشة الاحساس والعطف القوى على الخلائق ، وليس من مهمته أن يحكى حكاية ، وإنما هو يتناول التفاعلات الداخلية فى عملية الإحساس والتفكير عند شخص من الأشخاص ويربط كل ذلك بموسيقى الروح وإتجاه الوعى . كما يعرض لمسائل الحياة العادية المبتذلة ، ويشير عن طريق الإيحاء إلى علاقتها بشعر الحياة ومسائلها الكبرى . وهو يعرض لذلك الجانب الغامض فى تسلسل الإحساسات واضطراب الميول والأفكار وتضادها فى لحظة واحدة من الزمان عند شخص واحد من الأشخاص . كما أنه يصور ما يثيره شىء تافه من ملابسات الحياة فى عملية الوعى وتداعى الخواطر ، وقفز الخيال ، وتموجات الصور الفكرية . هذا اللون القصصى – والحالة كما وصفنا – يعرض لأدق المسائل العلمية السايكولوجية المظلمة حتى للعلماء أنفسهم ، ويمزج ذلك بنوع من الشاعرية والغموض العاطفى ، ويخرج من كل ذلك تحفة فنية حقا . ويغلب فى كتاب هذا النوع القصصى أن يستثيروا

* جريدة مصر – ١٠٣٢٤ العـــدد – ١١ نوفمبر ١٩٣١ .

نفوسهم ويكتبوا من معين حياتهم . فكأنهم يترجمون لأنفسهم مع بعض الزيادة والنقصان وتغيير الأمكنة والأزمان والأسماء. هذا النوع إنتشر فى أوربا وعرف منذ عشر سنوات تقريبا حينما أخرج « مارسيل بروست » الفرنسى روائعه القصصية كما أنه عرف فى أتمه وأحسنه عند « كاترين مانسفيلد » و « فرجينيا ولف » من كتاب الإنجليز . ونود ولا شك أن يكتب وأن يعرف فى وادى النيل ) .

* * *

فتح مذكرته التى يدون فيها خواطره وأسماء الموضوعات التى يود الكتابة عنها فقرأ فيها أسماء هذه الموضوعات : (١) حماسة شاعر عصرى (٢) هكذا نحن ! (٣) حرفة الكتابة (٤) الأولاد الأشقياء فى الليل (٥) إحساس بالمكان . ووقف عند هذا الموضوع الأخير يديم النظر فيه ويفكر متى كتبه ؟ إستجاش إحساسه بالمكان . فذكر أن للمكان من كل ظاهرات الوجود النصيب الأوفر من خـيـاله وإحساسه . وإستولى عليـه شعور قوى يدفع به لتدوين ما يحسه تجاه المكان . لكنه شعر أن الموضوع مترامى الأطراف متشعب النواحى لا يستطيع صهره وتركيزه وتبويبه على الوجه الذى يرضيه ! وكيف يستطيع ذلك والموضوع شائع فى كيانه شيوع النور فى الفضاء كله . وعلى كل حال إبتدأ بالطريقة الزمنية فى توضيح المـوضوع ولم أطرافه واستعراض صفحة حياته من طفولته إلى عهده الحاضر .

فذكر أنه وهو طفل صغير لم يتجاوز الرابعة من العمر ؛ كان قد أخذه والده إلى بيت زوجته الثانية لكى يلتحق « بالخلوة » هناك . وبقى زمنا فى ذلك المكان ، كانت أعجب الظواهر العقلية عنده أنه حالما يستيقظ من النوم مبكرا على صياح الديك يذكر أهله وبيته . لكن شيئا واحدا أعجب له وظل يعجب له طيلة إقامته هناك ، وهو أنه خيل إليه أن عنده مفتاحا سحريا يعرض أمامه السوق التى كانت تقع بالقرب من بيتهم فى كل حركتها وصخبها وحيويتها ولم يبق له كى يصدق خياله إلا أن يشترى من ذلك البائع

أو يضرب ذلك الرجل ! ! فلما كبر قليلا ظن فى نفسه أ نهذه الظاهرة غريبه فيه وانه يجدر به أن يسأل الناس إذا كانوا يحسون ويتخيلون مثلما يحس ويتخيل . لكنه لم يفعل ولعل شيئا من الإشفاق على نفسه والخوف من الضحك عليه منعه من ذلك السؤال .

وكبر « مجدى » فأدخله والده المدرسة الإبتدائية فكان يرى حوائط المدرسة حينما تقترب العطلة الكبرى باهته شائخة ويعاوده شىء من الإشفاق عليها ، فلا يترك المدرسة يوم العطلة إلا بعد أن ينظر إلى كل حائط وكل شق ويذرع الحوش ثم يودعها ويلبث ينظر إليها وهو فى الطريق إلى أن تغيب عن نظره . . . !

ثم راح « مجدى » إلى المدرسة الثانوية فى الخرطوم ، فكان وهو فى حجرة الدرس يكتب أو يستمع إلى المدرس تقفز به ذاكرته من غير أن يشعر إلى خرائب رآها قبل عشر سنوات فى أم درمان ! ولا يعرف ما علاقة تلك الخرائب والأطلال التى لم يقف عندها فى يوم من الأيام باللحظة الحاضرة ، ومالها تلح على خياله وتصوره وتحتلهما من غير أن يناديها أو يفكر فيها أو يفكر حتى فى أم درمان كلها ــ وبعد جهد ليس بالقليل يستطيع صرفها والإنتباه إلى حاضره . !

فإذا ذهب لينام فى الليل وسمع صوت « البورى » الذى يضرب عادة لعشاء الضباط الإنجليز ذهب خياله توا الى من فقد من أهله وقرابته .

وأغرب من ذلك كله أنه كان لا يسمع صوتا إلا ويعطيه لونا خاصا . فصوت البورى أصفر باهت ، وصوت « الأتومبيل » أسود عامر السواد ، كما أنه كان ينظر إلى الأرقام المكتوبة كلها بخط واحد ، فيتفاءل بالبعض ويتشاءم من البعض الآخر ، ويعطى تلك الأرقام ألوانا : فالثمانية والأربعة أرقام عامرة طيبة ، والخمسة والتسعة أرقام باهتة صفراء لا يرتاح إلى رؤيتها أو التيمن بطلعتها !

وكان صوت ذلك « البورى » دائم الإقتران بصورة خاله الذى مات . وهو لا يذكر ذلك الخال حينما يذكره إلا على صورة واحدة ولو أنه رآه فى مختلف الصور والأشكال . يذكره حينما كان معه فى المولد النبوى فى ليلة مقمرة فى حركة واتجاه واحد بعينه دائما !

وهذه الظاهرة هى الأخرى لا يستطيع لها تفسيرا ، فإنه قل أن يذكر الناس الذين عرفهم من ماتوا من أهله أو من هم بعيدون عنه إلا فى هيئة الحركة . وفى أغلب الأحيان فى حركة بعينها وفى مكان بعينه ويوم وساعة بعينهما — فلا يذكر خادمتهم التى ماتت ، وفى البيت مثلا أو فى المطبخ أو ما إليه من الأماكن التى طالما رآها فيها ، ولكنه يذكرها فى مكان بعيد كان برفقتها فيه . فى مكان قفر بالقرب من النيل بعيدا عن المدينة وفى خطوة وإيماءة واحدة ، حالما يذكر تلك الخادم يذكر ذلك المكان الغريب وتلك الإيماءة من غير قصد ولا تعمل ولا استحضار !

وهكذا فالصور التى رأى فيها والده مثلا كثيرة ، ولكنه قل أن يذكره فى غير صورة واحدة وحركة واحدة ومكان بعينه !

. . .

وكان إذا قرأ عن مكان أو سمع به تخيله ورسمه فى مخيلته ، فإذا ساعدته الظروف وذهب إلى ذلك المكان رآه مثل ما تخيله حتى الوضع وأشياء دقيقة لا تلوح فى خاطر إنسان ، وقد يدهش أحيانا حينما يزور مكانا لأول مرة فيخيل إليه أنه قد عرف هذا المكان قبل الآن فى حياة أخرى ، والكل يظهر أمامه كحلم غريب ! . . . لكن الألفة أو الإيناس الذى يشعر به نحو تلك الأمكنة ومنعرجاتها يخيل إلية أنه قد عرف ذلك وصحبه ردحا من الزمن لا شك فى ذلك ولا ريب فيه . .

فإذا أمعن فى التفكير والتعليل ظن أن هذا الذى نسميه « زمنا » وهم لا أصل لـه « Illusion » أو خرافة تخلقها عقولنا « Fiction » وأن

الحقيقة الواحدة الباقية هي « المكان » واننا أحياء من أوائل الأزمان إلى أواخر الآباد في صور وأشكال ومواد مختلفة كلها لها حظ من « الوعي » يختلف ضعفا وقوة باختلاف الأفراد والأشياء . وعلى هذا الزعم فللحوائط والمادة الصماء والأشجار وعي وإحساس من نوع وعينا وإحساسنا ، إلا أنه قليل في الكم بنسبة حظ تلك الأشياء من الحياة والحرية والحركة ! وأن مهمتنا نحن أن ننتقل من شكل من أشكال الحياة ونمر على تلك الأدوار في تلك « الأثناء » التي نسميها الزمن ، وهو مصدر ذلك الأحساس ، وسبب ذلك العطف الذي نحسه نحو أشكال الحياة المختلفة من غير أن نعرف سببه ! .

ويرى « مجدى » أن بعض أحلامه تتكرر فيرى أمكنة غريبة في بلاد لم يعرفها ، فلا يمر عام أو عامان حتى يسافر إلى بلد من البلدان يرى فيه نفس ذلك المكان الذي رآه في حلمه من قبل أعوام ! . . .

ولمجدى عادة تقلقه ولا تريحه ، لكنه يحس في ممارستها والشوق اليها راحة وطمأنينة . فهو إذا لم يضع ملابسه وكتبه وسريره في أمكنة بعينها وفي أوضاع خاصة لا يرتاح باله قط . فإذا وجد أقل تغيير في وضع كتبه وملابسه غيرها إلى نفس الوضع والمكان لأنه يتفاءل بأمكنة بعينها ويتشاءم من أخرى .

وقد يلج به هذا الإحساس المكاني في ساعات تيقظه إلى ما هو أغرب من ذلك . فإذا مر بالسوق لج به الخاطر أن حياته لا تكمل إذا لم ير كل الدكاكين والشوارع . فإذا فرغ من هذه العملية ود لو أن في مكنته أن يدخل كل حوانيت البقالة ويرى من قرب حـوائطها الداخلية وزواياها وترابها ، كأنما لكل تلك الأشياء قصة معه ، وهو لا يعلم من أمر تلك القصة سوى هذا الإحساس العارض الذي يقلقه في بعض الأحيان ولا يرتاح ضميره إلا حين ينفذه ! . .

إستعرض « مجدى » كل تلك الذكريات والصور والأسباب في خياله في لحظة واحدة من الزمان وظل يفكر . . . يفكر . . !

« ما معنى كل ذلك ! . . . معناه . . . معناه . . . نعم معناه أن الإنسان لا يموت أبدا . وأن ما يسميه موتا هو فى واقع الأمر تغيير لشكل الحياة ، وأننا نحن والسماء والأرض والأمكنة كلها أخوان وأولاد أعمام وهذا هو سبب العطف والكلف بالمكان !

فقالت له نفسه الثانية « لا هذا غير صحيح . وإلا فلماذا يمتاز بعض الناس بهذه الخصلة والبعض الآخر لا يعرفها ، ألا تذكرت ما قرأت فى كتب « السايكولوجى » أن بعض الناس بتركيبهم أقدر على تخيل المرئيات ، وآخرين على المسموعات ، والبعض الآخر على المشمومات ، وبعض الطلبة يفهمون أكثر إذا قرأوا الكلام مكتوبا والبعض الآخر إذا سمعه منطوقا » .

« نعم ، هذا صحيح ، ولكن ما معنى كل ذلك أيضا ؟! » .

مرة أخرى وهو فى وادى التفكير العميق ! « معناه . . . معناه . . . ماذا يهمنى معناه . هذه هى الحياة فكفى . . . وليس من معنى لأن نعتقد أن وراءها معنى . . ! معناها أنها الحياة ويكفينى أن أصور الحياة كما أراها ، وليس من مهمتى أن أفسر كل ظواهرها ، فلعل هذا الإضطراب وعدم مقدرتنا على ردها إلى سبب واحد هو من خواصها الأساسية . وليس من ذنبى ولا ذنب الحياة أن الناس ينظرون إلى أشياء وراء الحياة . . لعل هذه هى لعبتها الكبرى علينا ، وضحكتها المكبوحة التى لا يفتر ثغرها عنها . ويكفينى أن أحكى الحياة بالعرض دون التفسير . فلعل العرض نفسه هو التفسير ، ولعل الإعتقاد أن وراء كل ظاهرة ظاهرة أخرى خدعة من خدع المنطق. فلنحك الحياة فى تقييد خواطرها وولائدها ولا نكن حمقى فنطلب التفسير والتعليل ، إذ الحياة تعرف الخـلق الذكى ولا تعرف التفكير والتعليل فلأعرض تجاريب احساسى بالمكان كما أحسست به ورأيته ، وليعلل ذلك كل وفق مزاجه وتفكيره إذا كان لابد له من التعليل والتفكير . . . !

هذا هو منطق الحياة الصميم . وهكذا يجب أن يكون منطق الفنان

الذى يحكيها . . وارتاح الى هذا التفكير كثيرا . وابتـــدأ يلم أطراف موضوعه تهيؤا للكتابة النهائية . فخط فى وسط السطر « إحساسى بالمكان » وكتب :

(١) كيف أننى أذكر الأشخاص الذين عرفتهم دائما فـــى مكان بعينه ويتكرر ذلك المكان كلما ذكرتهم .

(٢) كيف أننى فى ساعات الدرس والتحصيل تلح فى ذاكرتى صور خرائب وأمكنة رأيتها منذ عشرات الأعوام فتزورنى من غير أن أناديها . وقد يقفز بى مكان فى بلد إلى مكان فى بلد آخر لا أعرف ما العلاقة بينها قط ولا أستطيع أن أعرف .

(٣) كيف أتخيل بعض الأمكنة ومواقعها قبل أن أراها ، فلما تسعدنى الظروف برؤيتها تكون وفق ما تخيلت فى أغلب الأحيان !

(٤) كيف أحس أن المكان الذى رأيته لأول مرة فى حياتى هذه قد رأيته من قبل فى حياة سابقة أخرى !

(٥) كيف أن خاطرى فى بعض الأحيان يلح بى لكى أذرع حوائـــط الدكاكين الداخلية — التى لا أعرفها — وأتمعن فى ترابها وزواياها كأنى قد تركت روحا هناك !

بعد أن كتب هذاه الأشياء شعر بأنه قد تعب وفتح مذكرته التى يدون فيها خواطره وأسماء الموضوعات التى يود الكتابة عنها فقرأ فيها أسماء هذه الموضوعات : (١) حماسة شاعر عصرى (٢) هكذا نحن (٣) حرفة الكتابة (٤) الأولاد الأشقياء فى الليل (٥) إحساسى بالمكان . !

فقام فجأة من الكرسى ثم رأى وجهه فى المرآة ثم ابتدأ ينظر إلى الأفق من شباك غرفته وأراد أن يفكر غير أنه أحس أن رأسه أصبح فراغا مطلقا . !

عمشان علي نور

# بعد اسبوع

كان يبدو كالمجنون . .

بل ان سائق التاكسي ظنه مجنونا فعلا ، عندما رآه يخرج من باب حديقة الريفيرا ، وهو يأتي بحركات هستيرية من يديه ، وكأنه يكسر رقبة شخص ما ، وسمعه يقول لنفسه بصوت مرتفع ، مشحون بالغضب :

« بعد أسبوع . . بعد اسبوع واحد يا مجرمة . . »

. . . فوجىء السائق بمن ظنه مجنونا ، يفتح باب العربة بقوة ، ويقذف بنفسه داخلها ، ويقول له بصوت متوتر :

ــ الثورة . . ميدان الحارة الرابعة .

وتردد السائق لحظة . هل يذهب بهذا المجنون الى حيث يريد ، ام يطلب منه ان يغادر العربة ؟؟ ولكن تردده لم يطل ،فلم يلبث ان ادار المحرك ، وانطلقت العربة في طريقها الى مدينة الثورة .

* * *

وفي حديقة الريفيرا ، حول مائدة عليها زجاجات « الليموناده » واكواب الشاي ، كانت تجلس فتاة فاتنة وهي تتبادل نظرات الذهول مع شاب يجلس معها حول المائدة كان كل منهما لا يدري ماذا يفعل ، أو ماذا يقول . واخيرا كان الشاب هو البادىء بالحديث ، سألها :

ــ « اهذا هو ؟ »

ــ « نعم انه هو » .

ــ « لماذا لم تحدثي اليه ؟ »

ــ « وماذا أقول له ؟ »

— « توضحين الأمر . تخبريه بكل شيء . . »

— هل تظنه يفهم أو يعذر .

• • •

. . كان سائق عربة التاكسي يسوق بحذر ، نصف باله الى الطريق والنصف الآخر يراقب المجنون ، خشية ان يفاجئه بضربة على قفاه ، أو ان يقفز من العربة وهى سائرة ، فيسبب له متاعب هو فى غنى عنها ، ولكن هذا كان فى عالم آخر . . كان يعيش مع ماضيه وامانيه واحلامه .

هو من أبناء الشمالية ، أتم دراسته الثانوية بمدرسة دنقلا ، وكانت شهادته تؤهله لدخول الجامعة ، ولكنه لم يكن راغبا فى الدراسة ، كان يستعجل الوظيفة ، وقد تم له ما أراد ، وعين فى الدامر قريبا من أهله وأقاربه فى عطبرة .

وعاش حياة مستقيمة ، لا يدخن ، لا يسكر ، ولا يعرف النساء . وكان والده ميسور الحال ولذلك كان مرتبه يذهب الى دفتر التوفير فى مكتب البريد . وكان حلم والدته ان تراه عريسا ، وما من مرة ذهب للبلد الا وحدثته فى أمر الزواج ، وخيرته بين عدد من فتيات البلد الجميلات .

تذكر كيف كان يراوغها ، ويختلق مختلف الحجج ليهرب من القيد الذى كانت تريد ان تقيده به . وذات مرة اضطر ان يقول لها الحقيقة . اخبرها أنه لا يريد الزواج من البلد وانما نفسه واحدة من بنات العاصمة . آه بنات العاصمة . الفساتين القصيرة ، الكعوب العالية ، الباروكات التى تجعلهن كالملكات ، الحديث الناعم ، الظرف ، الرقة ، لقد وجد نفسه مفتونا بكل هذا ، بل مجنونا به . وكان ينتهز كل فرصة لزيارة العاصمة ، الى ان نجحت مساعيه ، وتم نقله اليها . وفاجأه صوت السائق وهو يقول له انهما قد وصلا ميدان الحارة الرابعة ، وكان المنزل الذى يقصده قريبا من الميدان ، ففضل ان يذهب اليه راجلا ، وغادر العربة بعد ان أعطى السائق

أجره . وفي الطريق الى المنزل ، عاد الى ذكرياته واحلامه . . . منذ ان نقل الى العاصمة ، وهو يبحث ويبحث ، عن واحدة يتزوجها . ورشحت له الكثيرات ، ولكنه كان مترددا ، وعلى الرغم من رغبته القوية في الزواج بواحدة من بنات العاصمة ، وبرغم افتتانه بهن ، كان يخشاهن ويحذرهن ، الى ان وقع الفاس في الراس .

رآها في زواج زميل له ، سحره جمالها واخذته فتنتها ، ووجد نفسه يقرر أن يضع حدا لتردده . . . وسعى حتى عرف من هي ، ومن أبوها ، وذهب الى أقرباء له ، بامدرمان واخذهم معه الى منزل والدها ، حيث وافق ان يزوجها له ، وحدد يوم قريب لاعلان الخطبة . . .

كانت تلك الليلة أسعد لياليه ، الأنوار ، الزينات ، زغاريد أمه واختيه صوت المطرب يردد اغاني الحب واللوعة ، اصدقاؤه وزملاؤه يملأون المكان صخبا ، صديقاتها يحطن بها كما تحيط الوصيفات بالملكة ، وهو وهي داخل « الكوشة » ينظر اليها مفتونا ، مسحورا ، يظن نفسه في حلم .

وعاش هذا الحلم الجميل ، طيلة الأيام السبعة الماضية ، ولكنه استيقظ الليلة ، ويا لها من يقظة . كان مقدرا لحلمه الجميل ان ينتهي هذه النهاية الحزينة ، المؤلمة .

لم يكن قد دخل حديقة الريفيرا قبل تلك الليلة . كان قد سمع عنها وفي مساء ذلك اليوم كان محتارا أين يذهب ، وارتدى ملابسه ، وخرج من المنزل دون ان تكون له وجهة يقصدها ، وخطر له ان يذهب الى الريفيرا . . فذهب .

كان يتجول بين الموائد عندما سمع صوتها ، صوتها الذي يعرفه جيدا ومع ذلك كذب اذنيه ، تسمر في مكانه . . وكأن كل خلية فيه أذن تسمع . . انها هي . . انها هي . . واندفع نحوها في جنون ، حتى وقف أمامها ، وأمام الشاب الذي كانت تجلس معه وسألها بصوت غاضب . . من هذا . .؟

ولما لم تجبه ، صفعها بكل قوته ثم انتزع من أصبعها خاتم الخطبة . وغادر المكان وهو يقول لنفسه بصوت عال :

— بعد اسبوع . . بعد اسبوع واحد يا مجرمة ؛ وظلت هي وصاحبها يتبادلان نظرات الدهشة والذهول .

* * *

كان الرجل يصلى العشاء عندما سمع طرقا على باب منزله ، فلما انهى صلاته ، قام ففتح الباب ليجد أن الطارق خطيب ابنته ، دعاه الى الدخول ، وهو يحس بأن مصيبة توشك ان تقع على رأسه .

جلس الشاب صامتا ، ورب المنزل جالس بجانبه على السرير ينظر اليه دهشا من حالته ، وقلقا من صمته ، ولما طال الصمت قال الرجل للشاب :

— ان شاء الله ما تكون فى عوجه ؟ .

— الحقيقة انا جيت افسخ الخطبة .

ووجد الرجل نفسه يصرخ .

— بتقول شنو ؟

— عاوز أفسخ الخطبه . .

— ليه . . حصل شنو ؟

— لقيت بتك فى الريفيرا مع راجل غريب .

وأحس الرجل بالضربة تقع على رأسه وتقصم ظهره ، اراد ان يقول شيئا ولكنه لم يجد صوته أما الشاب فقد انتزع من اصبعه الخاتم الثانى ، ووضع الخاتمين فوق السرير ، واسرع يغادر المنزل .

وجاءت أم الفتاة ، فوجدت الأب يضع يديه على رأسه ، ويردد :

— لا حول ولا قوة الا بالله .

— مالك ؟ — قالتها فى جزع .

– بتك فضحتنا فضيحة كبيرة .

– عملت شنو ؟

– لقاها خطيبها في الريفيرا مع راجل غريب . .

– مش ممكن . . مش ممكن . . كذاب . . كذاب . . بتي عندها شغل في المكتب وراحت الشغل . . وانفجر الأب غاضبا :

– الله يلعن ابو الشغل ، وابو اليوم الدخلت فيه الشغل . . انا لو ما الحاجة بخليها تمرق ، أو تمشي المكاتب . .

– يمكن ما هي . يمكن واحدة بتشبها .

ووجد الرجل في ما قالته زوجته قشة يتعلق بها الى ان تعود ابنته ونسى الخاتمين الراقدين بقربه على السرير .

ظل الرجل جالسا على سريره ، وزوجته على الفروة قرب رجليه في انتظار عودة ابنتهما ، ومضت اللحظات طويلة ، مشحونة بالقلق والترقب وظلا على حالهما تلك ، الى ان سمعا آذان الفجر . فقام الرجل ليصلى الصبح ، وترك زوجته تسفح الدموع . .

جمال عبد الملك ( ابن خلدون )

# اللعبـــة ....

فى كل زيارة كانت تقول له :-

- « انا زهجت خلاص . . سأقتل نفسى » . .

ثم تنخرط فى البكاء . . .

وكان سليمان ينحنى فوقها يمسح على شعرها الأملس ويطيب خاطرها ثم يأخذها برفق بين ذراعيه ، مؤكدا لها انه فى القريب سيجد لها عملا . . وهكذا حتى تجفف دموعها وتنطلق تجهز له البيرة الباردة والاقداح الكبيرة .

كان قد حفظ الدور الآن . . طقوس لابد منها . . فى كل مرة كانت تؤكد له كم هى مظلومة وبائسة وشقية . وتتساءل ماذا سيكون مصيرها عندما يذبل شبابها ويذوى بفعل الدخان والسهر والسكر . هل تمسى مثل تلك العجوز ضعيفة النظر التى تغسل ملابس البنات القذرة ؟ أليس الموت أهون من ذلك المصير ؟

وهل تظل محكوما عليها باستقبال اصناف من الرجال كل يوم . . بل كل ساعة . . منهم الوسيم والدميم ، الصحيح والمريض ، الكريم والبخيل . . وعليها أن ترضيهم جميعا ؟ .

كانت تبكى بحرقة وتنسى أنها انما تردد افكاره التى زرعها فى دماغها عندما التقى بها لاول مرة ، وكان قد قرأ رواية « الجريمة والعقاب » لدستوفيسكى وتأثر بموقف الشاب ( رديون ) وهو ينحنى ليقبل قدمى ( سونيا ) الغانية الصغيرة البائسة وكان قد شرب كأسين من الجن المحلى قبل ان يدخل السينما . وعثر فى حجرة سوسن على مجلات وكتاب . قالت مزهوة أنها تعلمت القراءة والكتابة فى المدرسة وان اسمها ( ست الجيل ) ،

ولكنه أطلق عليها اسم سوسن ، وحكت له قصة مألوفة عن البنت التى أخطأت ثم هربت من أهلها القساة لتقع فى براثن مصير أشد قسوة وظلاما . .

أعجبه جسمها القليل وشعرها الناعم وبشرتها المخملية . . قال لها ان الحياة يجب ان تكون أفضل وانه كتب موضوعا وبعث به للصحيفة اليومية يقول فيه ان البغاء مثله مثل التسول والعطالة – عرض زائل من أعراض المجتمع الاستغلالى يجب ان ينتهى . . ووعد ان يجد لها حلا . .

بكت البنت فربت على ظهرها برفق . . وقد ندم على ذلك فيما بعد . . ولكنه نال لذة مضاعفة ولم يستطيع الانقطاع عنها فهو من النوع الذى يتهيب التغيير برغم كل ما ردده عن ضرورة التغيير ثم أن البنت نظيفة وشابة . . نصحه أصحابه الا يتورط مع سوسن فهى مجنونة . . البنات قلن أنها مرة قذفت تاجرا ثريا بزجاجة فارغة عندما حاول ارغامها على مجالسته . . ومرة أخرى اقترحت سوسن على البنات تكوين نقابة فزجرتها ( جليلة ) سيدة البيت ذات الاساور والبطن الجسيمة . .

* * *

قال له الباشكاتب الفارع الطول عبد الجليل . .

– « فكرتك هذه يا سليمان بلا ريب . . ومن سيكون سكرتير النقابة وامين الصندوق ؟ » .

– « البنت ذكية يا عبد الجليل . . » .

– « شيطانة . . » .

عبد الجليل كان يعرف الحكاية من أولها وهو صديق العمر الذى لازمه منذ صباه المبكر . . مرة ألح عليه الشعور بالإثم حتى فكر أن يلقى بنفسه فى النهر عندما دهمه احساس غامر بالتخاذل ازاء شراسة الطلاب الكبار . . ولكن عبد الجليل تولى حمايته حتى طالت ساقاه وغلظ صوته

وامتلأ وجهه بالبثور وتكثف الشعر تحت أنفه . .

قال له عبد الجليل :—

— « اسمع يا سليمان سوسن طموحة ولكنها قليلة الخبرة وأنت تلعب معها لعبة خطرة . . تضع فى رأسها أحلاما عسيرة وفى فمها كلمات كبيرة . . »

انتبه سليمان . . ربما كان عبد الجليل يحسده على امتلاكه سوسن . عبد الجليل لا يعرف غير تلك المرأة البدينة السوداء ذات الاسنان الذهبية . . سليمان هو الوحيد الذى ارتفع بذوقه عن الشلة .

مد له عبد الجليل كراسة اصفر غلافها . . وقال :

— « كراستك تركتها فوق مكتبى بالأمس . . متى تتمها ؟ » .

ابتسم سليمان وهو يقرأ الكلمات القليلة التى خطها فى أول صفحة . .

— « سوسن فتاة جميلة سيئة الحظ ولكنها تحن للحياة الشريفة . . تغيرت حياتها عندما قابلت (س) الذى احبته بكل جوارحها ورجته ان ينتشلها من الوحل . . »

* * *

فى المقهى كان الكراس لا يزال فى يده . . سلم الحذاء لماسح الأحذية وقال لعبد الجليل :

— « آخر مرة زرتها وجدتها راقدة محمومة . . وكانت تلفظ كل ما يدخل فى جوفها . . خسيسة تلك المرأة جليلة . . »

قالت لى « لماذا لا تحملها للدكتور . . تخاف ان تسير معها فى الطريق . . اذن اطلب الدكتور ليحضر هنا » .

قال له عبد الجليل :

— « ربما حملت بولى العهد . . »

ولكن سليمان قاطعه بحدة قائلا :

— « صحبتها للطبيب . قال عندها ملاريا قديمة . . ومعنوياتها هابطة . . وهى لا تذوق الطعام الا قليلا . .

« سمعتها تردد انها تحتقر نفسها وانه لا أمل لها فى دنيا ولا فى آخرة . . »

« هل تصدق أنها ستنتحر ؟ »

— « كلهن يقلن هذا . . اسمع يا سليمان . . البنت تريد أن تورطك . . انها تحن لبيت لا يطرق بابه سوى رجل واحد . . وها انت تحضر لها مجلات وكتبا وتحدثها عن مزايا الشرف ! ! »

— « يجب ان تتمرد على واقعها أولا . . »

— « وعندما تتمرد . . ماذا يحدث ؟ هل تطلب منها ان ترضى بحظها من الدنيا لان واقعها مقدر ومكتوب منذ الأزل ؟ »

— « وماذا أفعل ؟ »

— « دعها . . . »

لم يجرؤ ان يقول لعبد الجليل انها اعطته ما يزهو به وسط أقرانه أيام العطلات حول مائده الوست المنصوبة وزجاجات ( الشرى ) وانه يشعر معها انه سيد الرجال . . وانه ينتظر معجزة . . عبد الجليل لا يعرف انه ايام الدراسة عندما كان سليمان يشارك زملاءه تطاولهم على المقدسات كان يتوسل للسماء بعد ذلك فى غرفته الا تأخذ هفواته مأخذا جديا . . وهو الآن ينتظر معجزة . . الزمن كفيل بخلاصها . . ولكن عبد الجليل كان ينهره قائلا :

— « دعها يا سليمان . . هناك غيرها . . لا تتورط أكثر من ذلك . . »

* * *

كان يدخر النقود لمباراة كرة القدم فى الغد . . ولكنه بارح المقهى وحيدا وترك عبد الجليل يثرثر مع أحد اقربائه . . وجد نفسه يسير فى الطريق المؤدى لبيت جليلة . . اشترى سجائر وحلوى ومضى قدما فى الطريق

المألوف . . وعندما اقترب لاحظ جمعا من النسوة والصبية والمخنثين يولولون . . اقترب أكثر . . التفتت نحوه المرأة العجوز وقالت له : « ست الجيل صبت على نفسها الجاز واشعلت النار واحترقت فى الظهر . ماتت فى الاسبتالية فى المساء . . »

تشوهت . . . ماتت . . . انتحرت . . . لم تكن تكذب !

داخ وأحس بالجدران تطبق عليه . . ولكنه تماسك . . وضع نفسه داخل عربة ( تاكسى ) وحمل هم الليل والأرق والغثيان . . قال للسائق :

« أذهب بى بعيدا » .

نظر اليهاليه السائق طويلا ثم قاد سيارته على مهل . . .

الطيب صالح

# رسالة إلى إيلين

عزيزتي إيلين ،

الآن انتهيت من فض حقائبي . أنت عظيمة ولست أدري ماذا أفعل بدونك . كل شيء يلزمني وضعته في الحقائب . تسعة قمصان « قال هوسن » ثلاثة منها لا تحتاج للكي . « أغسلها وتنشفها والبسها » . وأنت تعلمين أنني لن أفعل شيئا من هذا القبيل . ربطة العنق التي اشتريتها لي في العام الماضي في بوند ستريت . وجدتها مع خمس كرافتات أخرى . « خمس كرافتات تكفيك . أنت لن تخرج كثيرا ولن يدعوك أحد لحفلة . وإذا دعيت فلا تذهب » . كم أحببتك لأنك لم تنس أن تضعي في حقائبي هذه الربطة . . . ربطة عنق قرمزية اللون ، واحدة من ملايين الأشياء الصغيرة التي تشد قلبي اليك . . . في مثل هذا الوقت من العام الماضي . بعد ثمانية أشهر من معرفتي إياك ، في القطار الذي يسير تحت الأرض ، الساعة السادسة والناس مزدحمون . ونحن واقفان وأنت متكئة علي . فجأة قلت لك : « انني أحبك . أريد أن أتزوجك » . احمر خداك والتفت الناس إلينا . طيلة ثمانية أشهر عرفتك فيها لم أقل لك أنني أحبك . كنت أتهرب وأداري وأزوغ ثم فجأة وسط الزحام ، في الساعة السادسة مساء ، حين يعود الناس التعبين مرهقين إلى بيوتهم بعد عمل شاق طيلة اليوم ، فجأة خرجت الكلمة المحرمة من فمي وكأنني محموم يهذي . لا أعلم أي شيطان حرك لساني ، أي ثائر أثارني ، ولكنني شعرت بسعادة عظيمة ، في تلك الساعة ، في ذلك الجو الخانق ، بين تلك الوجوه الكالحة المكدودة التي اختفت وراء صحف المساء . ولما خرجنا ضغطت على يدي بشدة ، ورأيت في عينيك طيفا من دموع ، وقلت لي : « إنك مهووس . أنت أهوس رجل على وجه البسيطة . ولكنني

أحبك . إذا رأيت أن تتزوجني فأنت وشأنك » .

ثمانية أشهر وأنا أتهرب وأحاور وأحاضر . أحاضرك في الفوارق التي تفرقنا . الدين والبلد والجنس . انت من أبردين في سكتلندا وأنا من الخرطوم أنت مسيحية وأنا مسلم . أنت صغيرة مرحة متفائلة ، وأنا قلبي فيه جروح بعد لم تندمل . أي شيء حببني فيك ؟ أنت شقراء زرقاء العينين ممتلئة الجسم ، تحبين السباحة ولعب التنس ، وأنا طول عمري أحن الى فتاة سمراء ، واسعة العيون ، سوداء الشعر ، شرقية السمات ، هادئة الحركة . أي شيء حببك فيّ ، أنا الضائع الغريب ، أحمل في قلبي هموم جيل بأسره ؟ أنا المغرور القلق المتقلب المزاج ؟ « لا تتعب عقلك في تفسير كل شيء . أنت حصان هرم من بلد متأخر ، وقد أراد القدر أن يصيبني بحبك . هذا كل ما في الأمر . تذكر قول شيكسبير . كيوبيد طفل عفريت . ومن عفرتته أنه أصاب قلبي بحب طامة كبيرة . مثلك » . وتضحكين ، ويقع شعرك الذهبي على وجهك فتردينه بيدك . ثم تضحكين ضحكتك التي تحاكي رنين الفضة . وذهبنا إلى مطعم صيني واحتفلنا ، وكنت نسيت أن اليوم هو يوم ميلادي . أنا لا أحفل بأمسي ولا بيومي وأنت تحفلين بكل شيء . أنت تذكرت ، فأحضرت ربطة العنق القرمزية هذه . كم أحبك لأنك وضعتها بين متاعي . عزيزتي إيلين ،

هذه هي الليلة الأولى بدونك . . منذ عام . منذ عام كامل . ثلاثمائة وخمس وستون ليلة ، وأنت تشاركينني فراشي ، تنامين على ذراعي ، تختلط أنفاسنا وعطر أجسادنا ، تحلمين أحلامي ، تقرأين أفكاري ، تحضرين إفطاري ، نستحم معا في حمام واحد ، نستعمل فرشاة أسنان واحدة ، تقرأين الكتاب وتخبرينني بمحتواه فأكتفي بك فلا أقرأه . تزوجتني ، تزوجت شرقا مضطربا على مفترق الطرق ، تزوجت شمسا قاسية الشعاع ، تزوجت فكرا فوضى وآمالا ظمأى كصحاري قومي . الليلة الأولى عداك ،

يا طماة من ابردين – وضعتها الأقدار فى طريقى . تبنيتك وآخيتنى . « يا أختاه . يا أختاه » . البذلة الرمادية التى تؤثرينها – « ثلاث بدل أكثر من الكفاية . رجل متزوج يقضى شهرا مع أهله . لن يحفل بك أحد . ولن تهتم بك صبايا بلدك ، ولا حاجة بك إلى هندمة نفسك والاعتناء بشكلك . ومهما يكن فان شكلك لا تجدى معه هندمة . إذهب وعد إلىّ سليما : إذا ضحكت لك منهن فتاة فكشر فى وجهها » .

اطمئنى فلن تضحك لى فتاة . أنا فى حسابهن كنخلة على الشاطىء اقتلعها التيار وجرفها بعيدا عن منبتها . أنا فى حسابهن تجارة كسدت . لكن ما أحلى الكساد معك .

الليلة الأولى بدونك . وبعدها ليال ثلاثون كمفازة ليس لها آخر . سأجلس على صخرة قبالة دارنا وأتحدث إليك . أنا واثق أنك تسمعيننى . أنا واثق أن الرياح والكهرباء التى فى الأثير والهواجس التى تهجس فى الكون ، سترهف آذانها ، وستحمل حديثى إليك . موجات هوج من قلبى . تستقبلها محطة فى قلبك . حين تنامين مدّى ذراعك حيث أضع رأسى على الوسادة . فاننى هناك معك . حين تستيقظين قولى « صباح الخير » فاننى سأسمع وأرد . أجل سأسمع . أنا الآن أسمع صوتك العذب الواضح تقولين لى : « اسعد فى عطلتك ولكن لا تسعد أكثر مما يجب . تذكر أننى هنا أتضوى وأنتظرك . ستكون مع أهلك فلا تنس انك برحيلك ستتركنى بلا أهل » .

أتم الخطاب وثناه أربع ثنيات ووضعه فى الغلاف ، ثم كتب العنوان . ورفعه بين أصبعيه وتمعنه طويلا فى صمت كأن فيه سرا عظيما . نادى أخاه الصغير وأمره بالقائه فى البريد . مرت بعد ذلك مدة لم يعرف حسابها ، لعلها طالت أو قصرت ، وهو جالس حيث هو لا يسمع ولا يرى شيئا . وفجأة سمع ضحكة عالية تتناهى اليه من الجناح الشمالى فى البيت . ضحكة امه .

واتضح لاذنيه اللغط . لغط النساء اللائى جئن يهنئن امه بوصوله سالما من البلد البعيد . كلهن قريباته . فيهن العمة والخالة وابنة العم وابنة الخالة . وظل كذلك برهة . ثم جاء ابوه ومعه حشد من الرجال . كلهم اقرباؤه . سلموا عليه وجلسوا . جيء بالقهوة والشاى وعصير البرتقال وعصير الليمون . شيء يشبه الاحتفال . سألوه أسئلة رد عليها ، ثم بدأوا فى حديثهم الذى ظلوا يتحدثونه طول حياتهم . وشعر فى قلبه بالامتنان لهم انهم تركوه وشأنه . وفجأة تضخمت فى ذهنه فكرة ارتاع لها . هؤلاء القوم قومه . قبيلة ضخمة هو فرد منها . ومع ذلك فهم غرباء عنه . هو غريب بينهم . قبل أعوام كان خلية حية فى جسم القبيلة المترابط . كان يغيب فيخلف فراغا لا يمتلىء حتى يعود . وحين يعود يصافحه ابوه ببساطة وتضحك امه كعادتها ويعامله بقية أهله بلا كلفة طوال الأيام التى غابها . اما الآن . أبوه احتضنه بقوة وأمه ذرفت الدموع وبقية أهله بالغوا فى الترحيب به . هذه المبالغة هى التى أزعجته . كأن احساسهم الطبيعى قد فتر فدعموه بالمبالغة .

« طويل الجرح يغرى بالتناسى » .

و سمع صوت إيلين واضحا عذبا تقول له وهى تودعه : « أرجو من كل قلبى أن تجد أهلك كما تركتهم ، لم يتغيروا . أهم من ذلك أن تكون أنت لم تتغير نحوهم » .

آه منك يا زمان النزوح !

الطيب صــالح

# نخلــة علــى الجــدول

« يفتح الله ! » . . .

« عشرون جنيها يا رجل ، تحل منها ما عليك من دين ، وتصلح بها حالك . وغدا العيد ، وانت لم تشترِ بعد كبش الضحية ! واقسم لولا انني أريد مساعدتك ، فان هذه النخلة لا تساوى عشرة جنيهات » .

وتململ حمار حسين التاجر فى وقفته . ولم يكن صاحبه قد ترجل عنه فانه لم يرد ان يظهر لشيخ محجوب تلهفه على شراء النخلة ذات البنات الخمس التى يسميها السودانيون فى الشمال « الأساسق » ، وقد قامت وسطها النخلة الأم ، ممشوقة متغطرسة ، تتلاعب بغدائرها النسمات الباردة التى هبت من الشمال تحمل قطرات من مياه النيل . ورأى الحمار الابيض البدين حمارة أنثى ترعى عن بعيد بين سيقان الذرة . فنهق نهيقا أجهش ممتدا ، ثم رفع رجله الخلفية اليسرى ووضعها ، ورفع رجله الامامية اليمنى ووقف على حافة حافره ، وتشاغل بحصل من نبات « السِّعدة » الريانة التى نمت على حافة الجدول ، وكأنه قد تبرم بهذه المساومة التى لم يكن من ورائها طائل . والحق ان حسين التاجر ، بثيابه البيضاء الفضفاضة ، وعباءته السوداء التى اشتراها فى زيارة له للخرطوم ، وعمامته من « الكرب » نمرة واحد ، وحذائه الأحمر الذى لم تخرج أيدى صناع « المراكيب(١) » فى الفاشر أجود منه ، وحماره الأبيض البدين اللامع ، والسرج الأحمر المدهن ، والفروة البنية التى تدلت وكادت تمس الأرض ، كان صورة مجسمة للكبرياء والغطرسة .

ولكن شيخ محجوب لم يحر جوابا ، وكان يبدو فى وقفته تلك كالمشدوه يرنو إلى أفق بعيد متناء . ورويدا رويدا خفتت فى أذنيه ضوضاء « أهل

الخير » الذين تجمعوا ليتوسطوا بين التاجر وشيخ محجوب . وخفت صوت الساقية الحزين المتصل .

ولف ضباب الذكريات معالم الأشياء الممتدة أمام ناظرى شيخ محجوب الناس والبهائم وغابة النخيل الكثة المتلاصقة . وأحواض الذرة الناضجة التى لم تحصد بعد . والأحواض الجرداء العارية قطعت منها الذرة ، وسرحت على بقاياها قطعان الضأن والماعز . كل ذلك تحول الى أشباح يتراقص فى وسطها جريد نخلة محجوب . وفى أقل من لمحة الطرف استعرض الرجل حاضره . اجل . غدا عيد الأضحى حين يخرج الناس مع شروق الشمس فى ثيابهم النظيفة الجديدة ، ويصلون مجتمعين على مقربة من ضريح الشيخ صالح . واذ يعودون الى بيوتهم تنضح وجوههم بالبشر والسعادة ، وتسيل دماء الأضاحى . ويقبل الأضياف ويخرجون . ويتردد فى الحى صدى ضحكاتهم اما هو . . . اما بيته . . . ؟ انه لا يملك ثوبا نظيفا يخرج به الى الصلاة ، وليس عند زوجته غير « ثوب زراق » اشتراه لها قبل شهرين نال منه البلى وتراكمت عليه الأوساخ . أما ابنته خديجة فقد كادت تفتت قلبه ببكائها من أجل ثوب جديد تعرضه على لداتها وتعيد به مع صاحباتها . ومن أين له جنيهات ثلاثة يشترى بها خروفا يضحى به ؟

وتمتم شيخ محجوب فى صوت لا يكاد يسمع . شىء يشبه التوسل والابتهال : « يفتح الله » وزم شفتيه فى عصبية ، وعاد بعقله خمسة وعشرين عاما الى الوراء . ألا ما أعجب تقلبات هذا الزمن ! لقد كان يومئذ شابا قويا أعزب لم يبلغ الثلاثين بعد ، يعمل فى ساقية أبيه مقابل كسوته وشرابه . فلم يكن يحتاج الى المال ، ولم يكن يعرف له قيمة . وفى ذات صباح مشرق من أصباح الصيف ، مر بابن عمه اسماعيل ، وكان الأخير منهمكا يقلع الشتل ليغرسه فى أماكن اخرى من أرض الساقية . ووقع نظر محجوب على شتلة صغيرة رماها اسماعيل بعيدا ، على انها خالية من « الاضراس » لا تصلح

فالتقطها محجوب ونفض عنها التراب ، وقال لابن عمه ضاحكا : باكر تشوف دى تبقى تمرة زى العجب » وتبسم اسماعيل فى سخرية ، واستغرق فى عمله . وعلى حافة الجدول قريبا من الساقية ، شق محجوب حفرة صغيرة وضع فيها « النخيلة » وواراها التراب وفتح لها الماء بعد ان تلا آيات من القرآن وردد فى شيء من الخشوع : « بسم الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة الا بالله » . مثلما يفعل أبوه كلما غرس شتلة أو حصد نبتا . ولم ينس ان يصب فى الحفرة قليلا من ماء الابريق الذى يتوضأ به ابوه تيمنا وتبركا .

وانزل محجوب غصة صعدت فى حلقه ، ثم مرر أصابع يده النحيلة المعروقة بين شعيرات لحيته المتفرقة . ألا ما كان أبرك ذلك العام ! بعد ستة أشهر فقط من غرسه « النخيلة » تزوج من ابنة عمه ، ولم يكن يملك من مال الدنيا شروى نقير . ولا هو يدرى الآن كيف تمت المعجزة . انه لم يكن يظن ابدا انه سيتزوج فى يوم من الأيام ، هو الذى عاش أيام صباه منبوذا محتقرا من أهله مجفوا من الحسان ، يتهمه كل أحد بالغباء والخيبة . وطالما ترنم وهو يخوض الماء فى لذعة البرد ، عارى الرأس ، عارى الصدر :

« الدنيـا بتْهينك والـزمانْ يْوريـكْ

وقَـلْ المـالْ يفرّقك من بناتْ واديكْ »

غير أنه تزوج ، ولبس حريرة العرس ، وتمسح بالدلكة ، ووضع على رأسه « الضريرة » ، وأحاطت به الصبايا يهزجن بالأغانى . ولكم شعر بالعظمة والكبرياء وقتها . كل ذلك بعد غرسه النخلة بستة أشهر . وفى العام التالى ولدت زوجته بنتا اسماها آمنة تيمنا بمقدمها ، ووفاء لذكرى جدته التى كانت تعطف عليه من بين أهله جميعا . وحينما وصل به تيار الذكريات الى مولد آمنة ، ترقرق فى عينيه الدمع . أين الآن آمنة ؟ انها زوجة لابن أخته الذى حملها الى أقاصى الصعيد فى الجزيرة ، وقد كانت تبره وتعطف عليه .

ليت حسنا كان مثلها عطوفا بارا . حسن ! وعض الرجل على شفته

السفلى بعنف حتى كاد يغرس أسنانه فى لحمها المتهدل . حسن إبنه الوحيد ، سافر قبل خمسة أعوام إلى مصر ، ومن وقتها لم يرسل لهم حتى خطابا واحدا يطمئنهم فيه عن صحته . لقد حاول الرجل جاهدا ان ينساه ، ويمحوه من ذاكرته ، ويعده من الأموات . وكانت زوجته تبكى كلما ردد محجوب فى صوت حزين متهدج بيت الدوبيت الذى كان له خير سلوى ، كلما جاشت بنفسه الذكرى ، وكلما تمثل ابنه طفلا صغيرا حلوا يبول فى حجره ، ثم صبيا يساعده فى أعمال الساقية ، ثم شابا يافعا يشب عن الطوق ، ويهجر الأهل والدار ، وينسى حقوق الأبوة ، ولا يسأل عن الأحياء ولا الأموات . أجل والله — « الزول ان أباك خليه واقنع منه ، وكم لله من دفن الجنى وفات منه » .

وكأن القدر أراد أن ينسيهم كل شيء يربطهم بحسن . فرمى آخر ما فى جعبته من سهام قاسية مسمومة ظل يسددها منذ عامين ، تباعا دون توقف . وأصاب السهم الأخير النعجة « البرقاء » التى رباها حسن ، وجمع لها الحشيش وأشركها طعامه وأنامها فى فراشه . ماتت وما عادت تثغو فى بكرة الصباح حين كان حسن يقفز نشيطا خفيفا من فراشه فيطعمها ويسقيها ويأخذها معه الى الساقية ، ترعى وتمرح وتتلف الزرع ريثما يفرغ هو من عمله . ماتت ، وكذلك اجتاح المحل والقحط كل القطيع الذى رباه شيخ محجوب .

ثم رفرف طائف من السعادة على الوجه الخشن المجعد . وجه محجوب وغابت المرارة التى أحدثها ذكرى حسن عندما تذكر الرجل قطيع الضأن الذى رباه فى ذات العام الذى شهد مولد آمنة . قطيع كامل من نعجة واحدة اشتراها بما تجمع عنده من ثمن حيضان البصل . كان يعاملها كما يعامل أبناءه . يحلب لبنها بنفسه ويكوم القش فى مراحها ويفك لها صغارها ويلبث الساعة والساعتين يداعبها وينظف وبرها ، وتغمره السعادة وهو يشاهدها تناغى

صغارها وتشرب الماء المخلوط بالدريش . وتتناطح فيما بينها . كان يطلق عليها الأسماء كما يسمى الناس أطفالهم ، يعرف كل واحدة منها بسيماها . ذات الذيــل الأبيض . وذات البقعة السوداء عــلى أم الظهر كسرج الدابة ، والخروف ذو القرون المكسورة ، والخروف ذو القرون الملتوية . وبعد عامين من زواجه اشترى عجلة صغيرة عجفاء والاها بالرعاية والحبوب حتى استوت بقرة جميلة كحيلة العينين لها غرة فى جبينها تجر الساقية وتدر اللبن . وفى أثناء ذلك أثمرت نخلة الجدول ، أول شيء يمتلكه فى حياته . وسارت الحياة رغدا كأنما استجاب الله دعاءه يوم شق فى الأرض على حافة الجدول وغرس النخلة . لقد استغنى عن أبيه ، وبنى لنفسه بيتا يؤويه مع عائلته ، وصار ثريا بعد المال مثل أى تاجر ، يجلس فى السوق منتصبا تملأه الثقة أمام كوم الذرة . يكيل منه للمشترين وينتهر زملاءه غير هياب ولا مكترث . وصار يلبس النظيف ، ويأكل الطيب ، وينام على الفراش اللين ، ويتدثر فى برد الشتاء ببطانية ثقيلة من الصوف انفق فيها جنيهين . وحينما كان الناس يتبرعون فى الأعراس بخمسة قروش كان يتبرع هو بعشرة ، وبزجاجة مليئة من سمن الضأن النقى ، وكيلة من أجود أنواع التمر « القنديل » . حتى لقب بالظريف بعد أن كان يلقب بالغبى . ولولا تعلقه بزوجته لتزوج بنتا بكرا يتهافت عليها خيرة شبان البلد .

كل هذا عفّى آثاره الزمن . لقد مات الزرع ، ويبس الضرع ، وعم القحط فأغرق الرخاء ، وحبا الشيب فطفا على الشباب ، وكان النيل يفيض بين ضفتيه زاخرا موارا ، يسقى الأرض ويخرج ما فى باطنها من الخير ، فما عاد يفيض إلا بحساب ومقدار . أتراها الخزانات التى أقاموها عليه فحجزت الماء ؟ أم تراها نبوءة الشيخ ود دوليب تحققت ؟ لقد أنذر الناس فى يوم من الأيام انه سيأتى عليهم يوم ، يصير فيه اللبن كثيرا تافها مثل الماء ، وتصير كيلة الذرة بقرشين ، ويصبح ثمن النعجة ريالين . ولكن الناس كدأبهم أبدا سيضيقون بهذا الخير ، وسينهمكون فى الغى وينسون الله

فيأخذهم الله بذنوبهم . وفكر شيخ محجوب برهة . وحدث نفسه بأنه لم يرتكب كثيرا من المعاصى . صحيح أنه كان يشرب الخمر أحيانا ويرقص فى الأعراس ويخالس الحسان النظر على غفلة من أم حسن . ولكنه لم يؤخر فرضا ولم يهتك عرضا ولم يفعل شيئا من هذه المعاصى التى يقول فقهاء القرية انها كبائر تغضب الله . لابد انه الكبر الذى فت من عضده وأرخى من مفاصله . فما عاد يحتمل لذعة البرد ولا قائظ الحر . ولم يكن حريصا على ما عنده من خير . فبدده أولا بأول . وفى غمرة أتعابه ومرير شيخوخته هجره ابنه حسن . وهو أحوج ما يكون إلى ساعده الفتى . وهكذا ظل محجوب يكابد الفاقه وحده . فاستدان ورهن وباع . وليس عنده اليوم من مال الدنيا إلا بقرة واحدة وعنزتان وهذه النخلة التى ظل جاهدا يحاول استبقاءها .

وقطع عليه ذكرياته نهيق حمار التاجر . وصوت صاحب الحمار وهو يقول له : « يا راجل انت ساكت زى الأبله مالك ؟ ما تدينا كلمة واحدة خلينا نمشى ؟ » وكان رمضان قد جاء من طرف الساقية . وقال لمحجوب ان عشرين جنيها ثمن معقول ، خاصة وهو أحوج ما يكون إلى المال . وفكر الرجل برهة مترددا بين الرفض والقبول . عشرون جنيها يستطيع أن يحل منها دينه ، ويشترى ضحية العيد ، ويكسو نفسه وأهل بيته . ولكن ريحا قوية هبت تتلاعب بجريدة النخلة . فأخذ يوشوش ويتعارك ويتلاطم كغريق يطلب النجاة . وبدت النخلة لمحجوب فى وقفتها تلك رائعة أجمل من أى شىء فى الوجود . وهفا قلبه لابنه فى مصر . ترى هل يحن لنداء الرحم ؟ هل تؤثر فى قلبه الدعوات التى أرسلها محجوب فى هدأة الليل ؟ وأحس الرجل بفيض من الأمل يملأ كيانه ويطغى على إحساسه ، وترقرق فى عينيه دمع حبسه جاهدا ، وتمتم : « يفتح الله . أنا نمرتى ما ببيعها» وردد الرجل فى نفسه : « يفتح الله » ، وقاده ذلك إلى التفكير فى سورة الفتح من القرآن الكريم — « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » — الفاتحة — الفرج .

وأحس لأول مرة بأن في عبارة « يفتح الله » شيئا أكثر من كلمة تنهي بها المبايعة ، وتقفل الباب في وجه من يريد الشراء . انها مفتاح لمن أعسره الضيق وأمضه البؤس وأثقلت كاهله أعباء الحياة . وما كان أحوج محجوب إلى الفتح والفرج حينئذ .

وجذب التاجر عنان حماره في صلف ، ثم همز بطن الحمار بكعب رجله ، وقال في صوت بارد كوقع الصوت : « يفتح الله ، يفتح الله ، باكر بتجى تدور الدين » .

وقبل أن ينطلق الحمار بعيدا أبصر محجوب ابنته الصغيرة تهرول نحوه مضطربة فرحة . فتحرك في قلبه أمل بدا عسيرا مستحيلا أبعده عنه . ولم ينتظر الطفلة ريثما تصل ، بل أسرع نحوها يسألها عن الخبر : « شنو ؟ مالك ؟ وحاولت الصبية أن تفض إليه النبأ بصوت متكسر الثغ : « الناس . . . دالو ود ست البنات دا من مسر . . . وداب لنا معاه دواب من حسن أخوى » .

جواب من حسن ؟ وانطلق الرجل كالمجنون لا يفكر ولا يعي بنبض قلبه معربدا — بين جنبيه . يطغى الأمل بين حناياه مرة على اليأس ، ويفيض اليأس تارة فيغرق الأمل . وابنته الصغيرة تمسك بطرف ثوبه المتسخ ، تسرع جاهدة لكي تمشي معه ، وهي أثناء ذلك تتباكى محتجة على خطوات أبيها المسرعة .

وفي بيت « ناس ست البنات » ، انتظر محجوب بين صفوف المستقبلين وفي غمرة اضطرابه لم يفت عينه المستطلعة رجال يعرفهم جاؤوا يسألون عن أبنائهم وأقاربهم ونسوة يعرفهن جئن يسألن عن أزواجهن وأبنائهن . كلهم آمال مثل آماله ، تجاذب اليأس ويغالبها اليأس . ولم تخطىء عينه الشاب الذى عاد من مصر ، ود ست البنات يرتدى ملابس نظيفة ككل عائد من السفر ، ويتكلم لهجة غريبة على شيخ محجوب ، بادى الثقة بادى الكبرياء . وأخيرا لمح الشاب شيخ محجوب بين المستقبلين فدلف نحوه مبتسما . وشعر الرجل

بالضيق والحرج ، إذ تحولت كل الأبصار نحوه . ولم يع شيخ محجوب من كلام محدثه إلا « حسن مبسوط — قال لك تعفى عنه . أرسل لك ثلاثين جنيه وطرد ملابس » .

وفى الطريق إلى بيته تحسس الرجل رزمة المال التى صرها جيدا فى طرف ثوبه ، ثم غرس أصابعه فى الطرد السمين تحت إبطه ، وانحدر طرفه من عل إلى غابة النخل الكثيفة الممتدة عند أسفل البيوت ، وتميز فى وسطها نخلته ، ممشوقة متغطرسة جميلة تتلاعب بجريدها نسمات الشمال . وخيل إليه أن سعف النخلة يرتجف مسبحا : « يفتح الله ، يفتح الله » .

الزبير علي

# المقاعد الاماميه

كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير والحفل الأخير لعرض فيلم « محاكمات نور مبرج » . دار السينما مكتظة بالرواد حتى لم يبق موضع لمتفرج جديد ولكن رغم ذلك فقد كانت الصفوف المتراصة أمام شباكي الدرجتين الأولى والثانية تزحف في بطء قاتل نحو الشباكين والجميع في شوق وتلهف للوصول وشراء التذاكر قبل نفاذها .

– ده اليوم السابع والأخير والزحمة بالشكل ده ؟ انا خايف الشباك يقفل قبل ما أصل ونبقى اتحرمنا من التحفة دي .

– والله يظهر ده الحيحصل . . رد عبد الله وهو يتبع « علي » خارج الصف ويتقدم معه كلما تحرك خطوة للأمام .

كانت الصالة الأنيقة البيضاوية الشكل تضيق بمن فيها وقد أصبح جوها خانقا لزجا رغم المراوح العديدة المثبتة في السقف والتي كانت تدور وتدور في سرعة فائقة ولكن بلا جدوى ، فقد كانت كمية الهواء النقي الذي تستنشقه عشرات الرئات التي تكتظ بها الصالة وتحيله الى هواء فاسد محترق أقل بكثير مما يكفي لكل هذا العدد .

وخرج واحد فقط من صف الدرجة الأولى ممسكا بتذكرته في يده فتحرك الباقون نصف خطوة للامام كأنهم يريدون أن يقنعوا أنفسهم بأنهم أصبحوا أقرب الآن من الوصول الى الشباك .

وتململ علي وهو ينظر الى مقدمة الصف وعبد الله يتبعه كأنه يشجعه في لعبة شد الحبل ، وفجأة حدث هرج ولغط وخرج الجميع من الصف وتجمهروا أمام الشباك الذي كان قد أوصد ووضعت أمامه لافتة صفراء كريهة ( كامل العدد ) .

وتدافع على مع الآخرين ليأخذ مكانه فى مؤخرة صف الدرجة الثانية . ان مقاعد الدرجة الثانية ليست مرقمة ولا منتظمة ولكن ليس هناك مجال للاختيار فالفيلم تحفة حقيقية وهذه هى الحفلة الأخيرة ولا يدرى أحد متى يعاد عرضه مرة أخرى . وواصل على التقدم البطىء فى الطابور وعبد الله يتبعه آليا وعيناه تلتهمان لوحات الصور المعلقة على جدران الصالة البيضاوية لأفلام جديدة معظمها لم يصل السودان بعد . . كان بين على والشباك أكثر من عشرة أشخاص عندما أغلق ووضعت أمامه أيضا لافتة كريهة أخرى (كامل العدد) وباءت بالفشل محاولات على وعبد الله للدخول بأية وسيلة . حتى تذاكر السوق السوداء نفذت عن آخرها وبوجه متجهم كان على يسير نحو سيارته «المرسيدس» وبجانبه عبد الله عندما هتف عبد الله بغتة وتوقف عن السير :

– اسمع يا على فكرة . . ممكن نشوف الفيلم وما نضيع الفرصة . .

وبدون حماس رد على . . فكرة شنو يا عبد الله ؟ . . . . يا أخى فى طريقة ما جربناها عشان ندخل ؟ وقال عبد الله وكأنه يستجمع اطراف شجاعته

– ندخل شعب !

– قلت شنو يا على ؟

ولم يرد على ولكنه واصل سيره حتى وصل العربة وهم بفتح بابها عندما لحق به عبد الله .

– انا بفتكر دى الطريقة الوحيدة الممكن نشوف بيها الفيلم ده .

ورد على فى امتعاض :

– اذا كانت دى الطريقة الــوحيدة اسمح لى أنا ما عايز اخش وما مستعد اتعرض لى بهدلة ومرمطة ومضايقات ما ليها أول ولا آخر .

– ياخى المسألة ما زى ما بتصورها الحاجة الثانية كلها ساعتين ونصف أو تلاتة ومش خسارة إنك تحتمل أى مضايقة عشان تشوف فيلم زى ده .

– ما قادر أتصور انى اخش شعب أبدا وافرض شافونا ناس من

معارفنا يقولوا علينا شنو ؟

ـ يقولو شنو يا على هو نحن عملنا حاجة عيب ؟ . . ايه الشيء المخجل في دخولنا شعب ؟ انت زمن كنت طالب ما كنت بتخش شعب ؟ . . .

ـ أيوه . . بس الزمن داك ودلوقت المسألة مش واحدة . .

ولم يترك عبد الله على الا بعد ان تبعه نحو باب الدخول للدرجة الثالثة .

كانت جميع الأضواء قد اطفئت والقاعة تسبح فى الظلام ولم تبق الا اللافتات الحمراء المضيئة التى تشير الى ابواب الدخول والخروج . . فقد كان العرض قد بدأ .

لاول وهلة كان يخيل للداخل انه لا مكان لجلوس أى وافد جديد ولكن بعد أقل من دقيقة كانت الصفوف الطويلة المظلمة تبتلع كل الوافدين وتستعد لاستقبال رواد جدد .

من الدقائق الاولى شعر على ببداية المضايقات فزيادة على صلابة الكنبة ومسندها غير المريح كان يجلس أمامه شخص ضخم لا يكاد يهدأ لحظة واحدة من الميل نحو الجالس بجواره متحدثا بصوت مسموع . وطاف ببصره على فى حسرة حيث يجلس رواد المقاعد الخلفية فى هدوء واطمئنان وتمنى لو كان بينهم .

واشعل أحدهم سيجارة ذات رائحة نفاذة لا تخطئها الانف فتململ على وهمس فى اذن عبد الله . . .

ـ بقى دى حالة وده جو الواحد ممكن يستمر فيه لاقل فترة ؟

ـ ياخى طول بالك وما تشغل نفسك بالحاجات دى .

وأقبل صبى البوفى حاملا صينية كبيرة مليئة بأكواب الشاى الاحمر الساخن وأخذ يخترق الصفوف ويتمايل بها فى طرب ويتبادل النكات والمداعبات مع الرواد وهو يمد لهم اكواب الشاى وعندما اقترب من على ترك على متابعة العرض واخذ يتلفت فى قلق نحوه فقد كان يتوقع فى أى

لحظة أن يتعثر الصبى بشىء أو يفقد توازنه فيسكب كل محتويات اكوابه على رأسه وجسمه . . وهمس على فى اذن عبد الله .

— غايتو المرة الأولى والأخيرة ندخل هنا . وتشاغل عبد الله بمتابعة العرض دون ان يرد وحدثت أكثر من مشاجرة صغيرة بين الرواد وكانت الاصوات ترتفع وتعلو ويقف واحد واثنان وعشرة ويتدخل الجميع فتنتهى المشاجرة لتبدأ من جديد فى مكان آخر وتنتهى بنفس الصورة .

كان عرض الاعلانات قد بدأ وكان هناك نموذج لمنزل فى غاية الاناقة والروعة والمعلق ينصح باستعمال نوع معين من الطلاء للاثاثات عندما صاح أحد الرواد بأعلى صوته مداعبا صديقا له يجلس غير بعيد منه :

— زمبة . . ده زى بيتكم تمام يا زمبة ! !

وانفجر الجميع فى ضحك من القلب . . وشعر على برغبة شديدة فى الضحك ولكنه بذل مجهودا كبيرا ليحول ضحكه الى ابتسامة صغيرة . . وتوالى العرض وبدأ التمهيد لعرض الفيلم . كان الاهتمام قد بدا جليا على رواد الدرجة الثالثة لاول مرة منذ دخولهم فقد بدأوا يعدلون فى جلساتهم وأخذ الذين يلبسون العمائم يخلعونها وبدأ صخبهم وضجيجهم يخفتان رويدا رويدا حتى تلاشيا تماما عند بداية الفيلم . لا نأمة ولا تعليق ولا صوت الا نادرا جدا وكلما كان الموقف فى الفيلم موقفا قويا ومؤثرا كان الصمت والهدوء شاملين وانسجم على مع الفيلم وكان ينسى انه يجلس فى مقاعد الشعب حتى يتذكر ذلك بعد فترة اثر تعليق ساخر يطلقه احد الرواد فيضج الباقون بالضحك . . .

وعندما انتهى عرض الفيلم قال عبد الله وهما فى طريقهما الى السيارة المرسيدس .

— ايه رأيك يا على لو نجى يوم تانى كمان نخش شعب ؟؟ . .

وابتسم على ابتسامة خفيفة دون ان يرد وأدار محرك السيارة .

ابو بكر خالد

# كلاب القرية

عندما هبطت تلك القرية النائية كنت أسمع الكثير من القصص ، عن فتياتها وعن ندرة الرجال . وبعد وصولى كنت على وشك أن أكذب كل ماسمعت ، فالمدرسة التى اعمل بها تحوم حولها اعداد من الفتيات الفقيرات العاطلات من الحسن .

وهن يحملن صفائح الماء الى بيوتهن ووضح لى أن كل ماسمعته ، قد لوّن خيال الراوى وأكسبه خصوبة لاأساس لها من الواقع ، الى أن رأيت « مطر » كقطعة المانجو الناضجة . . وكانت تقتحم مع الأخريات طرقات المدرسة فى طريقها للدونكى . كانت دائما تحمل صفيحتها وأراها على البعد وهى تعزف لحنا فى سيرها يطيش له صوابى ، فما أن تقترب حتى تحبس أنوثتها فى مشية عسكرية صارمة ، وتشيح بأنفها فى كبرياء عجيب . . . لاتلتفت أبدا ، ولايستطيع انسان أن يثيرها بشىء ، والأخريات يتلفتن ويتضاحكن . . وبعضهن يلقى التحية فى نزق ، وهى تسير وسطهن تحيط بها هالة ، يحسها كل من ينظر لها . . وكان أحد الأصدقاء لايدس ماتثيره فى نفسه ، ويقول وهو يتبعها بنظراته النهمة : « لم تبق سوى أيام قلائل وتشح البئر ويعز الماء ويسهل صيد الفتيات » . . كان يقول ذلك ويرسل ضحكة ممطوطة . ومضت الأيام أخرج فراشى أمام بيتى والذى بنى بطريقة أستطيع منها الاشراف على جميع « الداخليات » وكانت مدرستنا تشبه حدوة هائلة من الأسمنت غرزت فى تلك الرمال التى لم تألف مثل هذا اللون من البنيان . فظلت على ظهر تلك الربوة تشد الأعين من المسافات البعيدة بلونها الابيض . . وكنت أجد لذة بالغة عندما يتجمع حولى الصغار يسألوننى عن الترام،

والنيل ، السينما وألوان الحياة عند أهل البحر . . كانوا يدفنون أرجلها الصغيرة فى الرمال يتطلعون الى فى شعف ، كنت أتحايل لارجاعهم الى المذياع . . لكنهم دائما كانوا يفضلون مجلسى هذا . . بل كثيرا ماكنت أجد بعضهم قد سرقه النوم . . كانت هذه هى احدى المتاعب التى ترهقنى كثيرا فى تلك المدرسة ، اذ كان على دائما أن أتجول فى كل الأماكن القريبة من المدرسة لأتأكد أن بعض التلاميذ لم يهربوا من أسرتهم بعد جرس النوم الأخير فقد علمت من تجربتى أنهم جميعا يفضلون النوم على الرمال الجميلة خاصة فى الليالى المقمرة التى حرموا منها يوم أن حضروا لهذه المبانى الضخمة الصماء . . التى يضيقون بجدرانها السميكة وارضها الحجرية الصماء وفى هذه الليلة بدأ طلبتى يوجهون لى أسئلة لاتتعلق بالبحر وحياة أهله وقد بدأ هذه الاسئلة طالب كبير وشعرت بسحنته تتغير وبنبرة صوته ترتجف وهو يقول :

- ياأستاذ أنا بشوف واحدة قمت . .

واكتفى بأن أشار باصبعه للمقابر التى تجاور المدرسة ، وعندما طال صمتى تبرع آخر ، وأقسم بأن كان ذاهبا ليشرب ، فوجد شيطانا هناك فرجع خائفا وقرأ — سورة « يسن » حتى الصباح .

والحقيقة أننى كنت أسمع قصصا كثيرة ومتنوعة ومن طلبة مختلفين ، وكنت أعلم أن عمال المدرسة يزرعون الخوف فى قلوب الأولاد بقصص الناس الذين ينهضون فى عتمة الليل من المقابر ليشربوا ماء الداخليات . . وكنت أعرف أن عمال المدرسة يبررون اهمالهم فى حراسة الماء حيث تتدفق الأبقار والماعز فى أواخر الليل لتشرب الماء ، حيث لاسور للمدرسة يحول دون دخولها ولا أبواب من الوصول لمكان الماء . وكنا فى تلك الأيام نعانى ضيقا عظيما فى الماء ، وكنت أحضر الماء للمدرسة باذن خاص ، وكنا نبصر الأسر تحضر للبئر لمجرد الشرب

وبعضهم يحضرون من القرى المجاورة ويقضون ليلتهم حول المونكى ايتسنى لهم حمل الماء فى الصباح .

ــ يا أستاذ . .

وتجاهلت هذا السؤال . . . كنت أتصنع عدم الإهتمام بمراقبة قبة السماء . . . والتى تبدو قريبة كأنها على وشك أن تنكفىء على الأرض . . . .

ــ يا أستاذ . . .

وهذه المرة وجدت نفسى أضيق بأسئلة الطلبة وأطلب اليهم الرجوع لحلقة المذياع . . ورأيتهم ينتزعون أرجلهم من الرمال فى يأس ، ويأخذون طريقهم غير مقتنعين بتهربى الذى لم يعرفوا له سببا . وكنت أرجو أن أخلو لنفسى ، كان على أن أوقف عيث العمال . . ولحظتى تلك سأقدم لطلبتى دليلا ملموسا يغنيهم عن كل شرح . وعندما انطفأ نور المدرسة سكنت الداخليات لهدوء متقطع . . ثم غرقت فى الصمت . . جعلت أتقلب فى فراشى وقد تلاشت رغبتى فى القراءة والنوم وزحف قمر القرية الهائل . . وسرعان مادبت الحياة فى أطراف القرية ، وبدأت الطبول تدق خافتة بادىء الأمر . وككل غريب تثقل عليه وطأة الذكرى جعلت احلم والنسائم تحمل لى أغنيات الأهالى الذين أنبثوا بجماعات ترقص وترتفع عقائرها بأغنيات لا أفهمها ولكنها تنفذ لأعماقى وامتدت يد صغيرة توقظنى :

ــ ياأستاذ . .

ورفعت رأسى لأجد تلميذا صغيرا يشير فى هلع الى اخوانه الذين تجمعوا بالقرب منه . وعرفت كل شىء . ونهضت وأنا الآخر قد تأثرت بخوفهم . . ولكننى كنت أعلم أنهم يضعون لى فى رؤسهم صورة أسطورية وأننى القادر على كل شىء ولو كان شيطانا نهض من المقابر فى

أخريات الليل . . وتقدمتهم لمكان الماء بعد أن أرسلت بعضهم لايقاظ العمال والغفير ، وفى لحظات حضر العمال ولكنهم تسمروا بعيداً ، ورفضوا أن يتقدموا خطوة واحدة ، ووقف خلفهم التلاميذ ، وعيونهم يدور فيها تساؤل كبير . وأخذت طريقى وأنا أحمل عصا وأنا أعلم أننى سأجد بقرة أو عنزة ، وقبل أن أضع رجلى داخل الحجرة مرق - فى سرعة - كلب هائل وهبط الأمان على قلبى ،وتنفست الصعداء والتفت ، فى سخرية للعمال ثم رفعت الفانوس الصغير ، فلمحت عنزة قد رفعت أرجلها الأمامية وأدخلت رأسها فى الزير وهى تشرب آمنة . . . وعندما إقتربت من العنزة وقفت فجأة وأنا أبصر فتاة قد تجمعت فى ركن وهى وهى تحاول أن تخفى جرتها التى ملأتها بالماء . . . وعندما نهضت وإقتربت منى تراجعت خائفاً ، وقلبى يوشك أن يفلت منى ، لقد كانت « مطر » الصبية الحسناء التى كانت تشغل أحلامى لا تشاركها فى ذلك واحدة من الكثيرات اللائى كن يحمن حولى .

وخرجت مسرعاً وخرجت خلفى مطر ، وفغر العمال أفواههم فى دهشة بليدة وعلى حين فجأة أندفع الغفير وتناول جرة الماء من رأسها وهشمها على الأرض وأمسك بشعرها وإنهال عليها ضرباً ، وصرخت فيه غاضباً فكف فجاة وهو يعتذر لى ويؤكد، أنه أن لم يفعل ذلك فلن يقف سيل البنات الذى يتدفق آخر الليل لسرقة الماء . أما مطر فقد هربت لا تلوى على شىء . ولم أكن فى حالة تسمح لى بالحديث . أمرت الطلبة بالرجوع لأسرتهم وأخذت طريقى لفراشى وعندما عاد الصمت مرة أخرى. كانت تنهش صدرى إنفعالات لاحد لها ويملؤنى حنق على هذا الغفير ، وكنت أبصر بعين خيالى « مطر » صاحبة الأنف الشامخ وهى تجرى كأنها صبى شقى تورط فى إثم كبير . . . ثم ألمح شعرها المقبوض وعينيها الجميلتين وقد إمتلأتا بالخوف . . . وتقلبت فى فراشى . . . وحاولت جهدى أن أفرغ ما يدور فى رأسى لأنام ولكن بلا جدوى . . . وخيل إلى أننى أسمع حركة . . . .

وعندما هبت نسمات الصباح افترقنا .. وعدت وحيدا .. كان وجهي محتقنا .. ينضح عرقا برغم النسمات المنعشة ، وشعرت بخوف وأنا أسمع حركة كلاب تقترب .. ولم تمض برهة حتى وجدت نفسى محاطا بالكلاب .. كأنها كانت تشم طريقي وتتبعني .. وأحكمت حلقتها حولى وصارت تتحرش بى وتنبحنى بطريقة زلزلت كيانى كله وأطارت ماتبقى لى من صواب ، وفى خوفى المريع اقتحمت حصارها وانطلقت فى سرعة هائلة .. حتى وصلت بيتى كالعاصفة واستيقظ الغفير على جلبة الكلاب ، ولمحته يجول حول المبانى بحثا عن شيء . ولعل بصره وقع على وأنا أشرب ، فجاءنى ليبرهن على حراسته وقال انه سمع خطوات اللص المسرعة الذى لم يستطع أن يفعل شيئا سوى الهرب ، لأن كلاب القرية كعادتها شاركت فى مطاردة اللص .

فرفعت رأسى فلم أر شيئاً . . . ورقدت ،وبعد فترة تأكدت ، هذه المـرة أن ثمة شيء يتحرك وفى مكان جد قريب . فحبست أنفاسى كأننى أخشى أن أدله على شيء ، ولبثت أرصد الحركة وهى تقترب وتتضح ، إلى أن تأكـدت أن أقـداماً تقف خـلف رأسى . . . فأغمضـت عينى وخياشيمى قد إمتلأت برائحة أنثى أوشكت أن تصعد فراشى ، وعند ذلك سمعت صوتاً خافتـاً يقـول :

ها . . ها . . .

ولم أتحرك وسمعت الصوت يعود ها . . . ياها . . .

ورفعت رأسى . . . وفجأة قفزت كالمللدوغ . . . ووجدتها أمامى . . مطر بلحمها وعظمها . . . قطعة المانجو التى أحالت حياتى لجحيم . . . . . . ووقفت مشدوهاً وأنا اتلفت . . . وقد أرهقنى خوف لم أعرفه قبل ذلك . . وصارت تحرك صفيحة فارغة فى يدها ثم همسـت :

– هـا . . .

وأشارت لزير الماء المنتفخ القريب ، ولما لم تجد إعتراضاً ، بدأت تصب الماء فى صفيحتها فى خفة اللص وحرصه على أن لا يصدر صوتـاً ، وعندما فرغت من حمل الماء همست :

– أهـا . . . مع . . .

وأكملت كلمتها بابتسامتها الساحرة وهى ترفع الصفيحة لرأسـها وأفلت طرف ثوبها الذى امسكته بأسنانها . فبرز صدرها بكنوزه الفاخرة . . وتناولت طرف الثوب وهى تضغطه على صدرها وخرجت ووجدت نفسى أسير خلفها . . خاصة وأن مشيتها العسكرية كانت قد لانت وتكسرت ، وعندما انتبهت لنفسى كانت المبانى البيضاء تسطع بعيدا تحت ضوء القمر . . وصرت شبه منوم ومطر تتأود وتهز أعطافها وصدرها فى غنج حبيب .

كان مرفوعا الى أعلى فى كبرياء عجيب . كان ينظر الى الامام ويمشى ويمشى ، وابنته المحمولة على كتفه كانت تبكى فى صوت خفيض للغاية . فالجوع كان قد شل كل حركة فيها . حتى الرغبة فى البكاء كان من غير الممكن ان تستجيب لها . والدم النازف من جرح ساقها كان يعذبها عذابا متصلا ولم يكن هناك شىء يمكن أن تفعله أو يفعله أبوها .

الارض الجرداء المنبسطة . . . والتلال الكثيرة التى كان يمر بها والأعشاب الجافة التى كان يدوس عليها بقدميه الداميتين واختفاء كل أثر من آثار الحياة فى تلك البقعة . . كل ذلك كان كفيلا بان يحطم كل بارقة أمل تجد سبيلها اليه . ولكنه مع ذلك كان عظيم الأمل . لو لم تكن معه هذه الصغيرة لهان الأمر كثيرا . .

القيظ لم يرحمها ؛ والارض التى تفور وتغلى تحت أقدامه كانت تجعله يسرع فى السير . لم تكن هناك شجرة يحتميان بظلها للحظات يتابع بعدها السير . . مجرد شجيرات صغيرة هنا وهناك تحيط بها الأشواك من كل جانب . شجيرات لا ظل لها . كان الخلاء يمتد أمامه الى ما لا نهاية . لا أثر للحياة . ولكنه كان يسير والصغيرة على كتفه تئن فى صوت حزين للغاية . ولكن عينيها اصبحتا كرتين من الدموع . لم يفتح احدهما فمه بكلمة واحدة منذ صباح الأمس . لم يكن هناك ما يرجى من الكلام . ولكنها قالت فجأة :

— يابا ،

ولم يفتح فمه . كان يمشى . . . لعله يسمعها . كانت أنهار العرق قد ازدادت واخذت تسيل على صدره فى غزارة .

— يابا ،

وسمعها هذه المرة . وعادت هى تقول :

— ما خلاص وصلنا ، يابا ؟

واجابها بعد مجهود ضخم ، اذ ان لسانه كان جافا . وهو نفسه لم يكن يرغب

الطيب زروق

# الارض الصـــفراء

منذ يومين فقط كانت خطواته فيها كثير من الحيوية والنشاط . لم يكن جسمه يعرق كثيرا هكذا . . بضع حبات فقط من العرق كانت منتشرة فى اجزاء متفرقة من جسده الطويل المشدود الذى يشبه المومياء . وانفاسه لم تكن بأى حال لاهثة مضطربة كما هى الآن . والأوردة الكثيرة متشابكة فى ذراعيه لم تكن هكذا منتفخة بدمه الازرق مما جعلها تبدو كأمعاء حيوان صغير . واما ثوبه المتلفح به فلم يكن شديد القذارة بهذه الدرجة . نعم ، كان قذرا بما فيه الكفاية . ولكنه – على الاقل – كان أنظف كثيرا مما هو عليه الآن . التراب الذى تراكم على وجهه الطويل جعله قبيحا وقذرا : العينان محاطتان بهالتين من التراب الأصفر الناعم ، والشعيرات القليلة فى فتحتى الانف اكتسبتا لونا بين الاصفر والبنى . والشفتان لم تخل واحدة منهما من التشقق . وكان الدم المتجمد من تشقق الشفة السفلى يرسم منظرا كريها عليها وعلى الوجه المستطيل الجاف الذى لم تمسه قطرة واحدة من الماء منذ أكثر من يومين . جدار البطن الأمامى كان جافا متكرمشا مثل جلد الثعبان المسلوخ ، وقد أوشك ان يلتصق بالجدار الخلفى للبطن ونتج عن ذلك تجويف كبير يثير التقزز .

وكانت هناك ابنته . . . صغيرة جدا وقذرة مثله ، ولكنها كانت حلوة . لم يزد عمرها عن الثلاث سنوات . وكانت ساقها اليمنى مربوطة بقطعة كبيرة من القماش فى لون التراب ، ولكن فى أجزاء كثيرة منها كان يلطخها دم أحمر كثير .

كان يحملها على كتفه وهو يمشى : وجهه صارم ، فيه قسوة . . . وعيناه غائرتان وقد أوشكتا على الاختفاء داخل تجويفهما . الانف المستقيم

واجاب الرجل : ضيف . .

ولم يقل صاحب البيت شيئا . اخذ ينظر الى الرجل والطفلة المحمولة على كتفه . ثم تنحى قليلا عن مدخل البيت وهو يقول .

— ادخل .

ومن داخل البيت جاء صوت امرأة :

— منو ده ؟

وأجاب زوجها :

— ضيف .

وجاءت المرأة وصوتها القبيح يسبقها ويفسح لها الطريق . كل شيء فيها كان يوحي بالشر . . الانف الطويل المعقوف الذى لا يتناسب بأى حال مع الوجه المستدير ذى القروح الكثيرة التى التأم بعضها فنتج عن ذلك ندبات شدت جلد احد جانبي الوجه لدرجة صار معها النصف الايمن من الفم مفتوحا تبرز منه أسنان قبيحة . وبدت العين اليمنى أكثر اتساعا وجحوظا من العين اليسرى . كانت هيئتها على العموم توحي باللؤم والقسوة .

قالــــت :

— من وين ؟

وأجاب الرجل :

— من التكه .

— هـ ـــ م ؟

— الجمل مات فى الدرب . قاصدين المديرية .

وتناولت المرأة كوزا ملأته بالماء وأعطته للرجل . امسك الرجل بكوز الماء وناوله لابنته التي شربت كل ما فيه عن آخره . وصبت المرأة الماء مرة أخرى حتى منتصف الكوز وناولته للرجل . كان الماء قليلا لا يكفى لبل

فى الكلام .

ـ خلاص يا بنتى . قربنا .

تابع السير فى خطوات بطيئة اذ ان الاجهاد كان قد انهكه لحد كبير . كان يحس انه لن يقوى على السير بعد ذلك ، ولكن كان عليه أن يسير حتى لو سقط ميتا . التوقف لحظة واحدة معناه التعجيل بموتهما معا . كان يعرف تماما . وكان يعرف ان الطفلة التى يحملها على كتفه ميتة لا محالة والدماء تنزف من جرحها الكبير الملوث .

ومضت دقائق كثيرة توقف بعدها عن السير فجأة .

توقف عن السير .

وفتح عينيه اللتين كانتا نصف مغمضتين فبان فيهما ثمة بريق . وحدق أمامه وقد سرت فى جسده رعشة . وكان فمه الجاف الملوث بالدم والتراب مفتوحا قليلا فى دهشة ، وابنته المعلقة فى كتفه كانت تسأله عن سبب هذا التوقف . . . ولكنه لم يكن يسمعها أبدا . كان ينظر الى الامام غير مصدق . لم يكن يخطر بباله ان سوف يجد أمامه وعلى بعد خطوات ذلك المنزل . ذلك الكوخ الخرب الذى يراه الآن حقيقة كبيرة لا تقبل الشك اطلاقا ، منزل ؟ منزل ؟ كان الأمر فوق إدراكه وتصوره .

وتابع السير هذه المرة فى خطوات جبارة وقد انتابته حمى الانتصار وسرت روح جديدة متوثبة فى جسده الميت . وابتل فمه باللعاب وهو يبصر عمودا طويلا من الدخان ينطلق من احدى فتحات المنزل .

وقف أمام الباب الصغير الذى صنع من سيقان الاشجار وجلود البقر . ولم ينتظر . كان الباب مفتوحا . واطل منه رأس رجل شديد القذارة منكوش الشعر ، وقد نبت شعر كثيف فى اجزاء متفرقة من ذقنه الملطخة بالهباب .

ـ نعم .

على المك

# كرسي القماش

اعتدت ان تختلف الى مكتبك كل صباح . مثل الساعة الدقيقة أنت ، تفد للمكتب في الثامنة من الصباح . في الشتاء كما في الصيف . ولم تغير عادتك تلك أبداً : حين كنت تعمل في الدامر أو الفاشر أو في كسلا . . حقا انك قد خبرت أكثر أقاليم بلادك ولكنك لا تعرف ما هو الفرق . النهار في المكتب ، والمساء في النادي . وهناك دائما تاجر وزملاء وجزار وحلاق ، ورئيس صارم أو غير صارم و . . . و . . .

وها هي العاصمة : موطنك . عدت إليها بعد طول تجوال عملت بها سنة أو بعض سنة حتى أدركك المعاش . تقول أدركك المعاش : كما يدرك الموت الناس . أو ليس المعاش كالموت ؟ ألا يعني ان خدمتك قد إنتهت ، وكما تنتهي الحياة : أوليست الحياة هي العمل ؟ هذا أول أيام الإجازة الأخيرة ، ولن تستيقظ بعد الآن مبكراً . ولن تمضي للمكتب فتكون به في الثامنة . لفرط ما جرت بك عربات التاكسي حفظت كل ركن فيه : الشارع ، أعمدة النور ومقهى ( جورج ) : وإعلانات السينما . وهي المتغيرة دائما وكل شيء عداها ثابت ، ثابت كل شيء . وكوبري النيل الأبيض ، آه ما أجمل الإغفاء في السيارة حين تصعده جريا : ويعتدل الهواء حين يصافح صدر النهر ويغشاك رطباً منعشاً ويسلمك الى النوم . لقد كبرت وليس عندك سيارة ، البركة في البيت . . وماذا ستعمل الآن ؟

« مع السلامة يا سيد فضل . . والله تعلمنا منك الكثير ، سنفتقدك كثيراً » . قال زميل في المكتب . وأنت تعلم انه كاذب : فمستقبله في الخدمة معقود على تقاعدك بالمعاش . . يالنفاق ، وهل أخفى ابتسامته الخبيثة

حلقه ولكنه شربه . وطلب المزيد . ولكن المرأة هزت رأسها :

ــ مافى . . لينا يومين عايشين على الموية . . . الصيد قل .

وكان زوجها يهز رأسه من حين لآخر وهو ينظر الى الرجل وطفلته . اما امرأته فقد بدا عليها التأثر والحزن . وحقيقة لم تكن هناك أية علاقة بين قبحها وهيئتها التى تدل على القسوة وبين مظاهر الحزن الطيبة التى بدت عليها الآن . كان ذلك القبح قناعا خادعا يخفى أشياء كثيرة حسنة تتمتع بها هذه المرأة .

وغادرت المكان الى داخل البيت فى سرعة وكأنها تذكرت شيئا . وغابت لمدة دقائق ثم عادت وهى تحمل فى يديها بعض الكسرة الناشفة وقدمتها للرجل وهى تقول :

ــ ده اللى فاضل لينا .

وتناوله الرجل وأعطى صغيرته وأخذا يأكلان الخبز الجاف .

وعندما غادرا البيت تلقفتهما الشمس المحرقة مرة ثانية . وكانت الطفلة على كتفه ، وكان وهو يسير ينظر الى الامام والأرض الصفراء تمتد أمامه تغلى وتفور من شدة القيظ .

العمل رحمة ؟ هذه المرأة الولود الخصيبة كأنها دلتا النيل . . ان لم يكن هناك من حل فالأجدر ان تجلس فى الظل على الشارع ، وتطالع صحف الصباح وترقب السابلة والعربات تجرى وتجرى ولكن لأية غاية ؟

حينما أخرجت كرسى القماش من المخزن ونفضت عنه غبار السنين ، كانت ذرات التراب تذكرك بأيام ( الفاشر ) (١) حيث كان صنعه وخمسة كراسى أخرى تكسرت جميعا وبقى هو . صنع الكرسى فى السجن ، جف ظهر سجين وهو يصنعه لفرط ما عكف عليه وانحنى . جف ظهره لترتاح ظهو ر الموظفين : الخواجات منهم وابناء البلد ، وقد يعجب هؤلاء بفنه وقدرته ، فن نابع من الصبر والقهر معا . وقد تسحر ألبابهم خطوط قماشه الحمراء والصفراء ودهان خشبه الأبيض « ربما كان صانعك قاتلا أو سارقا أو هاتك أعراض ، وربما تموت ويبقى الكرسى . . وكم من سارق طليق وهاتك عرض فى عزة ونعيم . . و . . . و » وينتشر الغبار كثيفا بعد كل ضربة .

« كان زمان أيام صُنعتَ يا كرسىُ القماش ، كانت الدجاجة بخمسة قروش والخروف بخمسين قرشا . وفى القشلاق الخمر والنساء ، وفى فصل الامطار تمتلىء الترعة حتى تفيض ، وينتشر على التلال بساط أخضر من العشب . وأنك شهدت الصبيان يشربون الماء من حياض الجياد والحمير ، والماء شحيح و ( أتيمة ) تصنع الخمر وتشرب اكثرها ، وتأكل نصف خروف . ولقد أحسنت امرأتك الصنع حين رفضت البقاء فى الفاشر ، وتركت فراشك خاليا منها وغـــير خال من ( سعاد الفزانيـــة ) . وأنت الباشكاتب المهاب . زمان مضى يا كرسى القماش شخت أنت . وشخت أنا . . . »

وهانتذا تجلس على الكرسى فى الظل . وتعاين فى الشارع والناس

---

(١) هى عاصمة مديرية شمال دار فور

ابن الـ . . ولكن المعاش هو الموت يدرككم جميعاً ولكل أجل كتاب وهذا هو العزاء . . وأنت أيضا كاذب ، لو كنت تؤمن بهذا الكلام ما غضبت ولقبلت كلامه بروح سمح .

وهل كنت محبوباً يا سيد ( فضل ) ؟ أتذكر الصرامة والحزم وسؤالك الملح أبداً « لماذا تأخرت ؟ هل نمت ؟ آه هواء الصباح عليل يلذ فيه النوم ؟ ام أن الخمر كانت قوية الليلة الماضية ؟ » . وكان مثل هذا الكلام يغيظ الأفندية ولكنهم يسكتون خشية عقاب ، وأنت نفسك تخشى المدير ، كل سيد وله سيد . حين كان يطل عليك أو يستدعيك تتصبب عرقا وتجف ، آه يا ( فضل ) حقا قال لك « سنفتقدك يا سيد فضل » إبن الـ . . . هذا الرجل لا يحسن كتابة خطاب أو مذكرة ، ولم يعمل مع السلف الصالح من الانجليز يا سلام تذكر سمث وجونز وراندل . . والله لا يهم طالما كانت الخدمة كلها صائرة الى إنهيار كامل ، وأين نحن من أيام ( السلف الصالح ) ؟ هاصت والله ، وأصبح سادتها أولاد الجامعات « لكل زمان رجال يا سيد فضل » ، كان ذلك الشاب يقول لك هذا دائما ، هو فى مثل سن إبنك ولكنه متعلم وأى علم ؟ نوم فى المدينة الجامعية وعدس وفول وجلوس فى المدرج أو فى المقهى ، ودرجة جامعية ، ثم تراهم يقفزون سلم الوظائف قفزا . . دنيا والله دنيا . . وهل مر زمان كنتم سادته يا سيد فضل ؟ من قبل هؤلاء الانجليز حتى إذا خرجوا من البلاد جاء أولاد الجامعات .

* * *

تدرك أن الشمس فى مدينة(ام درمان)[1] هى النار المحرقة،بعد الثامنة من الصباح تغلى البيوت بفعل الشمس فلا تطاق ويلتمس الناس المكاتب ذات المراوح ومكيفات الهواء ، ليس حبا فى العمل والانتظام فيه ، بل هم ينشدون الهواء البارد والاستجمام . تحس ربما لأول مرة أن البقاء فى هذه البيوت هو الموت ، وعليك أن تبقى فى جوارها : : ام العيال أليس فى

(١) عاصمة السودان الوطنية

ألهم أزواج وعيال ؟ تبا لها العجوز . . ما زالت تتطيب وتصلح من شأن نفسها . . المشكلة أن تغريك في هذا النهار الطويل فتضعف وتنهار . . الظل في الشارع خير من البيت .

أبواق السيارات تتدفق فوق الشارع . والنظر سيارات وزحام . لأول مرة تدرك ان هذا الشارع القديم لم تمسه يد إصلاح ويبدو أن الأشياء لا تتغير كما ينبغي « أهذا يومك الأول ؟ أو تمضى باقى حياتك على هذا المنوال ؟ وما بقى منها هذه الحياة ؟ لقد انتهيت عند الحكومة فلفظتك الى الشارع » تحدث نفسك . مشاهد تتكرر وأناس يروحون . يجيئون وسيارات تفلق الدماغ . وما العمل الحكومى . أليس هو تجربة يوم واحد تتكرر ثلاثين أو أربعين سنة ؟ وفجأة ينقطع حبل تفكيرك :

— السلام عليكم .

يتردد الصوت . وتنتفض فاتحا عينيك عن آخرهما . تحدق فيمن ألقى بالتحية وترد :

— وعليكم السلام يا . . .

بماذا تريد أن تناديه ؟ ألأنت تعرفه ؟ من هو هذا الرجل ؟ كثيرون هم ( أنصار السلام ) هؤلاء . يحيونك حتى ان كنت نائما ، ثم إنك لا تعرفه . يقولون إن ( السلام سنة ) ولذا يتمسك بها هؤلاء القوم . وقد تلقف عابر السبيل تحيتك عن رضا ، ثم مضى لحال سبيله :

— يا ساتر يا رب . . حاسب !

— لا حول ولا قوة إلا بالله .

— يا عالم .

— لا حول الله . . ياساتر .

أصوات تعلو ، وإذا بعربة محملة بالجنود ، قلانسهم حمراء دونما استثناء تدهس طفلة كانت تهم بعبور الشارع . . وتهب واقفا ، ويهتز

فى الشارع ، وتمد رجليك ، والظل يجاهد الشمس وهمس فى بطء تفترسه .

— سيد فضل صباح الخير . . ماذا بك ؟

— لا شيء . . لا شيء . .

— انت لست مريضا ؟

— كـــلا .

— إذن فى إجازة ؟

— نعم .

— شيء عظيم . . أتفكر فى السفر ؟

— لا .

— جميل بعد قليل تهطل الأمطار ويعتدل الجو

لماذا يصر جارك على كل هذا الكلام ؟ ام أن هذه عادة أهل السوق من التجار . يا لعنة الله عليهم . . ويستطرد الجار :

— عظيم يا سيد فضل ومتى تنتهى الاجازة ؟

— هذه اجازة نهائية .

— يا سلام . . لن تعود الى العمل إذن . . والله خسارة !

وتغير وجه الجار العزيز ، وأضحى قاتم اللون من بعد صفائه — أو هكذا تصورته — وتصلبت تقاطيع وجهه ، زم شفتيه ، قطب جبينه . « يا مسكين يا فضل » تقول فى نفسك ثم تتساءل « هل المعاش هو الموت ؟ أنت قادر ومقتدر ومعافى خلا نوبات السعال التى تغشاك ويضيق بها خلقك من بعد صدرك ، وتستطيع أن تعمل حتى تبلغ مائة عام » .

وانصرف الجار العزيز ، وتراه يهز رأسه من أسف ، كنت بالنسبة لهم شيئا وأصبحت لا شيء ، كنت الباشكاتب المهاب . . . يا خسارة ضاعت الرهبة ، وحلَّ محلها العطفَ والرثاء . وتنطلق السيارات أمامك . . إلى أين يذهب الناس ؟ أكلهم يعمل ؟ ام أنهم سئموا الحياة فى البيوت ؟

القلانس الحمراء ؟ . . .

ـ هيا . . هيا . . قبل أن يأتى البوليس فتتهم بالقتل .

كانت يدا السائق قد تجمدتا على عجلة القيادة ، وانكفأ عليها بوجهه لا يريد أن يظهره ، وتجمع الجنود فأقاموا حائطا حول المتجمهرين .

* * *

ها هو الظل قد تقلص بعد ان افترسته الشمس ، صعودا . وليس أمامك من شيء سوى ان تعود الى الدار ، وتحمل الكرسى ثم تضعه على جدار الحجرة بعناية كأنما قصدت ان يصيب راحة من بعد العناء . وترقد على السرير ، والنهار صامت بعد أن اغتذى بدم فتاة ، وقد تطل عليك زوجك بعد حين : أيهما الجحيم ؟ الشارع ام هو البيت ؟ فلتنتظر قدوم يومك الثانى فى حياتك الجديدة !

كرسى القماش كأنه نال راحة من بعد أن ارتفع عنه ثقلك . من أى البقاع جاءوا ؟ فى لمح البصر ، كيف احتشدوا بهذه السرعة ؟! ألم يكن الشارع شبه خال عدا أشخاص يسيرون متفرقين ؟ وها هى أصوات الناس تسبح قرب أذنيك :

ــ عربات الجيش تندفع مسرعة دائما . . .

ــ السائق مخطىء . . دونما ريب مخطىء . . الله . . .

ــ أبدا . . أبدا . . هى غلطة البنت لم تقف لتتأكد من خلو الشارع .

ــ ولكنها ماتت .

ــ كيف تموت بلا سبب وجيه ؟

ــ هذا أوجه الأسباب فى هذا الزمان .

ــ أيعاقب القانون السائق ام العربة ؟

وقد بدأ الجنود بقلانسهم الحمراء يتقافزون من سطح العربة . وتنظر بين الرءوس والأكتاف والرقاب فاذا بجثة الفتاة ملقاة على طرف الطريق ، كان رداؤها أخضر ، وكانت تحمل كتابا تطايرت صفحاته وعليها رسوم حيوانات وحروف كبيرة ذات ألوان ، وكراسة تعلقت بإطار العربة فما استطاعت منه الفكاك . وكان وجهها ملطخا بالدم ، وقد غشى الموت عينيها ، وأنت تعرفه : الموت « بالله كيف تموت المسكينة وهى ذاهبة الى المدرسة ؟ أحمد الله أنه أبقاك على ظهرها : الدنيا أكثر من نصف قرن ، وها هى ذى طفلة مجتهدة تموت بلا سبب وجيه ! » أصوات تختلط :

ــ بل هذا أوجه الأسباب فى هذا الزمان .

ــ احضروا غطاء . . .

ــ احملوها الى المستشفى . . .

ــ يجب أن يفحصها طبيب . . .

ــ ولكنها ماتت . . .

ــ من المسئول إذن ؟ السائق ، ام الفرامل ، ام هم الجنود ؟ ام هى

## (٣) العـــين الثالثـــة

عندما دخلت المعلمة ، ساد حجرة الدرس الصمت الكثيف . شاع الصمت وانعقد كحلقات الدخان . وبدأ الفصل يكح . ما كنا نسمع الا أصوات دقات قلوبنا وأزيز أجنحة المروحة . وكان عنوان الدرس حشرة كبيرة على السبورة . ليس هذا إفتراء أو محض خيال . أكاد أجزم بأنني قد رأيتها بأم عيني . عارية تماما كعصفور صغير لا يكسوه سوى زغب رمادي . فهي حقا لم تتدثر الا بشعرها الكثيف المنسدل حتى الكتفين .

## (٤) العـــين الرابعة

أدخلت يدي خلسة بين فتحة القميص . وتحسست صدري . أحسست بأسف بالغ ، إذ أن نهدي لم تتبرعما . يقول أبي انني على أعتاب التحول . كان أبي قد قال ذلك قبل ثلاثة أشهر . ولكن نهديَّ لم يتبرعما . كم هو شعور أسيف . أن تظل الأنثى طفلة بلا ثديين .

## (٥) العـــين الخامســـة

انه الحرام . . والعيب عينه . ماذا لو رأت أمي كل هذا ؟ إنها قطعا ستمنعني من المجيء الى المدرسة الى الأبد . كلنا يتعرى ، نعم . نمشي بلحمنا فقط وبلا دثار ، أوه . . لو تسمعني أمي أقول ذلك ! ولكن أليس ذلك حقيقة ! أنها حقيقة فقط عندما نكون على انفراد بأجسادنا .

## (٦) العـــين السادسة .

جميل أن يكون للانسان جسد جميل كوردة . ولكنني لا أستطيع تصور انسان بلا جسد . محض جنون تصور ذلك . كثيرا جدا يبدو لي أن الجسد هو الوردة والانسان هو الغصن . وليس العكس . الغصن لا يتفتح ولا ينبثق نحو الخارج الا عبر الوردة . قوي . . . متناسق جسدها كالمهرة العربية الأصل . عظيم هذا النسق الإنساني المعبر في الصمت .

عيسى الحلو

# وماذا فعلت الوردة ؟

## (١) العين الأولى

دخلت معلمة العلوم حجرة الدرس . إلا أن البنات لم يقفن لها إجلالا . كما اعتدن كل صباح .

أما أنا فلم أشعر بدخول معلمة العلوم في البدء . انتبهت فيما بعد . عندما ارتفعت همهمات ذات علو منخفض . تتأرجح الهمهمات بين الكبت والإنطلاق .

وقفت المعلمة وسط حجرة الدرس . أولت ظهرها للسبورة بعد أن كتبت التاريخ وعنوان الدرس – وظائف الأعضاء – فبدأ عنوان الدرس كحشرة لها ألف ذراع . وفي بطء أخذ عنوان الدرس ينتشر على مساحة السبورة . حتى غطاها . وعم الرعب ، أما المعلمة العجوز فقد تبدلت بصبية حلوة ، شعرها طليق ، مسترسل الى كتفيها . ماعدا خصلات كثيفة سوداء شاردة بين نهديها العاريين حتى خاصرتيها ، شيء فوق الأرادة جعل عيني تتسعان بالدهشة ، والصدمة .

## (٢) العين الثانية

لقد رأيتها . . وحق السماء قد رأيتها ، بطنها بيضاء ، تجرى فيها عروق كبيرة خضراء ، وعروق صغيرة ، وشعيرات دموية زرقاء كفتلات الحرير . خصرها شديد النحول . وعند الحوض ينساب قوسان معكوسان ، يشكلان دائرة بيضاء بينهما . وعند المركز تنتشر ظلال سوداء . لقد كانت صبية جميلة حقا ، ولكنني غضضت الطرف . تشتت ذهني وارتبك .

أسئلة الصف الأخير . القابع عند نهاية حجرة الدرس . أشارت بأصبعها الأوسط نحو البنت التى عند الصف الأول ، مؤذنة لها بالسؤال :

قالت البنت : هل يفعل الجسد كما تفعل الوردة !!

قالت المعلمة : وماذا تفعل الوردة ؟؟

نظرت البنت عند قدميها وصمتت . صاحت من عند مؤخرة الفصل كبرى البنات وقالت بلا استئذان : تنغلق الوردة على الفراشة . ويكون الأريج النداء . ثم يعتصر الرحيق .

انساب العرق وغطى وجه المعلمة كالدموع . وقالت المعلمة فى حنو مصطنع : تماما . والفرق أن انغلاق اكمام الوردة عفوى ، كما انجذاب الفراشة بلا اشراك .

قبل نهاية الدرس بقليل جدا ، تأبطت المعلمة دفتر التحضير والمؤشر . دارت نحو السبورة طاوية الجسد العارى المرسوم على الورق المقوى . وعندما دق الجرس ، خرجت المعلمة . جذبت ثو بها فغطت الرأس والصدر . ومن خلفها تدافعت البنات اللائى لم تفارق الصورة احلامهن طوال ليل ذاك النهار .

(٧) العـين السابعة

إن الذى يبتذل جسده ، يبتذل الجوهر فيه ، كيف لإنسان متمدين أن ينزع ثوبه عنه ! وأن يمشى فى العالم عاريا ! ! أعلم أنى لا أمتلك مثل هذا الجسد الجميل . وحق السماء لست بحاقدة .

(٨) العـين الثامنة

الصداع قاتل . لم أنم جيدا ليلة البارحة . أصابنى الأرق وموعد الإمتحانات يدنو بشكل عاصف . لا استطيع التركيز والنظر فى الجسد العارى . اكره فن النحت . أكره كل أعمال مايكل أنجلو وأعمال ديفنشى . ان التجريد هو النظرة الحقيقية للأشياء . . « الأسكلتون » هو روح الصورة . وخطوط الكراكتير هى أصلب وأقوى الخطوط . أنها حقيقية لدرجة الفزع . ولكننى لا أستطيع النظر والتركيز . ليت المعلمة تسمح لى بالخروج . ولكننى لو خرجت سيشعن عنى الإصابة بالمرض النفسى المزمن . سيشرن لعقدة أوديب بالتحديد .

(٩) الـراوى

توقفت المعلمة عن الشرح . وقبل ان تكتب خلاصة الدرس وضعت المؤشر على الطاولة المستطيلة أمامها . شعرت بالعيون تخترقها حتى العظم . وبحركة سريعة من يديها جذبت ثوبها وغطت الرأس والصدر .

(١٠) العـين العاشرة

وخلق الله الذكر والأنثى ، وتعمير الأرض الهدف . والحب والعبادة . ولكن ما الفرح والزغاريد إلا إعلان القبيلة بالقبول ، أعلم أننى لا أحب الزواج ، لن أتزوج ، لقد وعدتنى صديقتى ليلة أمس — أنها لن تتزوج ولن تهجرنى .

(١١) الـراوى

أتاحت المعلمة الفرصة لأسئلة الصف . كانت المعلمة تتحاشى فى خبث

# محتويـــات الكتـــاب

ابراهيم اسحق ابراهيم

# الفجوة فى حوش كلتوم

« لحظات وقد شاهدتك تسلك أسفل الليل الدروب فاقفلت بوابة الاماليد المجدولة مع الشمس الغاربة سيخضر العشب من جديد فى الربيع القادم لكن الذى رحل يا ترى أبدا يؤوب ؟ »

« وونج وى »

عند عودتى المرة الأخيرة من المدينة وجدت ذلك الرجل الاصفر المربوع القامة وسيم القسمات فى حوش كلتومة يأمرُ وينهى ، وكلتومة كأنها صدفة تناست تعكرها المشهود ومثلما تكون شالته عن روحها فانقشعت جديدة ظريفة ولطيفة ومؤدبة كما لم أرها ابدا .. احترت للرجل فسألت ناس ستنا فى بيتنا .

– دى ياتو دا ؟

– فكى البصير . .

– وبسوى شنو فى بيت كلتومة ؟

تنظر لى ستنا بتساؤل ظاهر فيه استنكار .

– هيا وليد . . بسوى شنو دى شنو ؟ ما زول فى بيتو ؟

انا الذى اظننى أصبحت أحدق فى وجه ستنا باستنكار متسائل حتى قاطعتنى ام الفضل هادئة تضغط كلماتها فى سهولة وعفوية .

– هاى . . اسمع لى . . الزول دى راجل كلتومة . . اتزوجو قبل شهرين يا خى . . زول مؤدب وعالم وصعب خلاص . .

– كلتومة اتزوجت تانى ؟ بعد داك كلو ؟

هذه المرة قاطعتنى ستنا رافعة صوتها ومنزعجة . .

## الباب الثالث : القصص